وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

– جامعة الجزائر 2 بوزريعة –

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

# مدارس التعليم بالمشرق في عهد السلاجقة و الزنكيين 459– 594 هـ / 1066 – 1197م – دراسةحضارية –

*مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط*

إعداد الطالب:

عبد الرزاق قنيفي

إشراف:

أ.د / قويدر بشار

أعضاء اللجنة المناقشة:

| | | |
|---|---|---|
| 1– الأستاذ الدكتور: | أحمد شريفي | رئيسا . |
| 2– الأستاذ الدكتور: | قويدر بشار | مقررا . |
| 3– الأستاذ الدكتور: | عبد العزيز بوكنة | عضوا . |
| 4– الأستاذ الدكتور: | الحاج عيفة | عضوا . |

السنةالجامعية:

1437– 1438هـ/ 2015– 2016 م

من سورة المجادلة من الآية ١١ بعضه

# الإهـــــــــــداء

## ﴿إهـــــــداء﴾

إلى من صبرا لأجل راحتي ، و تحمّلا معا العناء و الشّقاء في سبيل نجاحي و سعادتي: **والداي العزيزين** أطال الله في عمرهما.

إلى دعامات أربع استندت عليهم و عرفانا لهم بجميل دعمهم لي: إخوتي **رشيد** ، **بلال سارة** و **مروة**.

إلى جميع الأهل و الأقارب الذين ساندوني بدعمهم و تشجيعهم المتواصل في المضي قدما نحو مشوار النجاح.

إلى إخوتي في الله و أحبتي ، أصدقائي و رفقاء دربي أينما كانوا و أينما حلوا أهدي ثمرة جهدي .

**عبد الرزاق قنيفي**.

# شـــکـــر و تـقـدیـــر

# ﴿ شكـر و تـقـديـر ﴾

عـرفـانـا مني بالـفضل و الـجميل ، إلى من كان لـه الـدور و الأثـر الكبيرين فـي إرشـادي و توجيهي نحو تحقيق هذا العمل ، أتقدم بخالص عبارات الشكر و الإمتنان و التقدير **للأستاذ الفاضل "بـشـار قـويـدر"**على قبوله بالإشراف على هذا العمل و صبره الكبير علي ، بالإضافة إلى منحه لي الكثير من وقته و جهده الثمينين ، فكان لإشرافه هذا الأثر البالغ و الواضح للخروج بهذه المذكرة بالصورة التي هـي عليهـا الآن ، فلك مني أستاذي و قدوتي تحية تقدير بـأخلص عبارات الشكـر و العرفـان و أدعو لك بدوام العافية و الصحة خدمة لطلاب العلم و أهله .

كما أتقدم بالشكر و التقدير إلى **أعضاء اللجنة المناقشة** على تفضلهم بقبول مناقشة هذه المذكرة ، و النظر فيها و بإبدائهم لآرائهم و ملاحظاتهم القيمة ، التي دلت على جهدهم و عنائهم الكبيرين في العمل على تدقيق و تصويب مضمونها بعناية و أمانة للخروج بها بالصورة المثلى ، فلكم مني أساتذتي أطيب عبارات الشكر و الإمتنان .

كما لا أنسى أن أتقدم بـجزيل الشكر و العرفـان إلى **الأستاذ القدير "عبد الرحمان لبناقـرية"**و زملائي **طلبة الماجستير التاريخ الوسيط** على دعمهم المتواصل بالمصادر و المراجع و إلى كل الطلاب من قريب أو من بعيد على مساهمتهم بما قدموه من مادة علمية متعلقة بهذا البحث فلكم مني أطيب التحية و أصدق عبارات الشكر و العرفان .

# الـمـقــدمـــــة

# الـمــقــدمـــة :

اعتنى الإسلام بالتعليم و منح العلم منزلة رفيعة و نال العلماء فيه مكانة قديرة لم تبلغه أي أمة من قبل و هي دلالة واضحة على مدى أهمية و قيمة العلم و العلماء منذ ظهـور الإسـلام و انتشاره في سائر البقاع , ودليل ذلك قول الله عز وجل في محكم تنزيله : " **شَهِدَ اللهُ أَنَهُ لَا إِلَهَ إِلَا هُوَ وَ المَلَائِكَةُ وَ أُولُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمْ**". **(الآية 18من سورة آل عمران)**.

و قد ذكر **الله** سبحانه و تعالى فضل العـلم و منزلتـه في كثير مـن آيـات الـقرآن الكريـم و هو تأكيد على مدى أهمية هذا الجانب في حياة المسلمين و عنايتهم له عبر مراحل الخلافة الإسلامية.

لقد ارتبط التعليم في بداية نشأة الدولة الإسلامية بشكل مباشر بأماكن مخصّصة لهذا الغرض حيث كان طلاب العلم يستقبلون من طرف العلماء المشرفين عليهم في المساجد التي اعتبرت من بين أقدم مراكز التعليم بالدولة الإسلامية ,كما كان طلبة العلم قبل ظهور المدارس التعليمية بمفهوم " **المدرسة**"يتتبعون العالـم أينمـا ذهب بـعد الإنتهـاء من التدريـس فـي المساجـد و بالتالي فإنّ المساجد إعتبرت بمثابة المدارس المخصّصة لطلب العلم بعد وظيفتهـا الأساسية المتمثلة في العبـادة و جاءت لتـهتم بشؤون طلبة العلم كمقـرّات و مراكـز تعليمية فـي سبيـل تحصيـل العلـم و طلبه و هـو مـا يفسّر موقعها (المساجـد) الذي كان يتوسط المدن في غالبيتها لتسهيل الوصول إليها.

و بقي التعليم و العلماء بنفس القيمة و الأهمية عبر مراحل الخلافة الإسلامية إلى غاية منتصف القرن 5هـ /11م الهجري أين شهد شيئا من التطور من خلال استحداث المدارس التعليمية بمفهومها الجديد عكس ما كان معمولا به حول أماكن ومراكز التدريس بالمشرق الإسلامي بمميزات يمكن إعتبارها نقاط تحول في الشكل العام لأماكن طلب العلم كمقرات الإيواء المخصّصة للطلبة المكتبات الملحقة بالمدارس ,أجور العلماء ,أوقات التدريس ، و هو دلالة واضحة على ما يوليه الإسلام من أهمية بالغة بهذا المجال الحسّاس، و مدى التطور الذي بلغه عبر العصور التاريخية .

إن ذلك التطور الفكري الذي صاحب الحياة العلمية ، أيام الخلافة العباسية على عهد الخليفة هارون الرشيد و إبنه المأمون حيث شهدت فيه الحياة العلمية و الفكرية تطورا هاما و مميزا بفضل نشاط بيت الحكمة الذي أنشأه هارون الرشيد و واصل المأمون دعم حركيته العلمية من

خلال جلب و نـقل مـختلف المصنفات من الهنـد و بـلاد فـارس و الـروم و اللاتين قصد ترجمتها و الإستفادة منها لتعبر تلك الفترة عن أزهى و أرقى مظاهر الحياة الفكرية و العلمية أيام عز الخلافة العباسية ، إلى غـاية حوالي منتصف القرن **5**هـ / منتصف القرن **11**م أيـن شهدت الحيـاة العلميـة و الفكرية نوعا من التطور في البناء الحضاري الداعم للنشاطها و إزدهارها، بحث تظافرت مجموعة من العوامل و في مقدمتها حالة الوهن و الضعف التي مرّت بها الخلافة العبّاسية من جهة ، و تحكّم **بني بويه** في زمام الأمور علـى العهـد العبّاسي و ظهور قوة **السلاجقة** و من بعدهم **الزنكيين** من جهة أخرى ، و اندفاعهم نحو حماية الخلافة الإسلامية و العمل على سيادة المذهب السنّي من جهة أخرى ، ساهم بشكل كبير في ازدهار الحياة العلمية و الفكرية .

إنّ الدور الكبير الذي لعـبه **السّلاجقة و الزنكيون** فـي رسـم معـالـم الإستقـرار السياسـي و إستعادة مكانـة المذهب العـام للخلافـة الإسلامية ( المذهب السني ) فـي الأقاليم التي حكموها كان له أثر واضح على الحياة العامة بها ، و خاصة جانب الحياة العلمية و ما ارتبط بهذا المجال من بناء حضاري عتيد عمل على دعم المشروع العلمي و الفكري **للسلاجقة** و **الزنكيين** بالمشرق و نخص بالذكر هنا المدارس التعليمية على العهدين .

إن الأهمية المرجوة من هذا البحث هو إبراز الحياة السياسية في **المشرق** في أعقاب تراجع دور **الخلافة العباسية** في أداء مهامها بعد تسلّط **بني بويـه** و تحكّمهم في جميع نواحي الحياة ، حتى أصبحت **الخلافة الإسلامية** قاب قوسين أو أدنى من الزوال ، لكن بظهور **قوة السلاجقة** و طبيعة عقيدتهم السنية ( **شافعية**) سمح ذلك بعودة الإستقرار السياسي بعدة أقاليم من المشرق الإسلامي بالقضاء على نفوذ **بـني بويـه** أولا ، و بعث إصلاحات داخلـية ثـانيا ، و كـان أبـرزهـا الحياة العلمية و الفكرية و التي مثّلت فيه المدارس **النظامية** دورا كبيرا فـي بـناء قاعـدة قـوية لبـعث الحيـاة العـلمية و الفكرية و إسهاماتها الحضارية بالمشـرق ، و ذلك بفضل تضافـر مجموعـة مـن العوامـل و في مقدمتهـا شخصيـة **الـوزراء و السلاطين السلاجقة**، و علاقتهم بعلماء عصرهم و آثار ذلك في نجاح المشروع العلمي بالمشرق .

و تكمن كذلك أهمية هذا البحث في التأكيد على الدور الكبير الذي قام به **الزنكيون** في عودة الإستقرار السياسي والأمن في عدة حواضر ببلاد الشام بعد فترة من صراع أبناء البيت **السلجوقي** إثر وفاة **الوزير نظام الملك الطوسي و السلطان ملكشاه السلجوقي**، و ردّ الهجمات **الصّليبية** على **البلاد الإسلامية** في المشرق ، و حقيقة مشروعهم العلمي و أهدافه و إسهاماته

الحضارية في **الموصل و بعض من أقاليم بلاد الشام** بفضل تلك المنشآت القيمة من مدارس و مختلف المراكز العلمية التي شهدها عصرهم لتحقيق هدف واحد مشترك بين **المدرستين السلجوقية و الزنكية** و هو **بعث الحياة العلمية و الفكرية و العمل على إزدهارها** و الوقوف في وجه **الخطر الشيعي و الصليبي في المشرق.**

أما عن الإشكالية الأساسية في هذا البحث فتكمن في محاولة الإجابة على مجموعة من التساؤلات حول هذا الموضوع في مقدمتها :

**1–ما هي مراحل تطور أماكن طلب العلم في المشرق الإسلامي ؟ و هل يمكن اعتبار أنّ المدرسة مستقلة تماما عن هذا المسار التاريخي الذي مرّت به أماكن طلب العلم ؟**

**2– من هم الأتراك السلاجقة ؟ و ما هي أهم المحطات التي مرّوا بها للوصول إلى تحقيق النجاح السياسي في المشرق ؟ و ما هي العوامل المساعدة على نجاح مشروعهم العلمي من خلال ارتباطه بالمدارس النظامية ؟**

**3– ما هي عوامل قيام حكم الأسرة الزنكية بالموصل و بلاد الشام ؟ و ما هي طبيعة العلاقة التي جمعتهم بالسّلاجقة الأتراك ؟ و ما هي انعكاسات هذه العلاقة في نجاح مشاريعهم الإصلاحية و في مقدمتها الحياة العلمية؟ و الدور الذي لعبته المدارس الزنكية و مراكزهم العلمية في مشروعهم العلمي و الفكري بالمشرق ؟**

**4– و ما هي الإسهامات الحضارية للمنشآت التعليمية على العهدين في الدولة الإسلامية في المشرق ؟**

و في سبيل الإجابة على مختلف هذهالتساؤلات ، و تحليلها اعتمد البحث على خطة تشكلت من مقدمة و أربعة فصول جاءت على النحو الآتي :

**أما مقدمة البحث:** فقد تضمنت إبراز أهمية الموضوع ، بالتطرق للدور الكبير الذي لعبه **السلاجقة و الزنكيون** بعودة الإستقرار السياسي للدولة الإسلامية أيام **الخلافة العباسية** و الحديث على الإشكالية العامة للموضوع و التذكير بالموضوعات التي احتوت عليها الرسالة مع الإشارة إلى أبرز الدراسات التيكانت لها علاقة بالموضوع ، و المنهج العلمي المتبع ، بالإضافة إلى استعراض لأهمّ المصادر و المراجع التي اعتمد عليها البحث .

**و في الفصل الأول:** تناولت فيه الحديث عن نشأة دور العلم بالدولة الإسلامية و أهم مظاهر تطورها ، من خلال التعرض لأهم المحطات التي مرت بها دور طلب العلم وصولا إلى مظهرها الذي عرف بالمدرسة بالدولة الإسلامية .

**أمـا الفصل الثاني:** فقد حاولت فيه إظهار واقع **الخلافة الإسلامية** و العوامل المساعدة على ظهور **قوة السلاجقة** و على **نجاح مشروعهم العلمي،** و أهم **المدارس التعليمية في عهد هذه الدولة** بالإضافـة إلى الحـديث عـن **علاقـة علمـاء العصـر السلجوقي** ودورهـم فـي **ازدهـار الحيـاة العـلميـة و الفكريـة ودعم انتشار المدارس في تلك الفترة .**

**و في الفصل الثالث:** فقد تحدثت فيه عن **مدارس التعليم في العصر الزنكي،** من خلال ذكر **العوامل المساعدة على نجاحهم السياسي،** ثم الحديث عن الظروف التي ساعدت **الزنكيين** في **بعث مشروعهم العلمي بالموصل و بعض مدن بلاد الشام،** و **أهم المدارس و المراكز العلمية التي ظهرت في عـهدهم و مميزاتها.**

**أما الفصل الرابع:** فقد كان بمثابة الإستنتاج للموضوع من خلال الحديث عن **طبيعة العلاقة بين المدرستين السلجوقية و الزنكية ، و حقيقة إسهاماتهما الحضارية بالمشرق في تلك الفترة .**

**في حين جاءت الخاتمة** لتكون بمثابة استنتاجات حول موضوع الدراسة .

كما يجب التأكيد على أهمية الدراسات السابقة التي لها علاقة بهذا الموضوع و دورها في أخذ صورة أو ملامح عن كيفية معالجته و تحليله ، و لعل أهم تلك الدراسات نذكر :

*** أيمن شاهين سلام : المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ، مذكرة نيل درجة دكتوراه الفلسفة شعبة التاريخ الإسلامي ، جامعة طنطا بمصر ، 1420هـ/1999م، و التي تناول فيها صاحبها بدراسة الحياة العلمية ، جانب المدارس التعليمية في مصر في العصر الأيوبي ، و التي سمحت لي بالتعرف على خصوصيات أماكن التعليم بالدولة الإسلامية .**

*** حسام الدين السامرائي : الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، رسالة دكتوراة في الحضارة و النظم ، العراق 1405 هـ /1985م ، و التي تناول فيها صاحبها واقع الحياة العلمية في العراق زمن السلاجقة بعرض مختلف مظاهر الحياة العلمية و الفكرية في تلك المرحلة ، و التي سمحت لي بالتعرف على أسباب عناية السلاجقة بالجانب الفكري و العلمي .**

*** هيفاء عبد الله البسام : الوزير السلجوقي نظام الملك ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تاريخ إسلامي ، جامعة أم القرى ، 1400 هـ/1980 م ، و التي عملت صاحبتها على الإحاطة بجميع جوانب حياة هذه الشخصية الفذة في تاريخ السلاجقة ، و التي ساعدتني كثيرا في أخذ فكرة واضحة عن الوزير القدير نظام الملك الطوسي .**

*** مسفر سالم الغامدي : الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عصر الأسرة الزنكية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة أم القرى ، 1403هـ/1983م ، و التي تحدث فيها**

**صاحبها عن أطوار ظهور هذه الأسرة و نشاطها الجهادي ضد التواجد الصليبي بالشام ، و قد سمحت لي بالتعرف على عوامل ظهور الأسرة الزنكية آنذاك ، و غيرها من الأعمال.**

و قد اعتمد الباحث على **منهج تاريخي تحليلي،** بغرض عرض و تحليل مادة كتب التراجم و السير و أحيانا اتبع الباحث **أسلوبا و منهجا وصفيا** من خلال عرض ما احتوته مصنفات و كتب **الرحالة و الجغرافيون المسلمون و ما شاهدوه من مختلف مظاهر البناء و العمران لأهم المدن و الأقاليم التي جاء ذكرها في هذا البحث.**

إن نجاح أي بحث علمي لا يتحقق إلا بتوفر مادة علمية تكون بمثابة أساسات بناء أي عمل علمي ، و عليه فقد اعتمد هذا البحث على مجموعة من المصادر و المراجع كان لها أثر كبير في الوصول بهذا الموضوع إلى الصورة التي عليها الآن و في مقدمتها : **كتب التراجم و السير** و التي اعتمد أصحابها على نظام الحوليات في سرد الأحداث و الوقائع المتعلقة بأوضاع الخلافة العباسية قبيل ظهور السلاجقة و الزنكيين بتحليل و تفصيل ، ساهمت بشكل واضح بالتعرف على مختلف الحقائق التي صاحبت تلك الفترة و في مقدمتها : **إبن الأثير (أبي الحسن علي بن محمد الجزري) الكامل في التاريخ وابن الأثير التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل و الذي يعتبر مادة ذات أهمية بالغة في الدراسات المتعلقة بمثل هذه المواضيع ، و خاصة التاريخ الباهر الذي تحدث صاحبه فيه عن تاريخ الأتابكة الزنكيون و كتاب إبن الجوزي (أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد ) المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، و كتاب الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير) تاريخ الرسل و الملوك و كتاب ابن كثير (أبي الفداء إسماعيل بن كثير) البداية و النهاية ، و كتاب الذهبي تاريخ الإسلام و كتاب ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد) تحت عنوان الأنباء في تاريخ الخلفاء، و كتاب جلال الدين السيوطي الموسوم بتاريخ الخلفاء كلها اعتمدت نظام الحوليات كما سبق و أشرنا إليه .**

**و يعتبر كتاب العماد الأصفهاني الموسوم بتاريخ دولة آل سلجوق إختصار الفتح البنداري و كتاب ناصر بن علي الحسيني تحت عنوان أخبار الدولة السلجوقية من أهم الكتب التي تحدثت عن تاريخ السلاجقة و أهم الأحداث التي صاحبت ظهور دولتهم ، و لعل كتاب الوزير القدير نظام الملك الطوسي الموسوم بسياست نامة أو سير الملوك اعتبر من أهم الكتب الذي إختصر فيه صاحبه تجربته السياسية في الوزارة على عهد سلاطين الدولة العظام و تعرضه إلى ذكر أهم العوامل المساعدة على تحقيق النجاح و الإستقرار الداخلي و الخارجي و الذي يعد من بين أشهر المصنفات في تلك الفترة بالإضافة إلى كتاب أبو شامة المقدسي تحت عنوان الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية الذي تحدث فيه صاحبه على أهم الأحداث و الإنجازات التي حققها الزنكيون بالموصل و بلاد الشام.**

و من المصادر التي أفادت هذا البحث الكتب التي إهتمت بالحديث عن سير الأعلام و المشهورين من تاريخ المسلمين بذكر تفاصيل حياتهم و أهم أعمالهم و التي شكلت جانبا مهما من مادة البحث على اعتبار أن الموضوع مرتبط أساسا بشخصيات و أعلام صنعوا أمجاد الدولتين السلجوقية و الزنكية ، في المجالات السياسية و الفكرية و التي أثرت في الحضارة الإسلامية بالمشرق و في مقدمتها : الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) سير أعلام النبلاء و كتاب الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير) تاريخ الرسل و الملوك و كتاب ابن الأثير (أبي الحسن علي بن محمد الجزري) أسد الغابة في معرفة الصحابة و كتاب ابن العماد (شهاب الدين عبد الحي بن أحمد العكري) شذرات الذهب في أخبار من ذهب و كتاب جمال الدين أبي الحسن علي الموسوم بأخبار العلماء بأخيار الحكماء ، و لعل مصنف تاج الدين السبكي بعنوان طبقات الشافعية الكبرى من بين أهم المصنفات التي تحدثت عن علماء و أعلام الشافعية الذين إرتبط إسمهم بنجاح المشروع العلمي للسلاجقة بالمشرق ، بالإضافة إلى مصنف بن أبي الوفاء الموسوم بالجواهر المضية في طبقات الحنفية و التي تحدث فيها عن أعلام المذهب الحنفي الذين إرتبط إسمهم بإزدهار الحياة العلمية و الفكرية ببلاد الشام أيام الزنكيين ، و غيرها من الكتب التي سارت على نفس النسق في الترجمة لمشاهير و أعلام الإسلام .

و إلى جانب هذه المصادر المهمة اعتمد البحث على كتب الرحلة و الجغرافيا و التي اعتبرت مادة مميزة في التعرف على أهم المدن و الحواضر الإسلامية في المرحلة التي عالجها البحث ككتاب : ابن حوقل (أبي القاسم أبن حوقل النصيبي) صورة الأرض ، و كتاب ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله) بعنوان معجم البلدان ، و كتاب ابن جبير بعنوان رحلة ابن جبير ، و كتاب ابن بطوطة الموسوم برحلة ابن بطوطة . و غيرها من الكتب التي استفاد منها البحث كثيرا إلى جانب ما تقدم من مصادر في هذا المجال من الدراسة .

﴿ و الله ولي التوفيق ﴾

# الفصل الأول

## نشأة دور العلم بالدولة الإسلامية

## و أهم مظاهر تطورها

*** المبحث الأول : أهمية العلم و مكانة العلماء بالدولة الإسلامية**

*** المبحث الثاني : دور العلم بالدولة الإسلامية و أهم مظاهر تطورها**

**1- المسجد أول معاهد التعليم**

**2- خزائن الكتب**

**3- دار العلم ودورها التعليمي**

**4- "المارستان" إقامة المرضى**

**5- الخان مقر إقامة التجار و ملتقى طلاب العلم**

**6- الخوانق و عمل رجالات الصوفية**

**7- المدرسة و أهم مميزاتها**

## المبحث الأول : أهمية العلم و مكانة العلماء بالدولة الإسلامية :

لقد أعلى **الله عز وجل** منزلة العلم و العلماء ،و أغدق عليهم أسمى الدرجات و أوضح دليل على ذلك قوله تعالى في محكم تنزيله :﴿ **أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَ قَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَذِينَ لَا يَعْلَمُونْ إِنَمَا يَتَذَكَرُ أُولُوا الْأَلْبَابْ**﴾[1] و هي دلالة على تفضيل الله لأهل العلم و نفيه للمساواة بينهم و بين الذين لا يعلمون و أنهم ليسوا في نفس المنزلة [2]، و قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُهَا الَذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَحُوا فِي المَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحْ اللهُ لَكُمْ وَ إِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعْ اللهُ الَذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتْ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرْ**﴾[3]، و هو إقرار من **الله جل جلاله** بسمو و رفعة المؤمن العالم عن المؤمن غير العالم و إظهار لفضل **الله** على هذه الفئة في الدنيا و الآخرة بمعنى حسن المنزلة و الإحترام في الدنيا و علو المكانة و الرفعة في الجنة عن باقي أهلها [4].

و حث الإسلام على ضرورة طلب العلم و تداوله و المواظبة عليه في قوله تعالى: ﴿ **فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقْ وَ لَا تَعْجَلْ بِالقُرْآنِ مِنْ قَبْلُ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِي زِدْنِي عِلْمَا**﴾[5]،حيث أمر **الله عز وجل** و حث عباده و **رسوله صلى الله عليه و سلم** بطلب العلم والزيادة فيه لما له من فضل و خير على سائر العباد و مثال ذلك مداومته **عليه الصلاة و السلام** لطلب العلم إلى أن وافه الأجل[6].

---

**(1)القرآن الكريم : سورة الزمر،الآية 9.**

**(2)سلم بن عيد الهلالي : بهجة الناظرين في شرح رياض الصالحين ،دار إبن الجوزي المملكة العربية السعودية ،ط8 ، 1425هـ/2004م، مج2،ص462 .**

**(3)القرآن الكريم : سورة المجادلة ،الآية 11 .**

**(4)أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري ،تح عبد العزيز بن عبد الله بن باز،دار السلام الرياض،دار الفيحاء دمشق،ط3،1421هـ/2000م ،ج1،ص186 .**

**(5)القرآن الكريم : سورة طه ، الآية 114 .**

**(6)سلم بن عيد الهلالي : المصدر السابق ،ص462 .**

كما أن في الحديث النبوي الشريف أقوال عديدة عن فضل طلب العلم و الحض فيه ، حيث أمر **صلى الله عليه و سلم** و حث المسلمين على التعلم لما لهذا المجال من أهمية و فضل كبير في قوله **عليه الصلاة و السلام:﴿ مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَة ،وَ إِنَ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ،وَ إِنَ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرْ لَهُ مَنْ فِي السَمَاءُ وَ الْأَرْضُ ،حَتَى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءْ ،وَ إِنْ فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدْ كَفَضْلُ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ ،إِنَ العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءْ إِنَ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِثُوا دِينَارًا وَ لَا دِرْهَمَا ،وَ إِنَمَا وُرِثُوا العِلْمَ ،فَمِنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ﴾**[1] ، و قد حث **صلى الله عليه وسلم** على ضرورة تداول العلم و العمل على نشره و الإنتفاع من تعلمه و في ذكر فضل ناشره قوله : **﴿نَضَرَ اللهُ إِمْرِءًا سَمِعَ مِنَا حَدِيثًا فَبَلَغَهُ ،فَرُبَّ مُبَلِغٍ أَحْفَظُ مِنْ سَامِعٍ﴾**[2] و قوله **صلى الله عليه وسلم** في سنن **أبي داود** :**﴿نَضَرَ اللهُ امْرِأً سَمِعَ مِنَا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَى يُبَلِغَهُ ،فَرُّبَ حَامِلُ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ،وَرُبَ حَامِلُ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ ﴾**[3]، و في سنن **الترمذي** قوله **صلى الله عليه وسلم** : **﴿نَضَرَ اللهُ اِمْرِأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَ حَفِظَهَا وَ بَلَغَهَا ،فَرُّبَ حَامِلُ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَ قَلْبُ مُسْلِمٍ : إِخْلَاصُ العَمَلِ لله ،وَ مُنَاصَحَةُ أَئِمَةِ المُسْلِمِيَنَ ،وَ لُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ ،فَإِنَ الدَعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ﴾**[4].

---

**(1)إبن ماجة (أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني) : سنن إبن ماجة ، تعليق محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف الرياض ، ط1،1417هـ/1994م ،[حديث صحيح /223] ص56؛ الترمذي ( محمد بن عيسى بن سورة الترميذي ) : سنن الترميذي ،تعليق محمد ناصر الدين الألباني ،مكتبة المعارف الرياض ،ط1،1417هـ/1994م ،[حديث صحيح/2682]،ص604؛ أبي داود (سليمان بن الأشعث السجستاني) :سنن أبي داود ،حكم و تعليق محمد ناصر الدين الألباني ،مكتبة المعارف الرياض ،ط1،1417هـ/1994م ،[حديث صحيح /3641]،ص 552.551 .**

**(2)إبن ماجة : المصدر السابق ،[حديث صحيح /232] ،ص57 .**

**(3)أبي داود : المصدر السابق ،[حديث صحيح/3660]، ص 554 ؛ ابن ماجة : المصدر السابق[حديث صحيح/230] ،ص 57؛ الترميذي : المصدر السابق ،[حديث صحيح /2656] ،ص 598 .**

**(4) المصدر نفسه ،[حديث صحيح/2658]، ص599 .**

و يعتبر **صلى الله عليه و سلم** أول المشجعين على طلب العلم بعد ما ورد من آيات بينات في القرآن الكريم تحث على ذلك كما سبق و أشرت إليه ،و دلالة ذلك موقفه من أسرى غزوة بدر بعد إختلاف الصحابة رضوان الله عليهم في أمرهم وة فصل فيهم **عليه الصلاة و السلام** أنه فادى من له مال من أهل مكة و من لم يملك فداءه منح له عشرة من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة و القراءة و ذلك هو فدائهم [1].

إنطلاقا من أهمية العلم و مكانة العلماء في كتاب **الله عز وجل** و سنة **نبيه صلى الله عليه و سلم** ، و حث الإسلام عليه ، فإنه و بدون أدنى شك إرتبط التعليم بالدولة الإسلامية منذ بداية نشأتها و عبر مختلف العصور و المراحل التاريخية بمعاهد و إن صح القول أماكن و مدارس مخصصة لطلب العلم و تداول مختلف العلوم .

إن إزدهار الحياة العلمية و تطور المعاهد و المراكز التعليمية بالدولة الإسلامية مرهون بعدة عوامل من بينها نذكر مثلا : شخصية و توجهات خلفاء الدولة الإسلامية في مختلف فتراتها و مدى شغفهم و حبهم للعلم وطلبه ، فيذكر لنا **إبن الطقطقا** أن الخليفة العباسي **المأمون*** كان أحد أعلم و أعظم الخلفاء العباسيين، فذكر عنه حبه و ولعه الشديد بجمع الكتب النادرة في جميع اللغات

---

**(1)إبن الجوزي (أبي الفرج عبد الرحمآن بن علي بن محمد ) : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، مراجعة نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية بيروت 1412هـ/1992م،ج3 ،ط1 ، ص110 .**

**(*) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ولد سنة170هـ/779م،بويع بالخلافة سنة 198هـ/807مبعد صراعه مع أخيه الأمين ومصرع هذا الأخير حول كرسي الخلافة ،ما يذكر له أنه كان مولعا بالمطالعة و طلب العلم ،و كان من رجال بني العباس حزما و عزما ،رأيا و عقلا حتى قيل عنه أعلم الفقهاء بالفقه و علم الكلام توفي المأمون و هو غازي بطرسوس سنة 218هـ/827مو عمر 48سنة.**

**– الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان):سير أعلام النبلاء،تحقيق شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي،مؤسسة الرسالة بيروت1402هـ/1982م ،ط1،ج10، ص 272 و ما بعدها.**

و الإختصاصات[1]،كما أشار أن **المأمون** شجع البعثات العلمية إلى سائر الأقطار ، و جمع تلك الكتب و المصنفات من عدة بلدان كالهند و فارس و الروم وأرسلها إلى بيت الحكمة **بَبَغْدَادْ*** للعمل على ترجمتها و محاولة الإستفادة منها [2]،و هو ما يعكس دور الخلفاء في بعث الحياة العلمية و إزدهارها من خلال ما يوفروه من دعم مادي و تحفيز معنوي يساعد على رقي هذا الجانب في الحياة الثقافية و الحضارية بالدولة الإسلامية

لقد ساهمت مجموعة من العوامل في ظهور **المدرسة** بالدولة الإسلامية بالمفهوم الذي هي عليه الآن في مقدمتها تطور دور طلب العلم **كالمسجد،** و كذلك تأثير المراحل التاريخية التي رافقتها منذ فترة صدر الإسلام إلى غاية **النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / النصف الثاني من القرن الحادي عشر ميلادي** أين أعطى **السلاجقة** المفهوم الفعلي لها من خلال تشييد **المدارس النظامية** عبر مختلف أقطار الخلافة الإسلامية في تلك الفترة ، و ما تميزت به عن بقية المدارس التي ظهرت

---

**(1) إبن الطقطقا (محمدبن علي بن طباطبا) : الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية ، دار صادر بيروت ، بدون تاريخ ، ص216 .**

**(*) بغداد أم الدنيا ، سيدة البلاد و مدينة السلام ، شيدها الخليفة العباسي المنصور و سماها مدينة السلام ، لكن في أصلها بناها أحد ملوك الفرس فقال في معناها "خلوها في سلام " ،فأخذ عنها المنصور و سمى مدينته ، شرع في عمارتها حوالي سنة 145هـ/754م و أتم بناها و سكنها سنة 149هـ/758م ، ومنذ هذه السنة و مدينة السلام عاصمة للخلفاء العباسيين و حاضرة للمسلمين لأهميتها السياسية و العلمية و الحضارية .**

**–ابنحوقل(أبي القاسم أبن حوقل النصيبي):صورةالأرض،دار الكتب العلمية بيروت،1992م ، ص216.215؛ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله) : معجم البلدان ،دار صادر بيروت، مج1 ص 456 وما بعدها .**

**(2)إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي و الحضاري ، الشركة العلمية للكتاب بيروت ،ط 1 ، 1989، ص88؛ Salah Zaimech:Baghdad,Fondation for science tecnology and civilisation , PUD.ID4089 ,jeune 2005 ,Manchester United Kingdom , p 5.**

قبل هذا العهد [1].

و لمعرفة بدايات ظهور أماكن طلب العلم و نشأتها و طريقة عملها بالدولة الإسلامية و أهم محطات تطورها ، يجب علينا في بادئ الأمر معرفة مصدرها و الفكرة الرامية لوجودها لأن مثل هذه المعاهد و المؤسسات لم تنشأ بمحض الصدفة أو لم تأت هكذا مباشرة دون وجود عوامل و مراحل ساعدت و ساهمت في بلوغها مستوى معين من التطور ، و لا يمكننا حصرها في إطار زماني محدد يكون بمثابة بداية لنشأة هذه المدارس بالدولة الإسلامية بل يجب علينا معرفة أن مصطلح أو تسمية «**مَدْرَسَة**» جاء نتيجة تراكمات لمراحل و فترات زمنية مختلفة تطورت خلاله دور و أماكن طلب العلم حتى بلغت إكتمالها في الصورة التي تعرف في كتابات المؤرخين و الباحثين بهذا الإسم **(مدرسة)** .

و في ما يلي محاولة لعرض أهم المراحل و الفترات التاريخية التي مرت بها المؤسسة أو المعاهد التعليمية و دور طلب العلم بالدولة الإسلامية .

---

(1)**Ahmed Raza Khan and others** : **Patronage of learning**,**the journal ofpolitical science**, **G**.**C**.**University**,**Lahore** , **pp 47–56**.

## المبحث الثاني : دور طلب العلم نشأتها و أهم مظاهر تطورها

### 1- المسجد أول معاهد التعليم

لما هاجر **الرسول صلى الله عليه وسلم** إلى المدينة جاء الإضطهاد و التهديد من قبل قريش كان أول ما قام به هو بناء مسجده **بِقِبَاءْ*** على أرض كانت لغلامين يتيمين ، و يذكر أنه كان بها نخل و حرث و قبور من قبور الجاهلية ، فأشار صلى الله عليه و سلم على أهلها بدفع ثمنها ليبني بها المسجد النبوي و مساكن له و لصحابته ،فكان له ذلك ، وقد ساهم في بناءه نبينا عليه أفضل صلاة و سلام و صحابته الأبرار و الأنصار من أهل المدينة ، و عند إكتمال بناءه قام **صلى الله عليه و سلم** بإلقاء أول خطبة و صلاة جمعة به في الإسلام [1]،كما إتخذ **الرسول عليه الصلاة و السلام** من مسجده هذا مكانا لتعليم المسلمين و إعتبر بمثابة مدرسة تمكنهم من تعلم القراءة و الكتابة [2].

---

**(*) قباء هي قرية تبعد عن المدينة بحوالي ميلين ،و تكون على الجهة اليسرى من يكون مسافرا قاصدا مكة و تتوفر على عديد البنيان ، و يذكر أنها تتوفر على مجموع آبار به مياه عذبة ، و هي مقصد الرسول عليه الصلاة و السلام و من معه من الصحابة والمهاجرين و بها بنى مسجده الذي كانت قبلته إلى بيت المقدس لحولي سنة من الزمن ثم إلى الكعبة .**

**- ياقوت الحموي :المصدر السابق ، ج4 ، ص302 .**

**(1) الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الرسل و الملوك ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف ، مصر ، بدون تاريخ،ط2،ج2، ص 395.397؛إبن الأثير (أبي الحسن علي بن محمد الجزري):الكامل في التاريخ ،تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية بيروت ،ط1،1407هـ/1987م، مج2، ص9؛إبن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ،مج3، ص68.67 ؛إبن كثير (أبي الفداء إسماعيل بن كثير) :البداية و النهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر مصر، ط1 ،1417هـ/1997م ج4 ، ص530 و ما بعدها.**

(2) **Ahmed Riza Khan And Others** : **op cit** , **p48**.

و قد إهتم صلى الله عليه و سلم و صحابته الأبرار من بعده بالمسجد النبوي و عملوا على توسعته خاصة عهد خلافة **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** *، و اكتسى المسجد النبوي و باقي مساجد المسلمين عبر مختلف مراحل تطور الدولة الإسلامية أهمية بالغة ، على اعتبار أن جميع شؤون المسلمين كانت تدار و تناقش في المسجد قبل أن توجد لها أبنيتها و أماكنها الخاصة ودلالة ذلك إتخاذ علماء التفسير و الحديث على سبيل المثال من المساجد مقرا ومكانا لحلقاتهم و إلقاء دروسهم على طلبة العلم ، كما تعددت طرق الإستفادة من المساجد و استخدمت فيما بعد لغرض تعليم اللغة العربية و أصول الدين كالفقه و التفسير و الحديث [1].

---

**(*) هو عمر بـن الخطاب بن نفيل بن عدنان القرشي ، لقبه أهـل الكتاب بالفاروق ، أسلم و عمره سبع و عشرون سنة ،و قد شهد رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة بدر ، أحد ، كما شهدت فترة خلافته أعظم الفتوحات الإسلامية تحسب له عن باقي من جاؤوا بعده من الخلفاء كفتحه : الشام ، بيت المقدس ، أرمينية ، الإسكندرية ، خراسان ،ونيسابور ، و يحسب له أيضا أنه أول من بادر بكتابة التاريخ ، كما يذكر أنه أول خليفة لقب بأمير المؤمنين ، توفي رضي الله عنه مقتولا بطعنة من قبل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة و ذلك حين عودته من الحج أواخر شهر ذي الحجة عن عمر ناهز ثلاث و ستين سنة ، دفن بجوار الرسول صلى الله عليه و سلم و أبو بكر و الصحابة رضوان الله عليهم بأمر من عائشة رضي الله عنها .**

**– إبن الأثير (أبي الحسن علي بن محمد الجزري) : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق و تعليق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ،تقديم محمد عبد المنعم البري و آخرون ،دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ ،ج4، ص 137 و ما بعدها ؛إبن الأثير : الكامل في التاريخ،ج2، ص 449 و ما بعدها ؛إبن كثير : البداية و النهاية ، ج10 ، ص 180 و ما بعدها .**

**– إبن العماد (شهاب الدين عبد الحي بن أحمد العكري) :شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تحقيق و تعليق عبد القادر الأرناووط و محمود الأرناؤوط ،دار إبن كثير دمشق و بيروت، ط1،1406هـ/1986م مج1 ، ص 177 و ما بعدها .**

**(1) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي ،مكتبة النهضة المصرية القاهرة و دار الجيل بيروت،ط14،1416هـ/1996م، ج1 ، ص 425. 426 .**

و يذكر أن معظم حلقات طلب العلم كانت تلقى في المساجد ، و أورد أيضا أن المساجد كانت من أبرز المعاهد العلمية التي إعتبرت مقصدا ووجهة لطلاب العلم [1].

و يعتبر جامع (مسجد) الخليفة العباسي **المنصور*** ببغداد من أقدم المساجد و أحد أبرز و أشهر المعاهد و المراكز التعليمية بالدولة الإسلامية [2].

بقيت المساجد محافظة على ريادتها كمراكز و معاهد دينية خاصة في دراسة القرآن الكريم و أحكامه و الحديث ، و الفقه و اللغة و تنوعت العلـوم التي كانت تدرس و تلقى فـي المساجد و الحلقات المنعقدة بها ، و يظهـر جليا هـذا الإزدهـار في عهد الخلافة العباسية و أدق مثالا على

---

**(1)آدم ميتز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريد ، دار الكتاب العربي بيروت ،ط5 ، بدون تاريخ ،مج1 ، ص 332.**

**(*) هو الخليفة العباسي أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الملقب بالمنصور ،ولد حوالي 95هـ/704م ، لقب بفحل بني العباس ،كان على قدر كبير من الهيبة و الشجاعة ، يروى عنه أنه كان محبا لطلب العلم و الفقه و مجالس العلماء بويع بالخلافة سنة136هـ/745م ،و خاض لأجل ذلك قتالا مريرا حتى وطد ملكه شيد مدينة بغداد التاريخية ،حكم معظم أقاليم الدولة الإسلامية إلا شبه جزيرة إيبريا ( الأندلس ) كما أنه كان حازما وجامعا للمال و بعيدا كل البعد عن حياة اللهو والترف ، توفي سنة 158هـ/767م عن عمر ناهز 63 سنة .**

**– الطبري : المصدر السابق ،مج7 ، ص371.372 ؛و عن سير الخليفة المنصور أنظر : الطبري : المصدر نفسه ، ج8 ، ص62 و ما بعدها ؛إبن الأثير: الكامل في التاريخ مراجعة وتحقيق محمد يوسف الدقاق ،دار الكتب العلمية بيروت،ط1،1407هـ/1978م،مج5 ، ص219 و ما بعدها ؛الذهبي: المصدر السابق ، ج7، ص83 و ما بعدها ؛السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان) : تاريخ الخلفاء ، دار ابن حزم بيروت 1422هـ/2003م ، ص206. 207 .**

**(2) آدم ميتز : المرجع السابق ، ص 332.**

ذلك مسجد **البَصْرَة*** الذي كثرت و تنوعت به مجالس العلم وحلقاته كالفقه و الأدب [1]. إن خاصية التعليم في المساجد كونها أول أماكن طلب العلم هو أن طلبة العلم متكافئون في فرص التعليم، و يظهر في إختيارهم لحلقة العلم و فقيهها كما أنهلا يوجد أي حرج للمتعلم في الإنتقال من حلقة إلى أخرى في حال إنتهائه من الأخذ عن فقيه الحلقة الأولى ، و هو ما يعكس يسر و سهولة تلقين شتى العلوم على اعتبار تنوع حلقات طلب العلم و تخصصاتها [2].

لكن ما لبث المسجد أن فقد تلك الأهمية من كونه مقرا جامعا لجميع أمور المسلمين و فقد تدريجيا أهميته السياسية و الإجتماعية بظهور أماكن جديدة إختصت في إدارة شؤون الخلافة كذلك تطور نشاط الدواوين التي أعطت مظهرا منظما لإدارة شؤون الدولة الإسلامية ، ليبقى المسجد يختص فقط على إقامة الخطب الدينية ، التذكير بمناقب **الرسول الكريم عليه الصلاة و السلام** و صحابته رضوان الله عليهم ،أضف إلى ذلك الدعاء للخلفاء و الإعلان لولايتهم [3].

---

**(*) يذكرها ابن حوقل على أنها مدينة عظيمة شيدها المسلمون أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيرة الأنهار و البناء كالقصور و البساتين الفائقة الجمال ، و هي محطة هامة للتجار من مختلف الأقطار .**

**– ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 212 . 214 .**

**أما الحموي فيصفها على أنها أشهر مدن العراق بعد بغداد ، يقول ابن الأنباري أن البصرة في كلام العرب تعني : الأرض الغليظة ،موقعها في الإقليم الثالث ، طولها أربع و سبعون درجة ، و عرضها إحدى و ثلاثون درجة ، بها طرق متفرعة و كثيرة و تتشعب إلى أماكن مختلفة ، و يذكر ياقوت الحموي أن هناك بصرتان " البصرة العظمى بالعراق " و الأخرى بالمغرب بلغها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه و هي أعظم مدن العراق .**

**– ياقوت الحموي : المصدر السابق ، مج1 ، ص 430 و ما بعدها .**

**(1) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ج2 ، ص 284 .**

**(2) طرفة عبد العزيز العبيكان : الحياة العلمية و الإجتماعية في مكة ،مكتة الملك فهد الوطنية الرياض 1416هـ/1986م ، ص 64 .**

**(3) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 426.427 ؛ و عن المسجد و دوره في ظهور دور العلم أنظر : أيمن شاهين سلام : المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ، مذكرة نيل درجة الدكتوراه الفلسفة شعبةالتريخ الإسلامي ، جامعة طنطا بمصر ، 1420هـ/1999م ، ص 23.22.**

## 2-خزائن الكتب

عرف عن المسلمين ولعهم الشديد و رغبتهم فيالقراءة و المطالعة خاصة في **القرن الثالث الهجري/ القرن التاسع ميلادي**كما تميزوا بالعمل في جمع النادر من المصنفات و المجلدات ما دفع بهم إلى إيجاد أو تخصيص أماكن لحفظها و عرفت بخزائن الكتب ،و قد اشتهر عدد كبير من أعلام المسلمين الذين اختصوا في هـذا المجال لعل أبرزهم : **الجاحظ*** ، **الفتح بن خاقان** **، و **إسماعيل**

---

**(*) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي المشهور بالجاحظ ، إعتبر بحرا للعلم و مرد ذلك كثرة تصانيفه ،و إلمامه بكم هائل من الكتب حتى قيل عنه : لم يقع كتابا بيده إلا و أتم قرائته و تعدى ذلك إلى حد أنه كان يكتري دكاكين الكتبيين و يبيت بها لأجل المطالعة و إستيفاء مصنفاتها، يعتبر بذلك داهية في الحفظ ،له الكثير من التصانيف كالبيان و التبيين ، حانوت عطار المعلمين ، الرد على النصارى و الرد على اليهود توفي بسقوط مجلدات العلم عليه بحسب رواية ابن زبر سنة 250هـ/859م ،و عن رواية الصولي 255هـ/864م ،و قد إتفق معه ( الصولي ) في وفاة الجاحظ ابن العماد و ابن خلكان و ذكرا عنه (الجاحظ) أنه مؤسس فرقة الجاحظية من المعتزلة .**

**– ابن خلكان : المصدر السابق ، مج3 ، ص 470–475؛ الذهبي : المصدر السابق،ج11،ص 526–530 ؛إبن العماد : المصدر السابق ، مج3 ، ص 231 .232 .**

**(**) هو أبو محمد التركي المشهور بالأمير الكبير و الوزير الأكمل ، عرف عنه البلاغة و كتابة الشعر كان على قدر كبير من المحاسن و الجود ،و ذو ذكاء باهر و ذا باع في فنون الأدب، إستوزره المتوكل و كان من المقربين منه ، ولي على الشام وقد وضع (الفتح بن خاقان) ممثلين عنه بها،كما أنه قدم إليها في نفس الراحلة مع الخليفة المتوكل ،و اتفق الذهبي مع ابن العماد و ابن خلكان أنه قتل مع المتوكل بتدبير من إبنه المنتصر ليلة الثالث من شوال سنة 247هـ/856م.**

**– ابن خلكان : المصدر السابق ،مج1 ،ص 350 ؛الذهبي : المصدر السابق ،ج12،ص 82.83؛ ابن العماد : المصدر السابق ، مج3 ، ص 218 .219 .**

**بن اسحاق القاضي*** و غيرهم من الأعلام [1].

هذا ما يفسر إزدهار المكتبات بالمساجد و تنوع موجوداتها من الكتب في شتى الميادين و المجالات لأنه من عادة العلماء و الأئمة أصحاب حلقات التدريس بالمساجد أن يوقفوا كتبهم عليها خدمة و منفعة لطلاب العلم [2]، لكن يعتبر الخليفة العباسي **المنصور**أول من إهتم بمثل هذا النوع من الأماكن حيث خصص خزانة عمل على جمع النوادر من المصنفات في شتى أنواع العلوم حتى وصل به الأمر إلى طلب جزء منها من نظرائه **الرّوم** و عكف على ترجمتها ، ليمهد الطريق لخلفه من بني العباس في تطور الإهتمام بهذه الأماكن [3].

و قد وصل حد الولع بجمع المصنفات و النوادر من الكتب أن إزدهرت مكتبات **الأَنْدَلُسْ****

---

**(*) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل ، الإمام العلامة ، و الحافظ الملقب بشيخ الإسلام ، ولي على قضاء مدينة بغداد ، كان على قدر كبير من الإحترام ، عالما في الفقه و الحديث و الأصول، ، صنف "الموطأ ،و المسند ،و علوم القرآن ، و مصنف ((أحكام القرآن)) و ((معنى القرآن)) و كتاب في القراءات ،توفي ببغداد سنة 282هـ/891م .**

**–الذهبي: المصدر السابق ،ج13،ص339.341؛إبن العماد: المصدر السابق ،مج3،ص 334.335.**

**(1) آدم ميتز: المرجع السابق ،مج1، ص324 ؛ أنظر: أيمن شاهين سلام : المرجع السابق،ص24.25.**

**(2) المرجع نفسه ، ص 322 .**

**(3)أحمد عبد الباقي : معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري ، مكتبة الإسكندرية بيروت لبنان،ط1 ،1991، ص 288.289.**

**(**) الأندلس كلمة أعجمية لم يستخدمها العرب من القديم لكن تم تداولها بعد مجيء الإسلام و هي شبه جزيرة كبيرة ،تتصل الأندلس بالبحر المتوسط و البحر المحيط من خلال مضيق جبل طارق و عرف عن أهلها أنهم أهل علم و إتقان في جميع صنائعهم ،كما تتوفر على مدن كثيرة.و ذكر ابن حوقل في كتاب صورة الأرض الأندلس تتوفر على مجاري مياه كثيرة و أنهار عذبة و تنوع في محاصيلها خاصة الأشجار المثمرة ،و أن أغلب أقاليمها مأهولة بالسكان لكثرة خيراتها و تنوع أنشطتهم.**

**–إبن حوقل : المصدر السابق ،ص 104 و ما بعدها ؛ياقوت الحموي : المصدر السابق ،ج1، ص 262 . 264 .**

و **مِصْرَ*** و إحتوت مئات المجلدات و التصانيف و تنوعها في مختلف المجالات التي تنافس فيها الخلفاء على جمع أثمنها و الأهم منها ، و هو ما ساعد على إزدهار العلوم و أماكن طلبها [1].

ذكر **ابن خلكان** مثلا أن **علي بن يحي المنجم** ** قد عمل على إنشاء مكتبة و وضع فيها أهم المجلدات و أكثرها تميزا و حكمة عن باقي الخزائن ،و عرف عن **خزانة المنجم** أنها كانت مقصدا لطلاب العلم من مختلف البقاع و البلدان بغرض طلب العلم و العمل على مصنفاتها و الإنتفاع من كتبها المميزة ،أضف إلى ذلك أن وقف هذه الخزانة كان من مال **علي بن يحيى**

---

**(*) مصر : سميت بهذا الإسم نسبة لمصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام ،فتحها عمرو بن العاص عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،و هي من أقدم و أعرق المدن عبر الأزمنة و العصور ، إرتبط بهذه المدينة قصة من قصص الأنبياء عليهم السلام و هي قصة « يوسف عليه السلام »و بها مدن ذات أهمية تاريخية لعل أبرزها : الإسكندرية ،الفسطاط ، مدينة القلزم ، و كورة الفيوم و أضاف ابن حوقل في وصف صورة مصر في كتاب صورة الأرض تفصيلا شاملا ، وذكر أنها موطن جليل و عظيم ، و مسكن الفراعنة الجبابرة كمصعب بن الوليد فرعون موسى ، و الوليد بن مصعب فرعون يوسف ، وما شهدته مصر من أكابر الفراعنة مابين هاذين العهدين .**

**– ابن حوقل : المصدر السابق،ص 126و ما بعدها ؛ياقوت الحموي : المصدر السابق ،ج5 ، ص 137 و ما بعدها .**

**(1) آدم ميتز : المرجع السابق ، مج1 ، ص 322 .**

**(**) هو ابو الحسن علي بن يحيى بن ابي منصور المنجم من خاصة و جلساء الخليفة العباسي المتوكل على الله ، و من المقربين منه و من جاء من بعده من الخلفاء ، يعتبر من أمناء خلفاء بني العباس في تلك الفترة ، كما ذكر أنهم كانوا يناقشونه في أسرارهم و أمورهم الخاصة ، بحكم أمانته التي تميز بها في بلاط العباسيين ، وقبل أن يتبوأ هذه المكانه الرفيعة ، إحتك بالوزير الكبير « الفتح بن خاقان » قام بإنشاء مكتبة قيمة أسماها الحكمة و ذلك انها كانت غنية بنوادر الكتب و التصانيف ، عمل أيضا في مجال كتابة الشعر فكان شاعرا حاذقا و صانعا للغناء ،يحسب العديد من المصنفات لعل أبرزها : كتاب الشعراء القدماء و الإسلاميين ،و كتاب أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي و غيرها، توفي سنة 275هـ/884م، و خلف أبناءا نجباء و علماء .**

**– إبن خلكان: المصدر السابق ، مج3 ، ص 373 .374 .**

**المنجم** نفسه بهدف دعم طلاب العلم و نشر مختلف العلوم[1].

أورد **ياقوت الحموي** أن مدينة **مَرْوُ*** كانت من بين المدن الأكثر إزدهارا و توفرا لخزائن الكتب وقد أحصاها وعدها في عشر خزائن و التي إحتوت بدورها على آلاف الكتب و المجلدات ، و قد أوقفت لتكون في خدمة طلاب العلم أبرزها :«**خزانة الكتب العزيزية ، الخزانة الكمالية ، و خزانة المدرسة العميدية**»[2] .

إلى جانب ما تقدم ، وردت في المصادر التاريخية أنه كانت هناك **خزائن كتب** أخرى توفرت بدورها على علماء و مصنفات وكانت هي الأخرى في خدمة طلبة العلم ، ففي حديث المقدسي عن وصفه لمدينة **رَامُهُرْمُزٍ**** تحدث عن أنه كانت بهذه المدينة **دار للكتب** حتى أنه شبهها في

---

**(1) آدم ميتز : المرجع السابق ، مج1 ، ص 325 .**

**(*) هناك تسميتان لهذه المدينة و لا بد لنا من التمييز بينها « مرو الروذ» و تعني الحجارة البيض التي تشعل النار و مفادها بالفارسية النهر، و هي قرية قريبة من مرو العظمى «الشاهجان». و« مرو الشاهجان» أو العظمى هي من أشهر مدن إقليم خراسان و الشاهجان بالفارسية تعني نفس أو روح السلطان ، على اعتبار أن الشاه تعني السلطان و جان تعني النفس أو الروح .و بها أنهار عديدة أكبرها «نهر الرزيق ،و الماجان » ، و تعرف هذه المدينة أيضا بمدينة الأئمة و العلماء أشهرهم «أبو بكر عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الله المروزي ، و أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسحاق المروزي »كما ذكر الحموي أن هذه المدينة هي مدفن لأربعة من الصحابة رضوان الله عليهم منهم «بريدة بن الحصيب ، الحكم بن عمرو الغفاري و سليمان بن بريدة » ، و أضاف الحموي على أن السلطان السلجوقي « سنجربن ملك شاه »قد إتخذها مقرا لإقامته و ضل هناك إلى أن توفي ودفن بها .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ،مج 5 ،ص 112 و ما بعدها .**

**(2) المصدر نفسه ، ص 114.**

**(**) فصل إبن حوقل ذكر إقليم خوزستان و ذكر أشهر مواقع الإقليم و مدنه و أهم مميزاتها من بينها «رام هرمز» .**

**– أنظر : ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 225 و ما بعدها.**

**و يقول عنها الحموي : هي أشهر مدن إقليم خوزستان ، و أصل التسمية فارسي ، و تنقسم إلى =**

وصفه لها أنها مماثلة لخزانة الكتب التي كانت **بالبصرة** ، وأضاف المقدسي أن هذه الخزانة خصص لها وقف لمن أراد طلب العلم أو نسخ الكتب ، و أوضح في شرح في حديثه عن مدينة **رامهرمز أنه** رغم الأهمية البالغة التي كانت تكتسيها هذه الدار بهذه المدينة إلا أن دار **البصرة** تبقى الأهم على إعتبار كونها هي الأكبر و الأعمر و الأكثر توفرا على المصنفات و الكتب النادرة [1].

كما ذكر **المقريزي** أن خزانة الكتب التي كانت **بمصر** احتوت على الكثير من الكتب و المصنفات الهامة و في شتى العلوم و قد كانت محفوظة في خزانة الكتب للخليفة **العزيز** * أشهرها

---

**= كلمتين هما : «رام» و تعني المراد و المقصود و «هرمز» هو لقب لأحد الأكاسرة ، و نستطيع القول بأن أصل الكلمة مركب و معناه «مراد هرمز»، و قد إختصر العامة من أهلها تسميتها في مفرد «رامز» كما تعتبر هذه المدينة اشهر مدن خوزستان تميزا كونها تضم أصنافا متنوعة من الأشجار لم تجتمع من قبل في باقي مدن هذا الإقليم كالنخل و الجوز و الأترنج .**

**– ياقوت الحموي :المصدر السابق ، ج3 ، ص17 .**

**و أضاف المقدسي على ياقوت الحموي في ذكر مدينة « رام هرمز » أنها تتوفر على أسواق كبيرة و مسجد غاية في الجمال ، و أفاد أيضا أن الخليفة عضد الدولة هو من شيدها ، و أضاف على أنها مدينة نظيفة بها خيرات كثيرة و أغلب سكانها حرفيون و تجار منهم العطارون ، كثيرة التساقط خاصة الثلوج في فصل الشتاء .**

**– أنظر : المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد) : احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،مطبعة بريل ليدن ،ط 2، ص 413 .414 .**

**(1) المصدر نفسه ، ص 413 .**

**(*) هو العزيز بالله ،أبو منصور، نزار بن المعز بالله ، معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بالله محمد بن المهدي العبيدي الباطني ، ولـي أمـر مصر و المغرب و الشام بعد أبيه المعز بالله، يحسب له إعتداله و نبذه سفك الدماء ، كان قريبا من الناس ذو خلق حسن ، شجاعا ،جوادا و حليما ، يرجع له الفضل في تشييد جامع مصر القاهرة ، قصر البحر و الذهب، و كذا جامع القرافة ، محبا للأدب و الشعر مهووسا بالصيد ، توفي سنة 386هـ/995م .**

**–ابن خلكان:المصدرالسابق ،مج 5،ص 371.375 ؛ ابن العماد: المصدر السابق ،مج 4، ص461.**

كتاب «**العين**» **للخليل بن أحمد*** الذي كان متوفرا بأزيد من ثلاثين نسخة منها نسخة مكتوبة بخط يد **الخليل** نفسه ،و لعل أبرز تلك الكتب و المصنفات كتاب «**تاريخ الطبري**»الذي حمله إليه رجل اشتراه **العزيز** منه بمائة دينار و لما أمر الخازن بإخراجه ،فأخرج له ما يتعدى عشرين نسخة منها كتاب بخط **الطبري****نفسه [1].

إن انتشار هذه الخزائن و ازدهارها يعود إلى جهود هؤلاء العلماء و غيرهم ، الذين عملوا على دعم مكتباتهم بأرقى المصنفات خدمة لطلاب العلم و عملا على ازدهار شتى أنواع العلوم.

---

**(*)أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي،كان رجلا صالحا،إماما و عالما بالنحو و العروض روي عنه أنه حين زار مكة دعا الله أن يرزقه علما لم يسبقه إليه أحد من قبل ففتح الله عليه بعلم العروض،من أقواله المشهور بها: «لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره»،من أبرز مؤلفاته :كتاب التنبيه على حدوث التصحيف كتاب العروض ، و لعل أبرزها على الإطلاق«كتاب العين» الذي اختص في اللغة حيث يذكر أقرب العلماء له أن هذا الكتاب بدأ الخليل في تصنيف و لما توفي عكف على إتمامه طلبته نذكر منهم:النضر بن شميل،نضر بن علي الجهضمي ، توفي سنة 175هـ/784م.**

**– ابن خلكان :المصدر السابق ،مج2،ص247.244 ؛ الذهبي : المصدر السابق ،مج7، ص429.431 ؛ ابن العماد : المصدر السابق ، مج2 ، ص 321 .324 .**

**(**) هو الإمام الملقب بالحبر البحر ، العلامة أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ولد بآمل بطبرستان سنة 224هـ، بدء في طلب العلم بعد سنة 240هـ،وعرف عنه كثرة التصانيف البديعة ، روي عنه إجتهاده في طلب العلم و كثرة الترحال وبفضل ذلك نقل علما وافرا على يد كبار العلماء و أجلهم أمثال « إسحاق بن أبي إسرائيل ، و محمد بن حميد الرازي » حتى أصبح مرجعا تحتكم إليه الأئمة لسداد رأيه و معرفته و فضله ، من أبرز مصنفاته نذكر: « كتاب التفسير ،كتاب التاريخ ،كتاب تهذيب الآثار و كتاب الخفيف » توفي سنة 310هـ.**

**–الذهبي: المصدر السابق ،مج14 ،ص267 وما بعدها ؛ابن العماد: المصدر السابق،مج 4 ، ص 53 .54.**

**(1) المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي) : المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار ،مكتبة الإسكندرية بدون تاريخ ،ج1، ،ص408.409 .**

## 3- دار العلم ودورها التعليمي

تذكر المصادر التاريخية أنه منذ بدء الدعوة المحمدية ارتبط تعليم المسلمين بأماكن متنوعة منها ما ذكرناه سابقا **كالمسجد و خزائن الكتب**، كما كانت بعض بيوت المسلمين مقصدا لطلاب العلم،و عن ذلك يورد لنا **ابن الأثير أن «الرسول صلى الله عليه وسلم»أمرمصعب ابن عمير***بتعليم المسلمين القرآن الكريم و تعاليم دين الإسلام ،و قد قام بهذا العمل حيث نزل في **دار بني ظفر** بالمدينة عند **أسعد بن زرارة****، و قد أسلم على يده خلق كبير لعل أبرزهم

---

**(*) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي العبدري ، يعتبر أحد أفضل و أخير صحابة «رسول الله صلى الله عليه و سلم» ، ويرجع ذلك إلى كونه من السباقين بدخول الإسلام مع النبي الكريم بدار الأرقم ،وروي عنه أنه كان على إتصال مع الرسول «عليه الصلاة و السلام» سرا خوفا من قومه ،و لما بلغ خبره إلى قريش قاموا بحبسه و إضطهاده إلى أن هاجر إلى الحبشة ، و بعدها عاد إلى مكة و التحق بالرسول إلى المدينة ، و هناك عهد له «صلى الله عليه وسلم» بتعليم المسلمين القرآن و أصول الدين و أمره بإمامتهم في الصلاة ، كان حامل لواء الإسلام و الرسول «عليه الصلاة و السلام» في غزوة أحد وبها إستشهد رضي الله عنه03هـ/612م.**

**– إبن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج 5 ،ص 176.175؛ الذهبي : المصدر السابق ، ج 1 ص 145 و ما بعدها.**

**(**) هو أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار يعتبر أول من أسلم من الأنصار، و قد شهد بيعة «الرسول صلى الله عليه و سلم» بالعقبة الأولى ، الثانية و الثالثة و بايع فيها و يشهد له أنه أول من صلى الجمعة بالمدينة ،أصابه مرض يقال له الذبحة كواه« صلى الله عليه وسلم » و توفي في السنة الأولى من الهجرة/610م ، حيث لم يشهد غزوة بدر و المسجد النبوي لم يكتمل من البناء بعد .**

**– ابن الأثير: المصدر السابق،ج1 ،ص205؛الذهبي: المصدر السابق ،ج1، ص 300.299 ؛ابن العماد : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 113 .**

**سعد بن معاذ*** و غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم [1].

إنما يمكن إستنتاجه مما جاء من أخبار حول تلك الدار ، لا يكاد يخرج عن أنها كانت مجرد مكان مؤقت لتجَّمع المسلمين للتعلم و التفقه في الدين ، ولا يمكننا أن نرجعها على أنها **أحد دور طلب العلم التي انتشرت في ربوع الدولة الإسلامية** و دلالة ذلك أنه لم يرد ذكرها بأنها فعلا **دار للعلم** بل هي مجرد مكان للتعلم و الوعض،لكن **دار الأرقم** و لو عدنا إلى ما قبل الهجرة أيام الدعوة **بِمَكَةَ** ** نجد بأنها أسبق في الظهور من **دار أبي زرارة**، و إعتبرت بمثابة أول **دور طلب العلم بالإسلام** وبها وعض صحابته و علمهم مبادئ الإسلام و القرآن الكريم [2] لكن هي الأخرى من نفس الشاكلة مع **دار أبي زرارة**كما سبق و أشرنا إليه ،كونها مكان إحتمى فيه **النبي صلى الله عليه وسلم و صحابته**، ليكون فيما بعد دار للتعلم و التفقه في الدين و مكان للتعليم أيام الدعوة .

---

**(*) هو سعد بن معاذ ابن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، أسلم على يد مصعب بن عمير حين كلفه النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم المسلمين و أهل المدينة القرآن الكريم و تعاليم الدين يروى عنه أنه كان أعظم الرجال و الصحابة بركة في الإسلام و مرد ذلك أنه عند إسلامه قال لقومه من بني الأشهل « كلام رجالكم و نسائكم علي حرام حتى تسلمـوا ، فأسلموا » ، شهد رضي الله عنه مـع « الرسول عليه الصلاة و السلام » غزواته وهي :« غزوة بدر، أحد ، و الخندق » ، توفي رضي الله عنه و هو محتضن الرسول بعد أن رماه أسامة الحبشي حليف بني مخزوم بسهمه سنة 4هـ/614م. و قد روي عن خبر وفاته أنه خلف حزنا و ألما كبيرين في أوساط المسلمين حين سماعوا بهذا النبأ.**

**– ابن الأثير : المصدر السابق ، ج2 ، ص 461–463؛ الذهبي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 279 و ما بعدها ؛ ابن العماد : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 122 .**

**(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج1، ص611 و ما بعدها؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ،ج5 ،ص417؛ الذهبي: المصدر السابق ،ج 1، ص145 وما بعدها ؛ ابن كثير: البداية و النهاية ،ج 4، ص 431 ؛ ابن خلدون : العبر، ج2 ،ص 417 ؛أيمن شاهين سلام : المرجع السابق، ص 26–28.**

**(**) هي بيت الله الحرام ، إختلف في تسميتها حتى قيل عنها أنها سميت بمكة لإزالتها النخوة من الرجال ، و رواية أخرى مفادها كثرة إزدحام الناس بها و لها تسمياه أخرى كأم القرى ، بكة .**

**– ياقوت الحموي :المصدر السابق ، ج 5 ، ص 181 و ما بعدها .**

**(2)Ahmed Riza Khan And Others : op cit , p 48.**

إن معرفة حقيقة وجود **دور العلم** و انتشارها بالدولة الإسلامية و ذلك من خلال تتبع أخبار المصادر التاريخية نجدها فعلا قد أوردت ذكرا لأخبار عن وجود مثل تلك الدور التي عبرت عن تطور المعاهد التعليمية فذكر لنا **ابن الأثير** مثلا أن وزير بني بويه **أبو نصر سابور بن أرشدير*** قام بتشييد **دار للعلم** ببغداد و ذلك سنة **383هـ/992م** و عمل على دعمها بكم هائل من الكتب و خصصت لها الأوقاف لتكون مصدرا هاما في دعم الحركة العلمية و طبقة الفقهاء و العلماء و فئة طلاب العلم للإنتفاع منها [1].

و قد اعتبر **ابن كثير** أن هذه الدار **بالكَرَخْ** ** في **بغداد** اعتبرت من بين أول المدارس التي

---

**(*) هو أبو نصر سابور بن ارشدير،الملقب ببهاء الدولة ، أحد أهم و ابرز وزراء بني بويه على الإطلاق استوزره« بهاء الدولة ابي نصر ابن عضد الدولة بن بويه الديلمي» ، ذكر عنه أنه إجتمعت له خصال قلما توفرت عند غيره كالدراية و الكفاءة في التدبير و التسيير ، صرف عن الوزارة ثم عاد إليها توفي ببغداد سنة 416هـ/1025م،عن عمر ناهز 42 سنة .**

**– ابن خلكان : المصدر السابق ، مج 2 ، ص 354. 356 .**

**(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 7 ، ص 464 ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ،ج 14 ، ص 366 ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج 2 ، ص 162 .**

**(*) تحدث أبن حوقل عن الكرخ حين وصف العراق و أبرز مدنها و نواحيها على أنها من بين الضواحي الهامة و المأهولة بالسكان و مرد ذلك حسبه كون هذه المدينة مقر و مستقر لأهل الياسرية و طبقة التجار بالمنطقة .– أبن حوقل :المصدر السابق ، ص 217.**

**و ذكر الحموي أنه كانت هناك ضاحيتان يطلق عليهما الكرخ في كل من البصرة و بغداد ،أما كرخ بغداد موضوع حديثنا هذا ،يذكر أن المنصور لما شيد مدينة بغداد جعل أسواقها عند مداخل أبواب المدينة وهوما جعل أحد بطارقة الروم ينذر بخطر وضعها بهذه الطريقة من خلال سهولة تجسس أعداءه عليه في المستقبل ، فأمر المنصور كل من : ابراهيم بن حبش و خراش بن المسيب اليماني بنقلها وبنيت مابين البصرة و نهر عيسى ،وكانت في بادئ الأمر سوقاً صغيرة ثم تحولت مع مرور الوقت إلى مدينة صغيرة بها مسجد بعدما أضاف التجار بها بناء حوانيت على جوانب المدينة لإزدهار تجارتهم وقاموا بدفع الأجرة عليها ،و تحولت الكرخ إلى مقر تجاري مميز بمدينة بغداد و أحد أهم ضاحياتها .**

**– ياقوت الحموي :المصدر السابق ، ج 4 ، ص 448 .**

أنشأت و أوقفت للفقهاء عهد وزارة **أبو نصر** وزير بني بويه بحسب رأيه [1]،أضف إلى ذلك أن **ابن العماد** ذكر أن هناك **دار للعلم** شيدت **بسَامُرَاءْ** * على يد نقيب العلويين **الشريف الرضي**** حين تحدث عن مرور أحد الأدباء بتلك الدار و وجدها في حال أقل ما يقال عنها أنه قد ولى عليها الزمان و ذهب جمالها و مظهر الحسن بها وبقي واقفا متعجبا لحالها، فقال فيها شعرا يرثي فيها حال الدار [2].

---

**(1) ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 15 ، ص 447 .**

**(*) أورد إبن حوقل أن سامراء أو سر من رأى بحسب قوله قام ببنائها أبـو إسحاق المعتصم بن هارون الرشيد و أن أغلب بنيانها ، حدائقها ، و مجاريها تركز في معظمها بالجزء الغربي من المدينة ، و بها مواضع تعتبر بمثابة مدن قائمة بذاتها كدور العربابي ، الكرخ ، و دور الخرب .**

**– ابن حوقل :المصدر السابق ، ص 218 .**

**و سامراء حسب ما ذكر ياقوت الحموي : هي أحد أقدم مدن بلاد الفرس ، معنى تسميتها تلك« سر من رأى » و أطلقت عليها تسميات عديدة لعل أبرزها : سامرا ، سر من رأ ، سر من را ، ذكر عن هذه المدينة روايات عديدة فيما تعلق بمشيديها ، فروى إبراهيم الجندي مثلا أن ساما ابن نوح قام ببنائها لأهله ودعا بأن لا يصيبها ضرر أو مكروه ، ورواية أخرى مفادهـا كما سبق و أشرنا إليه أنها أحد أقدم مدن ملوك بلاد فارس حيث تميزت بأن كانت تحمل إليها الإتاوات التي ترد إليها من ملوك الروم**

**و أخرى تفيد أن السفاح شيد مدينة الأنبار بجوارها ، إلى أن بناها المعتصم و نزل بها سنة 221هـ/830م.**

**– ياقوت الحموي :المصدر السابق ، ج3 ، ص 173 وما بعدها .**

**(**) هـو أبـو الحسن محمد بـن الحسين بـن موسى الموسوي البغدادي الشيعي ، ولـد سنـة 359هـ/968م يعتبر شاعر قريش دون منازع ، كان على قدر كبير من الذكاء حتى و صفه الثعالبي بأنجب سادة قريش ذكر عنه خصاله المميزة و العديدة ، حافظ للقرآن الكريم ، كم كان شاعرا متميزا ، صنف عدة كتب و دواوين لعل أبرزها : ديوانه الشعري الذي صنفه في أربع مجلدات ، كتاب في معاني القرآن و آخر في مجازات القرآن عين نقيبا على العلويين سنة 383 هـ /992م و أبوه على قيد الحياة و يحسب له بناء دار العلم بسامراء توفي ببغداد سنة 406 هـ/1015م.**

**– الذهبي : العبر في خبر من غبر،ج2 ،ص213؛ ابن العماد : المصدر السابق ،ج 5 ،ص43.46.**

**(2) المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 45 .**

كما أورد **المقريزي** خبرا مفاده أن **مصر** كانت بها **دار للعلم**،و قد أمر ببنائها الخليفة **الحاكم بأمر الله*** سنة **395هـ/1004م**، وعمل على دعمها بكم هائل من الكتب و المجلدات التي جيء بها من شتى القصور المعمورة بهدف خدمة طلب العلم و دعم الفقهاء و النساخ، فتوافد عليها الناس من مختلف المستويات طلبا للعلم و تنوعت فيها فروع العلم كالحساب و التنجيم النحو،اللغة الطب وقد دعم الخليفة هذه الدار بـ : **خزانين و بوابين و علماء لتعليم الناس مختلف العلوم**،كما كانت تعقد المناظرات و الملتقيات العلمية في بلاط الخليفة [1].

---

**(*) هو أبو علي منصور بن نزار العزيز بالله بن المعز العبيدي الملقب بالحاكم بأمر الله ، ولي العهد وحكم الحجاز و مصر و الشام و المغرب ، روي عنه أنه كان رجلا تنسب إليه أكثر الأوصاف سوءا كالشيطان المارد ، و ذلك راجع إلى عدم سجايته على إعتقاد وحيد و تبدله في كثير من الأحيان ،كما أنه غير أمين و دلالة ذلك حبه لسفك الدماء و أكثر ضحاياه كانوا خاصته، و كبار رجال دولته و أوصاف أخرى حسنة كالسماحة و الجود ، أقام الحسبة بنفسه فكان يركب الحمار و يجوب الطرقات و أبطل العديد من الأشياء التي كانت شائعة آن ذك كإبادة بساتين الكروم و هدم الكنائس،و نفي المنجمين من بلاده ، لكن ما يثير الغرابة فيه هو أمره ببعث مذهب الإمام مالك ، و أمر فقهاء مالكيين بتفقيهه ، ثم ذبحهما و ادعى بعدها الألوهية كفرعون ، قتل سنة 411هـ/1020م، بتدبير من أخته ست الملك بعد خوفها و هلعها منه حين إتهمها بالزنى .**

**– ابن العماد : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 61 .62 .**

**كما ذكر عنه أبن خلكان أنه ولي للعهد سنة 383 هـ/992م ، ثم استقل بالأمور يوم وفاة والده و تعتبر سيرة الحاكم بأمر الله من بين أغرب و أعجب السير على الإطلاق و يرجع ذلك إلى إختلاقه بين الحين و الآخر أحكاما كان يلزم بها الناس على تداولها و العمل بها منها : أمره بكامل الديار المصرية شتم الصحابة و سبهم وكتابة ذلك على جدران المساجد و الشوارع و القصور، ويذكر عنه أنه أتم بناء الجامع الكبير بالقاهرة ، و قام بتشييد عدة مساجد و عمل على عمارتها بما توفر من آلات و ستائر و الحصر و المصاحف ذات القيمة العالية و الثمينة .**

**– ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 292 و ما بعدها.**

**(1) المقريزي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 458. 459 .**

و هو دلالة على مدى أهمية و تميز هذه الدار في تلك الفترة و دورها في دعم الحركة العلمية كمعهد متميز جاذب لمختلف فئات المجتمع بغرض طلب العلم للإنتفاع منه و نشره عبر مختلف الأماكن و الأقطار .

## 4-"المارستان"مكان إقامة المرضى

إعتبر**المَارِسْتَانْ** من بين أهم و أبرز مظاهر العمارة بالدولة الإسلامية ، التي إختص عملها في الأساس بالجانب الطبي ، ليكون بذلك من أهم المراكز و المعاهد التي شكلت بدورها تنوع أماكن و دور طلب العلم بالدولة الإسلامية ، من خلال عملها على تكوين و إعداد الأطباء و المسعفين الذين يسهرون على تشخيص الأمراض و وصف الأدوية المناسبة لعلاجها .

يعتبر **العصر العباسي** بداية لظهور فكرة بناء **المارستان بالدولة الإسلامية**، و الإهتمام بمختلف العلوم الطبية و دعم نشرها ،و قد زاد إنتشارها و تطورها أثناء موسم الحج من كل سنة حيث عقدت لذلك اللقاءات لعرض الأبحاث التي توصل إليها العلماء من مختلف أقطار الخلافة الإسلامية لما وقع بين أيديهم من النباتات الطبية و فوائدها [1].

و تتجلى مظاهر هذا الإهتمام بالعلوم الطبية لدى بعض من خلفاء هذا العهد من خلال تخصيصهم لخزائن أدوية و مسعفين بالمساجد و الهدف منها هو السهر على تقديم الإسعافات للمصلين المرضى [2].

و إهتم العباسيون و على رأسهم **هارون الرشيد** ببنائها لكن سرعان ما تتطور نشاطها و من ذلك ما ذكره **ابن كثير**عن ما أورده **ابن خلكان** عن **المارستان** الذي بناه **أحمد بن طولون*** لما عين

---

**(1) حسن إبراهيم حسن :المرجع السابق ، ص 404 .**

**(2) المرجع نفسه ، ص 404 .**

**(*)هو والي مصر و الشام و الثغور،الأمير أبو العباس أحمد بن طولون ، حقق توسعا مهما تمكن من خلاله من بسط يده على المناطق المذكورة سلفا عهد،عرف عنه أفضل الصفات و أجودها من حلم و ورع و شهامة و علم ، كان على دراية كاملة بشؤون ولاياته قائما للعدل بين رعيته ،و محبا للعلماء مشيدا للعمران لعل أبرز دلالات ذلك بناءه للجامع الكبير ما بين القاهرة و مصر سنة 259هـ/868م=**

والياعلى الديار المصرية فيقول «**و بنى البيمارستان، فغرم عليه ستين ألف دينار ، و على الميدان مائة و خمسين ألفا**»[1] ، و هو ما أكده **ابن تغري بردي** حين تحدث عن سيرة **أحمد بن طولون** في وفيات سنة **270هـ/879م** ، و ذكر بناءه **للمارستان** بعد تشييده للجامع حين عين واليا على مصر [2] و كذلك تحدث المقريزي في ذكره لقيام دولة **بني طولون** عن هذا **المارستان** الذي بناه **أحمد بن طولون** بعد ظفره بكنز قارب ألف ألف دينار في قوله : «**و تقلد ابن طولون خراج مصر مع المعونة و الثغور الشامية ،فأظفره الله عقيب ذلك بكنز فيه ألف ألف دينار بنى منه المارستان**»[3].

صحيح أن **ابن خلكان** تحدث في سيرته **عن أحمد بن طولون**، و لكنه لم يورد ذكر بناءه **للمارستان** صراحة ، لكن ما جاء في سيرة **ابن خلكان** بناءه للجامع المنسوب إليه دون غيره مما شيده **ابن طولون**[4] .

و من أشهر **المارستانات** التي انتشرت في الدولة الإسلامية **مارستان الري** و **بغداد** التي أسندت إمرتها إلى أشهر علماء المسلمين في عصره **محمد بن زكرياء الرازي*** حيث ذكر **ابن خلكان** أنه إرتحل

---

**= ، ولد أحمد بن طولون في 23 رمضان 220هـ/829مبسامراء و يقال بأن طولون تبناه، و توفي بها (سامراء) في ذي القعدة 270هـ/879م بعد أن عانى من المرض .**

**– ابن خلكان : المصدر السابق،ج1 ،ص174.173؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء،ج13،ص94.95 ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ،ج12 ،ص230 و ما بعدها ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج20 ،ص46 و ما بعدها ؛ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 3 ، ص 3 و ما بعدها .**

**(1) ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 14 ، ص 590 .**

**(2) ابن تغري بردي :المصدر السابق ، ج 3 ، ص 14 .**

**(3) المقريزي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 871 .**

**(4) ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 173 .**

**(*) هو عمدة أطباء عصره و أشهرهم على الإطلاق أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ،تميز بذكاء كبير و إتقان محكم في صناعة الطب ،إرتحل إليه طلاب العلم من كل صوب للأخذ منه ،و كانت لديه أقوال كثيرة و مأثورة في هذا المجال لعل أشهرها قوله :«مهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية » و قوله : «إذا كان الطبيب عالما و المريض مطيعا فما أقل لبث العلة» ،إشتهر الرازي بتصانيفهالقيمة=**

إليه طلاب العلم في الأخذ منه و الإنتفاع بعلمه [1] ، ثم تعمم إنتشار **المارستان** و آدائها لغرضها عبر مختلف العهود و من ذلك إزدهارها في عهد **الإمارة البُوَيْهِية** الذي تميز بكثرة تشييد مثل هذه المؤسسات خاصة عهد **عضد الدولة البويهي***حيث تحدث **مؤرخون** عن إحسانه و حبه لأهل العلم و جمع المصنفات في شتى المجالات منها الطب ، و تشييده **للمارستان العضدي ببغداد**[2]، وكان **للزنكيين** أيضا إهتمام في بناء الكثير من مثل هذه المعاهد[3]، لتنتشر بذلك عبر مختلف الأقطار معبرة عن وجه جديد لأماكن و دور طلب العلم التي عرفها مسار تطورها بالدولة الإسلامية .

---

**= التي إعتبرت مرجعا في دراسة هذا المجال أشهرها:كتاب الحاوي ،و الجامع ،و الأعصاب،بدء الإهتمام بالطب في سن الأربعين توفي بعد أن أصيب بالعمى في سنة 311 هـ/899م.**

**– ابن خلكان : المصدر السابق ،ج 5،ص 157 و ما بعدها ؛جمال الدين أبي الحسن علي : أخبار العلماء بأخيار الحكماء ،تصحيح محمد أمين الخانجي الكتبي ،مطبعة السعادة مصر،ط1، 1326 هـ/1906 م ص 178 و ما بعدها ؛ابن العماد : المصدر السابق ،ج 4، ص59.58؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 14 ، ص 355.354.**

**(1) ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 158 .**

**(*) هو فناخسرو بن الملك ركن الدولة الحسن بن بويه ،يعتبر من أشهر أمراء بني بويه ، وصل إلى مبتغاه بعد أن خاض صراعا داميا مع ابن عمه عز الدولة و أخضع بذلك العراق و الجزيرة و باقي الأقاليم المجاورة ، و هو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة ، عرفت عنه الخصال الحسنة و الصفات الجملية كحبه للعلم ، لكنه كان مغال في التشيع ،كثير التشييد و العمران من ذلك حفر الأنهار و إصلاح طريق مكة و بناء المارستانات ، توفي عن عمر ناهز 47 سنة في 372هـ/981م .**

**– ابن العماد:المصدر السابق،ج4،ص389 و ما بعدها ؛الذهبي:العبر في خبر من غبر،ج2،ص 139؛الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج16 ،ص249 و ما بعدها .**

**(2) ابن الأثير :المصدر السابق ،ج7 ،ص406؛ابن العماد : المصدر السابق،ج 4 ، ص 398 ؛ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 15 ، ص 410؛الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج2 ،ص 138.**

**(3) عبد القادر بن محمد النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، فهرسة ابراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1، 1410هـ/1990م ،ج2 ، ص 101 و ما بعدها .**

## 5- الخان مقر إقامة التجار و ملتقى طلاب العلم

إعتبر **الخَانْ*** من بين أهم و أبرز الأماكن التي استخدمت في العهود الإسلامية مركزا لإيواء التجار و مقر لإقامتهم ، كما ذكرت المصادر التاريخية أنها كانت (**الخانات**) مقراً لإستقبال الغرباء من الوافدين للبلاد الإسلامية خاصة فئات طلاب العلم على حلقات العلم للمشاهير من العلماء [1]،كما تحدثت المصادر التاريخية عن أخبار مفادها أن **الخان** كان أسبق في الظهور من المدارس بالدولة الإسلامية ، و دلالة ذلك ما ذكره **ابن الجوزي** عن **الخانات** التي قام ببنائها **بدر بن حسنويه**** الـذي روي عنه أنه كان محبا للعلم مقربا للفقهاء و الزهـــاد ، و قام في أعمـاله علـى

---

**(*) ذكرها ياقوت الحموي فقال أنهاكلمة أعجمية فارسية ، وهي مكان ببلاد فـارس ، وكـانت مساكن و مقر لإقامة التجار ، ينسب إليها خلق كثير من العلماء لعل أبرزهم أبو أحمد محمد بن عبد كويه الخاني الأصبهاني و أبو عبد الله الخاني المعروف بالعجلي ، و تخرجوا في معضمهم من خان لنجان بأصبهان .**
**– ياقوت الحموي :المصدر السابق ، ج 02 ، ص 341.**

**(1) ابن كثير : البداية و النهاية ، مج 15 ، ص 558.557؛ ابن العماد : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 29 ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 341 ؛ أيمن شاهين سلام : المرجع السابق ، ص 30-28.**

**(**) هو أبو النجم بدر بن حسنويه بن الحسين الكردي ،ينحدر من أهل الجبل ، ولي أعمال الجبل همذان ، الدينور و نهاوند و غيرها من الأعمال و ذلك عهد خلافة عضد الدولة أبو شجاع و ذلك عقب و فاة حسنويه عرف بأوصاف و خصال حميدة كالهيبة ،الشجاعة و السياسة ،إعتبرت فترة ولايته على الأعمال التي أوكلت إليه من بين أكثر الأعمال أمنا و رخاء ،كان يعدل بين الناس و يكثر من الصدقات و الأعمال الخيرة خاصة أيام الجمعة حتى لقبه القادر بأبي النجم ، عرف عنه أنه بنى بأعماله ما يقارب ثلاثة آلاف مسجد و خان خصصوا للوافدين من الغرباء ، توفي سنة 405هـ/1014م .**
**– ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 15 ، ص 106.104؛ ابن العماد : المصدر السابق ، ج 05 ، ص 29 ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، مج 15 ، ص 558.557.**

إستحداث ما يقارب ثلاثة آلاف **مسجد** و **خان** و كانت تستقبل الوافدين إليها من الغرباء [1].

إن أسبقية الخانات في الظهور قبل المدارس كما سبقت الإشارة إليه و نشاطها كدار لطلب العلم ، لا يعني أن هذه الأماكن قد إنقطعت عن العمل أو إندثرت بعد ظهور المدارس بالدولة الإسلامية بل إستمرت في عملها ، و دلالة ذلك ما أورده لنا **ابن الأثير** عن تلك الفتنة التي وقعت بين أهل السنة و الشيعة في حدود سنة **443هـ/1051م** و سبب هذه الفتنة أن أهل الشيعة من **الكرخ** أقاموا أبراجا وكتبوا عليها بخيوط من الذهب «**محمد و علي خير البشر**» ما أثار حفيظة أهل السنة بالمدينة و طالبوا بنزعها ، و تطورت الأحداث و أدت إلى نشوب قتال دام بينهم [2].

و ذكر **ابن كثير** أن تلك الفتنة بين الشيعة الروافض و السنة كان من مخلفاتها أنها خربت الكثير من البيوت و القبور و المحال و دكاكين التجار ، خاصة قبور ملوك **بني بويه** و وزرائهم و كذلك قبور الصالحين و غيرها [3]، كما أضاف **ابن الأثير** أن قتال الشيعة من أهل الكرخ مع السنيين كانت نتائجه جسيمة لعل أبرزها مقتل إمام للحنفية و مدرسها ، و تعدى الأمر ذلك حين أقدموا (**طائفة الشيعة**) على نهب مقتنيات خان الحنفيين و دور الفقهاء و حرقها جميعا [4].

و من خلال ما أوردناه بالذكر عن أسبقية **الخانات** في الظهور عن **المدارس** و دورها التعليمي كونها من بين أبرز الأماكن التي توافد عليها طلاب العلم و ما ساهمت به أنها أخرجت جيلا من الفقهاء و العلماء كان له دوره في دعم نشر العلوم، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بأن **الخان** كان عاملا أساسيا في ظهور المدارس ، بل يعتبر واحدا من بين تلك العوامل المساعدة على ظهور المدرسة و يضاف إلى بقية تلك الدور السالفة الذكر .

---

**(1)ابن الجوزي : المنتظم ، ج 15 ، ص105 ؛ ابن كثير : المصدر السابق،مج 15،ص 558 ؛ ابن العماد : المصدر السابق ، ج5 ، ص 29 .**

**(2) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 8 ،ص ،302.301 – ابن كثير : المصدر السابق ، ج 15 ص 719.720 .**

**(3) المصدر نفسه ، ج 15 ، ص 719 .**

**(4) ابن الأثير:المصدرالسابق ،ج8 ، ص 302؛ ابن العماد:المصدرالسابق،ج5،ص192.191.**

## 6- الخوانق و عمل رجالات الصوفية

ذكر **المقريزي** أن **الخَوَانِقْ** مفردة من أصل فارسي معناها الزاوية أو الخلوة ، و يضيف بقوله ان **الخوانق** بدأ العمل بها في الدولة الإسلامية مطلع القرن الرابع الهجري و قد أعدها رجالات الصوفية لتكون بمثابة مكان للإنعزال و التعبد لله تعالى حق عبادته [1] ، كما أورد **المقريزي** خبرا مفاده أن أول دار اتخذت للعبادة أو **خانقاه** كانت **بالبصرة** بحسب قوله ، و اتخذت لرجال من أهل البصرة تفرغوا للعبادة ، لم يطلبوا الدنيا بحيث لم تكن لهم تجارة و لا شيئ يلهيهم عن عبادة الله تعالى، فبنيت لهم تلك الدار فكانت مأوى توفر على كل ما يحتاجون إليه و ذلك بهدف توفير مسببات طلب العلم و العبادة لهم [2] ، في حين رأى **آدم ميتز**أن ظهور **الخوانق** بالدولة الإسلامية يعود إلى حوالي مطلع القرن الرابع الهجري و أضاف أنها و في عملها و الغاية التي وجدت لأجلها حاكت ما كان متدوالا و معمولا به في بيوت الرهبنة التي كانت منتشرة في أوربا آنذاك [3] .

إن حقيقة ظهور تلك الدور **بالدولة الإسلامية** راجع في الأصل إلى ما قبل القرن **الرابع الهجري** عكس ما رأى **المقريزي** حيث روى **المقدسي** أخبارا مفادها أن هناك طائفة كانت تدعى **الكِرَامِيَةُ** *

---

**(1) المقرزي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 414 ؛أنظر : أيمن شاهين سلام : المرجع السابق ، ص 30-32.**

**(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 414 .**

**(3) آدم ميتز : الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج 2 ، ص 29 .**

**(*) و هم طوائف تنسب إلى ابي عبد الله بن كرام ، تفرعت إلى إثنتي عشرة فرقة ، و في أصلها ترجع إلى ستة فروع و هي : العابدية و التونية ،الزرينية ،الإسحاقية، الواحديى و الهيصمية و كل فرقة تتميز عن الأخرى بآرائها و توجهاتها .**

**- محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر أحمد الشهرستاني : الملل و النحل ، تحقيق أمير علي مهنا و علي حسن فاعود ، دار المعرفة بيروت لبنان ،ط 3،1414هـ/1993م ،ج 1 ، ص 124.**

منسوبة إلى **محمد بن كرام الساجستاني***الذين أنشؤوا الكثير من الخوانق التي خصصت لغرض العبادة و التعليم ،و قد انتشرت الخوانق التي بنتها فرق الكرامية بكامل أقاليم **سَجِسْتَانْ****و **هُرَاةْ** *** بنفس

---

**(*) هو محمد بن كرام أبو عبد الله السجستاني، شيخ طائفة الكرامية ، كان يتميز بالزهد و التعبد وبعيدا عن كل أمور الدنيا و ما يشغل عنها بذكر الله ، يروى عنه أنه أخذ عن مشايخ في معظمهم من غير الثقات – كذابين و وضاعين – بحسب ذكر كل من «أبن كثير و ابن العماد»، كما تعمق في الأخذ عنهم حتى قيل عنه أنه أخذ من الأحاديث الرديئة و من المذاهب الواهية منها ،روى عنه ابن الحاكم أنه سجن بنيسابور ثمان سنوات ، ونفي بعدها إلى بيت المقدس حتى توفي بها سنة 255هـ/864م.**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 11 ، ص 524.523؛ ابن كثير : المصدر السابق ،ج 14 ، ص 517.515؛ ابن العماد : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 248.247 .**

**(**) وصفها ابن حوقل بدقة فقال عن هذا الإقليم ، أنه عبارة عن سبخة تتوفر على رمال كثيرة ، قليلة الجبال ، بها الرياح العاتية على الدوام و قد استغل أهلها هذه الرياح بنصب الطواحين ، من أشهر أنهارها نهر « هيل مند » .**

**– ابن حوقل : المصدر السابق ،ص347 وما بعدها .**

**و قال عنها الحموي : هي إقليم عريق ببلاد فارس، تتوفر على عدد كبير من النخيل، يعرف عن أهلها المحاسن و الآثار الرفيعة ما يجعلها منفردة عن غيرها من الأقاليم، تتميز بإنتشار مذهب الخوارج حتى دفع الأمر بأهلها إلى حد المظاهرة و المفاخرة به، من ذلك مارواه الحموي أن تاجرًا قدم إليه رجلا من سجستان ليبتاع حاجة فقال له : يا أخي أنا من الخوارج لا تجد عندي إلا الحق و ما أقول إلا سواه ،بها من المذاهب السنية فقهاه للحنفية وهم قلة فقط ، ومن أبرز مميزاتها أن المرأة عندهم لا تخرج من بيتها أبدا ، و إن حدث ذلك لزيارة أهلها فيكون بالليل .**

**– ياقوت الحموي :المصدر السابق ،ج 3،ص190 وما بعدها.**

**(***) من أعرق و أشهر مدن إقليم خراسان ، كثيرة السكان جليلة المحاسن و الفضائل ،مليئة بالفقهاء و أهل العلم و تتوفر هذه المدينة على مياه غزيرة و حدائق و بساتين كثيرة ، وقد أورد الرهني عنها خبرا مفاده أن من خط بناءها كان الإسكندر لما مر بالشرق متوجها إلى الصين ، بها أئمة و علماء =**

الإنتشار لمذهب الشيعة بالمنطقة [1]، و أضاف أنهم مجموعة من الأتباع على قدر كبير من التعصب لصاحبهم ( **محمد بن كرام**) بتلك المناطق [2].

إنطلاقا من هذا الحديث عن **الخوانق** و ما تمثله هذه الأماكن بالدولة الإسلامية كمعهد تعليمي كغيره من المعاهد التي سبق ذكرها ، نجدها قد شابهت في طريقة عملها ، عمل **المدارس** عند ظهورها ، و موضعها من حيث الشكل و المضمون نجدها هيئت للعمل في هذا الغرض، فكما سبق و ذكرنا أن **الخوانق** توفرت على مـأوى للزهـاد و طلاب العلـم ،و كانت دارا لطلب العلـم و الوعظ ، زيادة على ذلك وجود القائمين عليها ( الخوانق ) الذين كانوا في خدمتها و خدمة الطلاب الوافدين إليها ، و هذا ما يمكن اعتبارهأحد أهم و أبرز المراحل التمهيدية لظهور المدارس كمعاهد تعليمية من بعد .

---

**= لعل أشهرهم : « المحدث الحسين بن إدريس الأنصاري ، الحسن إبن حزم و أخوه يوسف »، كما أضاف ابن حوقل ان المدينة توفرت على أربع أبواب و على كل باب سوق ، وهي بمثابة مداخل للمدينة ومخارج لها تؤدي إلى مدن بلخ ، نيسابور ، سجستان و الغور ، و يعتبر المسجد الجامع بهراة أحد أعمر المساجد بهذا الإقليم على الدوام لكثرة الأئمة و الفقهاء القائمين عليه .**

**– ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 366 و ما بعدها؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 5 ،ص 396.397.**

**(1) المقدسي : المصدر السابق ، ص 323 .**

**(2) المصدر نفسه ، ص 357 .**

## 7- المدرسة و أهم مميزاتها

إن معرفة نشأة المدارس بالدولة الإسلامية يقودنا إلى ما أورده **ابن خلكان** حين أخبر عن أن أول مدرسة بنيت في الإسلام و هي **المدرسة النظامية** ،و إقتدى الناس بها و إنتشر العمل على شاكلتها في سائر البقاع ، وحدث ذلك حوالي سنة **457هـ/1064م**[1] .

أما **السبكي** فكان يرى غير ذلك ،حيث تحدث عن مدارس عديدة ظهرت قبل تشييد المدرسة النظامية و دلالة ذلك ظهور «**المدرسة البَيْهَقِيَةُ**» و كذلك «**المدرسة السَعْدِيَةُ**» و غيرها من المدارس قبل ميلاد المدرسة النظامية أما عن **السلاجقة** فيقول أنهم أضافوا المعاليم للطلبة أي المنح حينما أنشأؤوا **المدارس النظامية**[2].

إن إهتمام **الغَزْنَوِيِينْ** ببناء المدارس قبل **السلاجقة** راجع في الأساس إلى أمرائها و ملوكها الذين شجعوا طلب العلم و إهتموا بأماكن تعليمه فظهرت المدارس لتعبر عن الوجه الجديد لأماكن و دور طلب العلم ، و أشهرها في عهدهم (**الغزنويين**) المدارس السالفة الذكر و غيرها عبر المدن و الأقاليم التي حكموها [3].

إن متابعة نشأة و ظهور المدارس بالدولة الإسلامية يجدها تعود إلى **المدارس النظامية** بحسب ما أورده **الطرطوشي** حين تحدث عن رواية مفادها أن أحد من الصوفية قصد الوزير**نظام الملك***

---

**(1)ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج8 ،ص 375؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج2 ، ص 129؛ ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 16 ، ص 5.**

**(2) تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي : طبقات الشافعية الكبرى تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ ،ج 4 ، ص 314.**

**(3) Ahmad RizaKhan : op cit , p 56 .**

**(*) هو قوام الدين أبو علي الحسين بن علي بن إسحاق الوزير السلجوقي القدير نظام الملك الطوسي وزر السلطان "ألب أرسلان و إبنه ملك شاه" ،كان يحب مجالسة العلماء حسن المعاملة معهم ،كريم عليهم بنى لهم المدارس و صرف عليها الأوقاف،كان عالما شافعي المذهب شديدا على الشيعة =**

و إقترح عليه بناء مدرسة ببغداد لم يعرف لها مثيل فحدث له ذلك [1].

أما **القزويني** فينسب رواية مفادها أن **نظام الملك** أشار على **السلطان ألب أرسلان** ببناء أماكن تأوي طلاب العلم الذين رأى فيهم أنهم خصال الشرف و المكانة الرفيعة ،بعد أن سأله **السلطان** عن سبب حالهم تلك من مظهر لثيابهم الرثة بأحد المساجد ، فوافق فأمر **وزيره** ببناء المدارس بكامل أقاليم السلطنة إكراما لهم و دعما لطلب العلم و طلابه[2].

إن التأكيد أو الإعتقاد بأن **المدرسة** تعتبر مرحلة متقدمة **للخوانق** لإرتباطها بإسهام رجالات الصوفية أو لفضل **الوزير نظام الملك الطوسي** في نشأتها أمر صعب لأن مثل هذه المؤسسة لا يمكن حصرها في تطور أحد أماكن طلب العلم السالفة الذكر على حساب بقية الأماكن ،أو أسبقية مرحلة تاريخية معينة على حساب أخرى ،و إنما علينا النظر في هذا الموضوع بأكثر دقة و التسليم بأن هذه المؤسسة و وصولها إلى هذا المستوى من التطور و ما قدمته في تلك الفترة من إسهامات كان لها الأثر البارز في تطور الحياة العلمية و الفكرية بالدولة الإسلامية ،إنما هو نتاج عن تظافر مجموعة من العوامل من بينها ما تقدم من تطور لأماكن طلب العلم ،و كذلك إسهامات العنصر البشري المتمثل في **خلفاء و وزراء و علماء و حتى ملوك و سلاطين** ، و سعيهم في المضي قدما نحو دعم مثل هذه المؤسسات التي لعبت دورا هاما في تطور و إزدهار الحياة العلمية ،و كذلك الحفاظ على المذهب العام للخلافة الإسلامية **كدولة السلاجقة ثم أتابكية الزنكيين** و هو ما يمثل محور البحث و أساس الموضوع في الفصل الثاني.

---

**=توفي سنة 485هـ/1092م .**

**– السبكي : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 309 و ما بعدها ؛ابن سعد اليافعي : مرآة الجنان،ج 3 ، ص13. وعن سيرته سيأتي ذكرها في الفصل الثاني من البحث.**

**(1) الطرطوشي ( أبو بكر محمد بن محمد الوليد الفهري ) : سراج الملوك ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ،ط2 ، 1413 هـ ، ص 312 .**

**(2) القزويني : آثار البلاد و أخبار البلاد ، ص 412 .**

# الفصل الثاني

## مـدارس التعـليم في المشـرق عـهـد السلاجـقــة و مـمـيـزاتـهــا

**المبحث الأول : أصل السلاجقة الأتراك و نجاحهم كقوة سياسية بالمشرق**

*** المبحث الثاني :مظاهر إهتمام السلاجقة بالحياة العلمية "الوزير نظام الملك نموذجا "**

**1- نشأته و نجاحه في تقلد الوزارة و إدارة شؤون السلطنة السلجوقية**

**2- دوافع الوزير نظام الملك في إنشاء المدارس و اختياره لأماكنها**

*** المبحث الثالث : المدارس الإسلامية و انتشارها بالمشرق عهد السلاجقة**

**1- المدرسة النظامية بمدينة بغداد 459هـ/1066م و أشهر أعلامها**

**2- نظامية نيسابور أبرز أعلامها**

**3- نظامية مرو بعد أبرز أعلامها**

**4- المدرسة النظامية بهراة أشهر أعلامها**

**5- المدرسة النظامية ببلخ أشهر أعلامها**

**6- المدرسة النظامية بآمل طبرستان أشهر أعلامها**

**7- المدرسة النظامية بأصبهان أشهر أعلامها**

**8- المدرسة النظامية بالموصل أشهر أعلامها**

**9- المدرسة النظامية بالبصرة أشهر علمائها**

*** المبحث الرابع : علاقة العلماء بسلاطين و وزراء العهد السلجوقي و دورهم في دعم انتشار المدارس التعليمية و نشاط الحركة الفكرية و ازدهارها بالمشرق**

**1- علاقة العلماء بسلاطين و وزراء العهد السلجوقي**

**2- دور علماء العهد السلجوقي في دعم إنتشار المدارس التعليمية (المدارس الخاصة )**

**3- دور علماء العصر السلجوقي في نشاط الحركة العلمية و ازدهارها بالمدارس التعليمية**

**3-1- مصنفات العلماء و دورها في دعم نشاط المدارس السلجوقية**

**3-2-مجالس المناظرة و دورها في ازدهار الحياة العلمية و الفكرية**

## المبحث الأول : أصل السلاجقة الأتراك و نجاحهم كقوة سياسية بالمشرق

تعتبر حركة نزوح الشعوب و القبائل البدوية في بحثها عن الأمن و عوامل الإستقرار و الرخاء الإقتصادي كأماكن الرعي و مصبات المياه من الظواهر القديمة المألوفة عبر مختلف الحقب التاريخية.

و تعد هجرة **الأتراك** من مواطنهم الواقعة بين الأقاليم المتاخمة لحدود **الصِينْ*** في الجنوب الغربي و شواطئ **بحر الخَـزَرْ**** إلى ضفاف **نهر جَيْحُونْ*****و إستغلالهـم لضعـف و تفكك القوى السياسية في المنطقة من بين أبرز و أهم الهجرات التي عملت على تغيير سير الأحداث في العالم الإسلامي إعتبارا من كونها حققت لهم أهدافهم السياسية و التوسعية في المنطقة.

---

**(*)أورد ياقوت الحموي ذكر تسمية الصين ، حيث ذكر أبو القاسم الزجاجي أنها سميت بالصين نسبة إلى « صين بن بغبر بن كماد » الذي يعد أول من سكنها ، و يقول ابن الكلبي أن أهل الصين هم جنس بين الهند و الترك . و تقع الصين في الإقليم الأول ، يصفها الحموي بقوله : « فإن هذه بلاد شاسعة ما رأينا من مضى إليها فأوغل فيها ، و إنما يقصد التجار أطرافها و هي بلاد تعرف بالجاوة على سواحل البحر شبيهة ببلاد الهند يجلب منها العود ، الكافور »**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 3 ، ص 440 و ما بعدها .**

**(**)من البحار الواسعة إختلفت و تعددت تسمياته فسمي أيضا بـ : البحر الخرساني،و يطلق عليه كذلك بالدوارة الخرسانية ،أو البحر الخوارزمي، كما يعتبر بحر الخزر مصب لعديد الأنهار أشهرها نهر الكر الروس و ما يميز بحر الخزر عن باقي البحار كونه بحر مغلق بالكامل لايتصل بأي من البحار تطل شواطئه على أقاليم غاية في الأهمية في المنطقة أبرزها : طبرستان و جرجان و بلاد الخزر و غيرها .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 1 ، ص 343.342.**

**و قد فصل ابن حوقل وصف هذا البحر في ذلك الوقت فقال عنه :« هو بحر جليل قعره مظلم داكن لأنه مكون من طين عكس بحر فارس الذي يرى قعره المكون من الحجارة البيض لشدة صفائه » و به جزر غير مأهولة عكس باقي الجزر في مختلف البحار و إنما هي عبارة عن جزر بها أشجار تخترقها مياه البحر كما لم يذكر بأن وصلها أحد من قبل بحسب قوله .**

**– ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 329 و ما بعدها .**

**(***) يعتبر نهر جيحون من الأنهار ذات الأهمية البارزة ، إختلفت الرويات و تضاربت حول أصل =**

و قبل الحديث عن النجاح السياسي الذي حققه **الأتراك السلاجقة** في إيجاد دولة قوية نافست أغلب القوى السياسية في المنطقة ، لابد لنا في بادئ الأمر تسليط الضوء و لو بإختصار عن أصول هذه العناصر البشرية المندفعة نحو الشرق الإسلامي و التي دحرت في مسارها جميع من إعترض سبيل تحقيق أهدافهم إلى غاية دخول بغداد .

إن ظهور العنصر التركي في الجزء الجنوبي للبلاد الواقعة جنوب **نهر جيحون** يعود إلى فترات زمنية بعيدة سبقت بكثير زمن فرضهم السيطرة على تلك المناطق في النصف الثاني و مطلع القرنين الرابع و الخامس الهجريين ، حيث أورد بالذكر في هذا السياق أن **الأتراك** فرع أو بطن من بطون قبيلة **الغُزْ***، أضف إلى ذلك أن هذه القبيلة إختلف في عدد القبائل التي تفرعت عنها فهناك من ذكر عن أنها تفرعت إلى إثنان و عشرون قبيلة و طرح آخر رأى بأنها تفرعت إلى أربع و عشرون قبيلة[1]، وينحدر **السلاجقة** بدورهم من «**الأَفْرَاسْيَابْ**» الذين هم فرع من فروع **الأتراك الغز**[2].

---

**= تسميته فهناك من قال أن أصل الكلمة فارسي و تعني « هرون » و هو إسم وادي بخراسان يخترق وسط مدينة يقال لها « جَيْهَانْ» و من هنا نسب الناس إليه هذه التسمية ، و منبع هذا النهر الجليل بحسب قول الحموي هو موضع يقال له« رُيُو سَارَانْ» و هو جبل يشمل نواحي من الهند كابل و السند تتفرع منه عدة روافد كما يخترق عدة مدن و أقاليم بالمنطقة .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ، ص 196 .**

**(*) هم أمة عظيمة من الترك ، و تنسب دولة الترك التي قامت مابين القرن السادس و الثامن الميلادي إلى الأتراك الغز ، و قد إنقسم الغز إلى عدة قبائل لعل أشهرها : « القَارْلُوقْ ،و الإِيغُورْ» ، و لما حارب المسلمون هذه الأقوام المندفعة نحو أراضيهم حيث لاحظوا عليها تشابها كبيرا في نطق نفس اللغة وهي التركية ، فأطلقوا عليهم تسمية الترك ، و يعتبر « السلاجقة و العثمانيون »أحد الفروع المنحدرة من الأتراك الغز ، كغيرهم من الأتراك الأُورْخُونْ .**

**–فاسيلي بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر 1996، ص46.45.**

**(1) المرجع نفسه : ص 117 .**

**(2) نظام الملك الطوسي : سياسة نامة (سير الملوك) ، ترجمة يوسف بكار،مطبعة السفير الأردن 2012حاشية2 ،ص 50.**

و ذكر **ابن فضلان** أن **الأتراك الـغز** كغيرهم من الشعوب و المجتمعات القبلية كانت لأعيانهم و قادتهم ألقابا دالة على مكانتهم في مجتمعاتهم فلقبوا ملكهم مثلا بـ «**يِبغُو**» و لقبوا به أيضا وجهائهم و لقب خليفة ملك **الغز** بـ «**كُوذَرْكِينْ**»، في حين لقب قائد جندهم بـ «**سُوبَاشَى**» أو «**أَتْرُكْ بن القَطْغَانْ**» [1].

كما أضاف **بارتولد** أن **الغز** و بعد النشاط التوسعي للقرخانيين في جنوب **نهر جيحون** خرجت هذه العناصر البشرية من ديارهم للبحث عن مناطق لبسط نفوذهم عليها و العمل على تأسيس كيانهم السياسي في الأقاليم التي غزوها[2].

اعتنق بعض عشائر **الأتراك الغز** الإسلام في بداية القرن **4هـ/10 م** ،ويرجع ذلك إلى هجرتهم للأراضي المتاخمة للمسلمين و إستقرارهم بها [3] ، ولم يغير إعتناقهم للإسلام من توجهاتهم التوسعية و فتوحاتهم نحو الغرب ، أضف إلى ذلك أنه رغم حداثتهم بإعتناق الإسلام فقد كانوا مخلصين له في الأقاليم التي إستقروا بها في رحلة بحثهم عن مجدهم المنشود في قيام مشروع دولتهم[4].

و تعتبر **نُقُوشْ أُورْخُونْ** مصدرا رئيسيا لابد من العودة لهلدراسة العنصر التركي و معرفة خبايا تاريخهم على إعتبار أنه تفصل في الحديث عن المسار التاريخي للأتراك ، حيث تحدث **بارتولد** عن أنه يحتوي على معلومات غاية في الأهمية عن أوضاعهم الداخلية و علاقاتهم مع من جاورهم و بشكل خاص معلومات عن تاريخ الإمبراطورية الأولى للترك [5].

---

**(1) ابن فضلان : رسالة إبن فضلان ، ص 101 .**

**– بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص 118 .**

**(2) المرجع نفسه ، ص 118 .**

**(3) المرجع نفسه ، ص 102 ؛ سعاد ماهر : أثر الماوردي في الفن السلجوقي ، مجلة المؤرخ العربي العدد 10 ، بغداد العراق ، بدون تاريخ ، ص 43 .**

**– زبيدة عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، بدون طبعة،ص 23.**

**(4) بارتولد : المرجع السابق ، ص 102 .**

**(5) المرجع نفسه ، ص 17 و ما بعدها .**

**– زبيدة عطا : المرجع السابق ، المقدمة ، ص (ب) .**

إن ظهور **السلاجقة الأتراك** و نجاهم السياسي في المشرق اعتبر بمثابة نقطة تحول في الأدوار السياسية بالمنطقة ، حيث تحدث **ابن الأثير** عن زعيمهم **تُقَاقْ** و معناه **القوس الجديد** اعتبر من بين أبرز و أهم أعيان **الأتراك الغز** و هو مرجعهم و مدبر أمورهم ، اتصف بالشهامة و سداد الرأي و التدبير في تسيير الأمور ، تولى منصب قائد جيش ملك **الغز**« **بِيغُو**» ، و في أحد الأيام أراد ملكهم هذا غزو بلاد المسلمين ، فتدخل **تقاق** و منعه عن فعل ذلك فحدث خلاف حاد بينهم أنتهى برجوع الملك عن قرار غزوه المسلمين و العودة لرأي قائد جنده [1].

في ضل هذه الظروف ولد **لتقاق** ابن سماه **سُلْجُوقْ*** و الذي ورث صفات أبيه ، حيث إلتفت حوله عشيرته و ظاهروا بالطاعة و التبعية له ، أثار هذا التطور داخل عشيرة **سلجوق** حفيظة زوجة الملك **بيغو** فأسرت له بمدى خطر و تهديد **سلجوق** و من حوله على ملكه ، فلما بلغ هذا الخبر مسمع **سلجوق** بادر إلى الهجرة مع عشيرته إلى دار الإسلام فأقام و من معه **بجُنْدُ** ** و إزداد إعتدالا و إيمانا حين جاور المسلمين في المنطقة ، و بقي **سلجوق** على عداء دائم مع ملك الأتراك **الغز** حتى إستطاع أن يخلص أهل **جند** من الجزية التي كانوا يدفعونها إلى هذا الملك[2].

---

**(1) إبن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج 8 ، ص 236 ؛ إبن كثير : البداية و النهاية ،ج 15 ،ص681.**

**(*) تحدث بارتولد عن أن الأتراك الغز لم يكن لهم خان أي ملك بل كان لديهم قائد جيش و يقال له « سوباشي » ، و قد نطق العلماء الأوربيون هذا الإسم بلفظ « سه لجوق » و بحسب رأيه هو لفظ يطابق الإملاء العربي ، بينما يلفظه الأتراك بـ « سالجوك » ، و هو القائد الذي أسلم و عمل على تخليص سكان الوادي الادنى لنهر سيحون من الجزية المفروضة عليهم من طرف ملك الغز .**

**– بارتولد : المرجع السابق ، ص119.118.**

**(**) هو إسم لمدينة عريقة ببلاد تركستان ، يدين أهلها بالإسلام على مذهب الإمام أبي حنيفة ، وتقدر المسافة بينها وبين خوارزم بحوالي مسير عشرة أيام ، ينسب إليها عدد من العلماء لعل أشهرهم القاضي و الأديب العالم الشاعر المنشئ و النحوي يعقوب بن شيرين الجندي الذي يعد من بين أبرز و أجل من قرأ على يد العالم أبي القاسم الزمخشري .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ، ص 168 .**

**(2) أبن الاثير:الكامل في التاريخ ،ج8،ص 236؛ ابن كثير : البداية و النهاية ،ج15،ص681.**

و أضاف **ابن الأثير**أن **السلاجقة** كان لهم وزنا سياسي و عسكري بالمنطقة إعتبارا من دعمهم للملوك **السَامَانِيِينْ*** في جميع إختياراتهم العسكرية ضد أعدائهم ، و دلالة ذلك إسترجاع **السامانيين** بفضل الدعم العسكري **لسلجوق** و أبنائه لأغلب أقاليمهم الضائعة [1].

حاول **السلاجقة** توسيع نطاق نفوذهم إلى **خُرَاسَانْ**** لكن أصطدموا بقوة عسكرية حلت مكان **السامانيين** في المنطقة و هم **الغَزْنَوِيِينْ***** ، الذين إستخدموا **السلاجقة** في حروبهم و فتوحاتهم و كان الهدف من بنائهم لعلاقات مع **السلاجقة** هو الحد من توسعاتهم و كذلك العمل على تأمين حدوده بفعل مجاورتهم لأقاليمهم [2].

---

**(*) و هم أسرة فارسية تمتد جذورها إلى إحدى قرى المشرق الإسلامي و تسمى بسامان ، و سامان هو إسم أحد أجدادهم الأوائل الذين ينسبون إليه .**

**– إحسان ذنون الثامري : الحياة العلمية زمن السامانيين ، دار الطليعة بيروت لبنان ، ط1 ،2001 ، ص11.10 ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج 3 ، ص 173.**

**(1) أبن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 236 .**

**(**) هي بلاد واسعة ، تشتمل على أمهات المدن أشهرها نيسابور ، هراة و مرو ، بلخ و طالقان ، نسا و أبيورد و سرخس ، و غيرها من المدن الجليلة ،يحيط بها من شرقيها نواحي سجستان و الهند و غربيها مفازة الغزية و نواحي جرجان ، و من الشمال بلاد ما وراء النهر و بعض الحدود من بلاد الترك و من الجنوب كل من مفازة فارس و قومس ، و قد ذكر الحموي بأن أكثر مدن خراسان فتحت عنوة و بصعوبة عكس باقي الأقاليم ، و قد إختلف في أصل تسميتها ، فيذكر أنها سميت نسبة إلى إبنا عالم بن سام بن نوح عليهما السلام هيطل و خراسان حين نزل كل واحد منها في الموضع الذي سميت به ، و هناك من يرجعها إلى أصلها الفارسي ومعناه كل سهلا ( خر أي كل و سان بمعنى سهل ).**

**–ياقوت الحموي:معجم البلدان، ج2،ص350و ما بعدها ؛ ابن حوقل:صورة الأرض،ص 35وما بعدها.**

**(***) و ينسبون إلى مدينة غزنة ، و إلى مؤسس دولتهم البتكين ، الذي كان عبدا للأمير الساماني أحمد ابن إسماعيل ،ارتقى و شغل مناصب كقيادة جيوش السامانيين حتى أسس لحكم الغزنويين بخراسان .**

**– محمد حسن العبادي : خراسان في العصر الغزنوي ، دار الكندي الأردن ، 1997 ، ص 26 .**

**(2) ناصر بن علي الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، تصحيح محمد إقبال ،دار لاهور ، 1933 ، ص 7 ؛ إبن خلكان : و فيات الأعيان ، ج 5 ، ص 65 .66 .**

في هذه الظروف و نتيجة لإندفاع **السلاجقة** و توسعهم علىحساب بعض المدن و الأقاليم في **خراسان** و ما حدث من نهب لمحاصيلها و قسوة على أهلها ،استنكر السلطان **محمود الغزنوي*** فعلهم هذا و قام بالقبض على زعيمهم و سجنه ،و طرد أتباعه خارج **خراسان** عقابا لهم على ما ارتكبوه[1] .

و بوفاة السلطان **محمود الغزنوي** سنة **421هـ/1030م**، أخذت قوة **الغزنويين** في التراجع عما كانت عليه في السابق ، و دلالة ذلك فقدانهم لعدة أقاليم لفائدة **السلاجقة** و ذلك بعد أن سعى **طُغْرُلْبِكْ** ** إلى توسيع نفوذ **السلاجقة** و العمل على توغلهم أكثر حيث بادر بطلب الإذن بالإقامة

---

**(*) هو السلطان محمود بن سبتكين الملقب بسيف الدولة ، كتب له أن يفتح غزنة ثم بلاد ما وراء النهر و بعدها سائر خراسان ، كان على قدر كبير من الشهامة و سداد في الرأي وذا صدق كبير خاصة فيما تعلق بالجهاد ، توجه إلى بلاد الهند فاتحا لها حتى وصل به الامر أن يصل إلى أقصى بلاد الهند ،بنى بكل موضع مما فتحه مسجدا حل مكان بيوت الشرك و الكفر، لم يخلوا مجلسه من أهل العلم،كان مولعا بعلم الحديث حتى أصبح شافعيا توفي في جمادى الأولى سنة 421 هـ/1030م .**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 17 ، ص 483 و ما بعدها ؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 5، ص 109.107؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 5 ، ص 175 و ما بعدها ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج 5، ص 314 و ما بعدها ؛ ابن كثير : البداية و النهاية ، ج15 ، ص 633 و ما بعدها .**

**(1) محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق إختصار الفتح البنداري ، دار الآفاق الجديدة بيروت،ط3،1400 هـ /1980 م ، ص 7.**

**(**) هو أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق ، تلقب بركن الدين طغربك وهو أول ملوك السلطنة السلجوقية ، عرف عنه الخصال الحميدة ، فكان محافظا على الصلوات الخمس ، يكثر من صيام الإثنين و الخميس من كل أسبوع ، كثير الصدقات خاصة بناء المساجد ، حتى أنه قال « أستحيي من الله سبحانه و تعالى أن أبني لي دارا و لا أبني إلى جانبها مسجدا »، ملك وقتها العراق و بغداد بعد فتحها ، توفي بالري و دفن إلى جانب أخيه دواد بمرو سنة 455 هـ/1063م.**

**–ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج5،ص63 و ما بعدها ؛الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 18 ، ص 107 وما بعدها ؛ابن العماد : شذرات الذهب : ج5 ، ص 234.233.**

بالقرب من **نَيْسَابُورْ*** فقام حاكمها بإبلاغ **السلطان مسعود** عن حال السلاجقة و طلبهم فرد **السلطان مسعود** بـأن أرسل جيشا مجهزا بكل مـا يلزمه لقتـال السلاجقة ، إلا أن إرادة السلاجـقة و عزمهم الكبير على تحقيق أهدافهم ، و إستغلالهم لحالة إقتتال جيش الغزنويين على الغنائم سمح لهم ذلك بقلب هزيمتهم إلى نصر ساحق غنموا منه ما إختلف عليه عسكر **الغزنويين**، كما ساهم نصرهم هذا في إسراع **السلطان مسعود** بتقديم الهدايا و طلب الصلح و منح **لطغرلبك** و إخوته ولايات **نَسَا****،**دَاهِسْتَانْ*****و **فَرَاوَةُ ****** ما يؤكد مدى قوة وهيبة السلاجقة خلال هذه الفترة[1].

---

**(*)من بين أعظم مدن خراسان ، وهي منبع العلماء ، إختلف في أصل تسميتها فهناك من قال بأن الملك الساساني سابور الثاني مر بها ، فتحت على عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم عهد عثمان بن عفان رضوان الله عليه سنه 31 هـ/640م، بها خيرات عديدة و أنهار كثيرة .**

**– ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج5،ص 331و ما بعدها؛ ابن حوقل:صورة الأرض،ص361 وما بعدها.**

**(**) وهي إحدى مدن خراسان ، يقال عنها أن المسلمين حين قصدوها فاتحين هرب أهلها من الرجال و بقي بها إلا النساء ، فقال المسلمون هؤلاء نساء لا يقاتلن ، فتركوها ومضوا و سموا بنساء ، و يذكر أنها مدينة وبئة قلما ينجوا منها في فصل الصيف لشدة حرها ،ينسب إليها الإمام العلامة الحافظ الجليل أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان النسائي صاحب كتاب السنن .**

**–ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 5 ، ص 282.281 .**

**(***) هي بلد مشهور من أطراف مازندران قريبة من خوارزم و جرجان ، يذكر عنها البشاري : دهستان مدينة بكرمان ، و داهستان ناحية بباذغيس من أعمال هراة و دهستان ناحية بجرجان ، و يقال بأنه ينسب إليها الحافظ أبو حفص بن ابي الحسن الرواسي الدهستاني .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ، ص 492 .**

**(****) بلدة صغيرة من إعمال نسا موضعها بين دهستان و خوارزم ،بنيت في عهد خلافة المأمون على يد عبد الله بن طاهر ،و يقال لها كذلك رباط فراوة ، ينسب إليها عدد كبير من العلماء لعل أشهرهم أبو نعيم محمد بن قاسم الفراوي ،أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أحمد الفراوي .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 245 .**

**(1) ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج 8،ص 239.238؛ الحسيني :المصدر السابق ،ص5.4.**

بعدما حققه **السلاجقة** من إنتصارات و توسعات و بعد إعتراف **السلطان مسعود** بما غنموه من الحروب معه خاصة ما وقع تحت أيديهم من أقاليم ، سرعان ما توالت الأحداث بعد ذلك بشكل لافت من خلال إستيلاء **السلاجقة** على مدينة **مَرْوُ**[1] .

أثار هذا الوضع حفيظة **السلطان مسعود** و باشر بإرسال قوات من جيوشه يرأسها قائد جنده لمواجهة **السلاجقة** [2] ، وإلتقى الجيشان بالقرب من مدينة **سَرْخَسْ** *في أواخر أيام شهر شعبان من سنة **429 هـ/1037 م**[3] ، و قد ذكر **البيهقي** عن هذه المعركة أنه لم يشهد أصعب منها من قبل حيث دارت أطوارها من الصباح حتى صلاة العصر ما بين صولات و جولات [4] إلى أن إنتهت هذه المعركة الدامية بإنتصار ساحق لجيش **السلاجقة** و هزيمة مخزية و مذله لقائد جيش **السلطان مسعود** ، و فتح هذا النصر **للسلاجقة** بمواصلة توسعهم و سيطرتهم على أغلب أقاليم **خراسان** و التي جلس فيها **طغرلبك** على سرير ملك **السلطان مسعود** معلنين بذلك قيام دولتهم في المنطقة ، و يذكر أنه بدخوله هذا ، عمل على النظر في المظالم يومان كل أسبوع ، كما قسم على إخوته أجزاء من أقاليم **خراسان** لإدارة شؤونها [5].

---

**(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 08 ، ص 240 .**

**(2) المصدر نفسه ، ص 226 .**

**(*) تعتبر مدينة سرخس من بين أقدم المدن بنواحي خراسان ، وهي تقع وسطا بين نيسابور و مرو هي مدينة قليلة المياه خاصة في فصل الصيف و ما يروي عطشها إلا ماء الآبار العذبة ، ذات تربة صلبة و تنتشر بها المراعي ، كما أنها أخرجت العديد من الأئمة و العلماء لعل أشهرهم : أبو الفرج عبد الرحمان بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمان المعروف بالبزاز السرخسي الفقيه الشافعي صاحب التصانيف ،و الفقيه و المحدث الإمام أبو علي زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى السرخسي .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 03 ، ص 209.208 .**

**(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج8،ص227.226؛عماد الدين الأصفهاني: المصدر السابق ،ص8.**

**(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 592 .**

**(5) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 8 ،ص 27 ؛ البيهقي : المصدر السابق ، ص 604.602.**

**– عماد الدين الأصفهاني : المصدر السابق ، ص 10.9.**

أثار ما آل إليه الوضع **بنيسابور** في نفس **السلطان مسعود،** و قام بتجهيز جيش خرج به من **غَزْنَةُ*** متجها لملاقات **السلاجقة** بالقرب من مرو عند باب **دَانْدَانْقَانْ** ** و ذلك في الثامن من شهر رمضان **431 هـ/1040 م**،و حدثت المعركة الشهيرة و أسفرت عن هزيمة مذلة لجيش **السلطان مسعود،** و لعل ما رجح نصر **السلاجقة** هو ذلك الإختلاف الذي نشب بين عسكر **الغزنويين** و إقتتالهم فيما بينهم و إستغلال **السلاجقة** لهذا الوضع ، وهي بمثابة الضربة التي من خلالها تراجع **الغزنويين** عن فكرة مجارات **السلاجقة** و مواجهتهم و خوض الحروب معهم [1].

و بهذا النصر إستطاع **السلاجقة** من أن يدحروا في طريق تحقيق أهدافهم القوة السياسية المتبقية في سبيل السيطرة على باقي أقاليم بلاد ما **وراء النهر** معلنين بذلك ميلاد دولة لعبت أدوارا ريادية في تسيير مجريات الحياة سياسيا و عسكريا في المنطقة و في المشرق الإسلامي أيضا.

---

**(*) و هي من بين المدن العظيمة و الولايات الجليلة عند أطراف إقليم خراسان ، و تعد غزنة بمثابة الحد الفاصل بين بلاد الهند و خراسان ، كثيرة الخيرات كما ينسب لها عدد معتبر من العلماء ، و تعتبر هذه المدينة عاصمة ملك محمود بن سبتكين و خلفه حتى زوال دولتهم .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 201 .**

**(**) هي بلدة نواحي مرو الشاهجان ، آثارها الحسنة كما روى الحموي دالة على أنها كانت مدينة هامة و مزدهرة و لم يتبقى منها سوى رباط ومنارة ، موضعها بين مرو و سرخس ، ينسب لها عدد من الفقهاء و رجال الصوفية لعل أشهرهم الصوفي أبو القاسم أحمد بن أحمد بن إسحاق بن موسى الداندانقاني و الفقيه فضل الله بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن روح الخطيبي أبو محمد الداندانقاني .**

**–ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ، ص 477 .**

**(1) الحسيني : المصدر السابق ، ص 12.11 .**

إن هذه الإنجازات التي حققها **السلاجقة** سمحت لهم بأن تكون لهم علاقات مع **الخلافة العباسية** و فتحت لهم أبواب المشرق الإسلامي و التوغل أكثر ، و تعود بداية هذه العلاقة بين **السلاجقة** و**الخلفاء العباسيين** بعد وقعة **داندانقان** إلى تلك المراسلات التي حدثت بينهم حيث بعث **السلاجقة** برسالة الولاء و الطاعة التامة للخليفة العباسي **القائم بأمر الله*** ، بإعتباره خليفة على الدولة الإسلامية و أنهم جزء من هذا الكيان السياسي الذي يعتبر مرجعا لجميع المسلمين .

بث هذا الإتصال و الإعتراف **السلجوقي** بالخلافة العباسية الإرتياح و الطمئنينة لدى **الخليفة** و بادر هو الآخر بمراسة إلى **طغرلبك** حيث أوفد إليه الهدايا ، إعترافا منه **بالدولة السلجوقية** و ما تحت أيديهم في المنطقة [1].

---

**(*) هو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر العباسي ، إعتبر أحد أخيار خلفاء بني العباس ، عرف عنه أنه كان تقيا ورعا و متدينا ، كان يكثر من الصدقات ، عالم فاضل ،و روي عنه أنه حين عاد من أسر البساسيري أكثر من الصيام و التجهد ، عرفت عنه عديد الأوصاف فيقال أنه كان ابيضا حسن الوجه ، ولد القائم في نصف ذي القعدة سنة391هـ/1000م ، يروى عن أمه أنها أرمينية أم ولد يقال لها قطر الندى ، تولى الخلافة عقب موت أبيه سنة 422 هـ/1030م ، ولي العهد و أبوه حي و هو من لقبه بالقائم بأمر الله ، كان رجلا مستقيما ، و قع أسيرا بأمر من البساسيري سنة 450 هـ/1058م توفي القائم بأمر الله و هو عليل ، و قبل وفاته عهد بالخلافة إلى حفيده عبد الله بن محمد .**

**– ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،ج 5،ص 287.285؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج 15 ، ص 138 و ما بعدها ؛السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 329 و ما بعدها ؛ ابن الطقطقا : الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية ، ص 293.292.**

**(1) عماد الدين الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص 9؛ ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد): الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق و تقديم قاسم السامرائي ، دار الآفاق العربية القاهرة ،ط1 1419 هـ/1999 م ، ص 191.192.**

تزامن ظهور قوة **السلاجقة** العسكرية و توغلهم نحو المشرق و عاصمة الخلافة العباسية بهيمنة و تسلط **للبويهيين** بأمور الخلافة العباسية و ما خلفوه من عزل الخلفاء و توليتهم حسب ما تقتضيه مصالحهم بالمنطقة ، و أصبح الخليفة مجرد من كل الصلاحيات و الإمتيازات التي جاهد أسلافه من العباسيين لأجل الوصول إليها .

حين علم القائد **البَسَاسِيرِي*** كبير **البُوَيْهِيِينْ** في بلاط الخلافة العباسية بالتواصل و الوفاق الذي تم بين **طغرلبيك** زعيم **السلاجقة** و الخليفة العباسي **القائم بأمر الله** ، قام بمهاجمة العاصمة بغداد حيث بث فيها رعبا و خوفا شديدا ، بل تعدى به الأمر أن قام بأسر الخليفة **القائم** نفسه [1].

في ظل هذه الظروف عمل **القائم بأمر الله** على إتصاله **بالسلاجقة** و طلب المساعدة منهم لمناصرته على فتنة **البساسيري** و خطره على مستقبل الخلافة الذي أصبح مهددا أكثر من أي وقت مضى وكان له ذلك [2].

---

**(*) هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري ، تركي الأصل لقب بالأمير المظفر ، كان مقدما للأتراك في بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، و كان مملوكا لبهاء الدولة البويهي ، قدمه الإمام القائم بأمر الله خليفة العباسيين على جميع بني جنسه من الأتراك في بلاطه ، إلا أنه تنكر له و ثار عليه ، و في سنة خمسين و أربعة مائة قام البساسيري بأسر القائم ، خطب على المنابر بإسم المستنصر العبيدي صاحب مصر ،و خاض البساسيري نـزالا مع السلاجقة و زعيمهم طغرلبك إنتهت بمقتله في 451 هـ/1059مو عودة الخليفة إلى كرسي الخلافة في بغداد معترفا بدوره بما للسلاجقة من أقاليم بالمنطقة .**

**– ابن كثير : البداية و النهاية،ج 15 ،ص 774.773؛ ابن العماد: شذرات الذهب،مج5 ، ص222.221 ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 1، ص 193.192 .**

**(1) ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 15 ، ص 765 ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 329؛ ابن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، ص 193 .**

**(2) ابن الطقطقا : الفخري في الآداب السلطانية ، ص 293 .**

و لما سمع **طغرلبك** هذا النبأ جهز جيشا ، و قام بمراسلة **البساسيري** طالبا منه أن يطلق سراح الخليفة العباسي دون المساس به ليعود إلى خلافته ، فحدث ذلك بعد تدخل القائد **البساسيري** لهوله من ما وصله من خبرا عن قوة و تعداد و تجهيز جيش السلاجقة ، هذا الأخير ( **البساسيري** ) الذي ثار عليه لفعله ذلك ، و عاد **القائم بأمر الله** إلى داره في أبهى حلة و بين يديه الأمراء و الحجاب و بعدها دار قتال كبير بين جيش **طغرلبك** و أتباع **البساسيري** إنتهى بمقتل هذا الأخير ، و دخول **طغرلبك** مظفرا بنصره حاملا رأسه ( البساسيري ) و يطوف به بشوارع بغداد و كان ذلك في سنة **451 هـ/1059م**[1].

و بقضاء **السلاجقة** على النفوذ **البويهي** و عودة الخلافة العباسية إلى مكانها المعهود و الإعتراف العباسي بالدولة **السلجوقية** و سلطانها ، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الخلافة العباسية و الدولة الإسلامية لعب فيه هذا العنصر التركي دورا مميزا في سير أطوارها في جميع نواحي الحياة بفضل قوة الدولة عهد سلاطينها العظام و كذا دور وزرائهم المميز في العمل على توجيه السياسة الداخلية و الخارجية للسلطنة السلجوقية و علاقاتها الدبلوماسية ، و رسم أهدافها في المنطقة [2].

---

**(1) أبن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج8 ، 348.347؛ أبن كثير : البداية و النهاية ، ج15 ، ص772 – 774؛السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 330.329 .**

**(2) أما عن حدود السلطنة السلجوقية و أبرز القوى السياسية المجاورة لها ، أنظر : الملحق 1 من المذكرة ، ص 145 .**

## المبحث الثاني : مظاهر إهتمام السلاجقة بالحياة العلمية " الوزير نظام الملك نموذجا "

### 1- نشأته و نجاحه في تقلد الوزارة و إدارة شؤون السلطنة السلجوقية :

هو **أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي الملقب بنظام الملك**[1]ولد سنة **408 هـ/1017م** بإحدى مدن **طَوْسُ***،كان **النظام** من أولاد **الدَهَاقِينْ****و أرباب الضياع بنواحي مدينة **بَيْهَقْ*****، إنصرف للإشتغال بعلوم الفقه و الحديث[2] ،و ذكر **ابن كثير**أن والده كان من أصحاب **محمود سَبْكُتْكِينْ الغزنوي**، و قد عمل أبوه لدى حاكم **الغزنويين** في إقليم خراسان فعينه

---

**(1) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ، ص 302؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ج 2 ، ص 128؛ ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 16 ، ص 125؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 5، ص 362؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج 4 ، ص 312 .**

**(*) و هي مدينة بنواحي خراسان ، تشتمل على أربع قرى كبرى لعل أشهرها الطابران و نوقان كما أنه يتبعها أزيد من ألف قرية ، بهذه المدينة قبر الخليفة العباسي هارون الرشيد ، ينسب إليها خيرة العلماء و الساسة من المسلمين أبرزهم حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي المدفون بها ، و محمد بن طغماج صاحب المسند ، و وزير السلاجقة القدير نظام الملك الطوسي .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 4، ص 50.49 .**

**(**) الدهاقين : كلمة فارسية و هي في الأصل " دهقان " و معناها المعرب هو التاجر و من له مال .**

**–ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي كبير و آخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ وطبعة ، مج 2، ص 1443.1442 .**

**(***) و هي من بين النواحي الكبيرة و الجليلة من نيسابور ، أصل الكلمة فارسي معناها الأجود تحتوي على عدد كبير من قرى نيسابور ،و تعد بيهق من بين المدن التي أخرجت عددا هاما من العلماء و الفضلاء إلا أن الغالب على أهل هذه المدينة مذهب الروافض الغلاة ،و من أشهر أئمتها نذكر : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي إمام حافظ فقيه في أصول الدين ،من بين أجل أصحاب أبي عبد الله الحاكم أشهر تصانيفه :كتاب السنن ،معرفة علوم الدين ،فضائل الصحابة و مناقب الإمام الشافعي ، و الإمام الحسين بن أحمد بن علي بن الحسين بن فطيمة البيهقي و غيرهم.**

**–ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 1، ص 538.537 .**

**(2) ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 16 ، ص 125 .**

جابيا للضرائب لمدينة **طوس**[1] .

توفيت والدة **نظام الملك** و هـو في سن الرضاعة فلم يكن بوسع والده أن يوفر لـه مرضعـة و مرد ذلك ضيق ذات يده و قلة دخله الذي لم يكفيه على إعالته لتيسير تنشأته بالطريقة المثلى فكان يطوف به في الأحياء و الشوارع فأرضعنه النساء حسبة لله تعالى ، و في هذا السياق يذكر **ابن الأثير**: «**زال ما كان لأبيه من مال و ملك و توفيت أمه و هو رضيع فكان أبوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شب و تعلم العربية**»[2].

نشأ **نظام الملك** فقيرا ، لكن طموحه و همته لم تتأثر بعوزه هذا و من ذلك ما ذكره **ابن الجوزي**: «**كان عالي الهمة إلا أنه كان فقيرا**»[3] و قد أكد**ابن خلدون** ما ذهب إليه **ابن الجوزي** فيقول في هذا الصدد : «**ذهبت نعمة آبائه و ماتوا فنشأ يتيما**»[4].

إن تلك الهمة العالية وحب طلب العلم الظاهرتان على **نظام الملك**، كانتا بمثابة الدافع الداعم له في سبيل التغلب على علة اليتم و الفقر و الإنصراف إلى طلب العلم و التعمق فيه منذ صباه و هو ما يفهم مما أورده **ابن الأثير** في هذا الصدد فيقول عن **النظام** : «**شب ، و سر الله فيه يدعوه إلى علو الهمة و الإشتغال بالعلم فتفقه و صار فاضلا**»[5].

إستهل **نظام الملك** تعليمه بتعلم اللغة العربية ، و بعدها إجتهد في تعلم الفقه على مذهب الإمام الشافعي و سماع الأحاديث ، فبعث به والده بعدها إلى **غزنة** و عمل هناك بالدواوين السلطانية و قد تيسر و إرتقى به الحال هناك [6] .

---

**(1) نظام الملك : سياست نامة ، ص 19 .**

**(2) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 8، ص 480 ؛ عماد الدين إسماعيل أبي الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ط 1، المطبعة الحسينية المصرية ، بدون تاريخ ، ج 2، ص 202 .**

**(3) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ، ص 302 .**

**(4) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج 5، ص 15 .**

**(5) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 8، ص 480 .**

**(6) السبكي : طبقات الشافعية ، ج 4، ص 312؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج 19 ،ص 95 .**

و قد أجمل ابن كثير و أكد ما تقدم من قول عن ثقافة **نظام الملك** و تعلمه في قوله: « **قرأ القرآن و لـه إحـدى عشرة سنـة ، و أشغلـه والـده بـالعلم و القراءات و التفقـه على مذهـب الشافعي و سماع الحديث و اللغة و النحو ،و كان عالي الهمة فحصل من ذلك طرفا صالحا** »[1].

نقل في سماع الحديث و طلبه ما بين مدن العراق و خراسان فتوجه إلى مدن **الرَّيْ*** **أَصْفَهَانْ****و **نيسابور**،و **بغداد** ، قـاصدا شيوخها للسماع منهم ،كما أنه حدث بهذه المـدن بعـد أن حفـظ و سمع منها [2]، و ما يدل على ذلك قول **السبكي** أن **أخ نظام الملك** تحدث عن هذا الموضوع فقال:«**كان أخي نظام الملك يملي الحديث بالري و حين يفرغ منه يقول : إني لست أهلا لما أتولاه من الإملاء لكني أريد أن أربط نفسي على قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و قد سمـع الحديث بأصبهان و أملـى ببغداد بمجلسين أحدهـا بجامـع المهـدي بالرصافة ،و الآخر بمدرسته** »[3].

---

**(1) ابن كثير : البداية و النهاية : ج 16 ، ص 125؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج 19،ص 96.**

**(*) وهي من أمهات المدن و أعلامها تتوفر على خيرات لا تعد و لا تحصى ، إختلف في أصل تسميتها فهناك من ينسبها إلى العجلة الكبيرة التي أنشئها كيكاوس التي ركب عليها بغرض الصعود للسماء فألقته في بحر جرجان و الري بالفارسية معناها العجلة ، و يقال بناهى فيروز بن يزدجرد ، بعد بنائه لمدينة رام فيروز، يتميز عمرانها ببنائه الجميل من الآجر المنمق و الملمع بالزرقة ، كما يذكر عن أن أهلها نصفهم من الشيعة.**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 3، ص 117.116 .**

**(**) و هي مدينـــة عظيمة مشهورة ومـــن بين أبرز المدن ، و أصبهان إسـم يطلق علـى كـامل الإقليم و المدينة غاية في الأبهة و الجمال إلا أن أكثرها مخرب ، إختلف في تسميتها فهنـاك من قال أنها أصل لأصبهان بن فلوج بـن لمطي بن يونان بـن يافث ، و رأي آخر يرجعها إلى أصبهان بن فلوج بـن سام بن نوح عليه السلام ، و هي إسـم مـركب من كلمتين أصلها فارسي و تعني : الأصب معناه البلـد و هان معناه الفارس أي بلاد الفرسان .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 3، ص 116 و ما بعدها .**

**(2) السبكي : طبقات الشافعية ، ج 4، ص 318 .**

**(3) المصدر نفسه : ص 318 .**

إستطاع **نظام الملك** في سن مبكرة أن يظفر بزاد و نصيب علمي في مجال العلوم الشرعية لم يحدث أن كان لأحد من بني جنسه ، إلى جانب ذلك تميز بأنه كان كاتب قديرا و كفـؤا ، ملمـا و مطلعا على سائر العلوم [1]،كما ذكر **ابن خلدون** أن **نظام الملك** كان ململ في العلوم و الصنائـع و علق بالخدم السلطانية في بلاد **خَرَاسَانْ** و **غَزْنَةُ** و **بَلَخْ*** ،ثم لازم خدمة وزير السلطان **أَلَبْ أُرْسَلَانْ****بلخ** حتى صار وزيرا له و ذلك بوصية من والده لفطنته و درايته الواسعة بشؤون الدواوين و الإنشاء و بقي في خدمته فكان مدبرا مميزا لشؤون سلطانه[2].

---

**(1) نظام الملك : سياست نامة ، ص 19 .**

**(*) و هي مدينة مشهورة بخراسان و أوسع مدنها ،متميزة بتنوع و كثرة خيراتها ،فتحت هذه المدينة عهد خلافة عثمان بن عفان و ينسب إليها خلق كبير من علماء الحديث أشهرهم الحسن بن شجاه البلخي.**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 1، ص 480.479 .**

**(**) هو أبو شجاع محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، الملقب بعضد الدولة ألب أرسلان ابن أخ السلطان طغرلبك ، و معنى ألب أرسلان في الفارسية شجاع أسد ، إستولى على زمام الامور في السلطنة السلجوقية سنة 457 هـ / بعد أن إنتصر على أخيه سليمان بن داود ، الذي ولاه عمه طغرلبك أمور السلطنة بعد وفاته ، إستطاع أن يؤسس لحكمه سلطنة ذات قوة و هيبة أكثر مما كانت عليه زمن عمه ، و تعدى الأمر ذلك بل أن فتوحاته فاقت ما وصلت إليه السلطنة عهد عمـه ، و يحسب له أنه إعتبر من أجل سلاطين بني سلجوق لإستقرار ملكه و عدله مع رعيته ، قبل وفاته عهد لوزيره القدير نظام الملك و جيشه بتولية إبنه ملكشاه من بعده سلطانا للسلاجقة ، توفي سنة خمس و ستين و أربعة مائة ، حيث نقل إلى مدينة مرو و دفن بجوار والده داود و عمه طغرلبك .**

**– إبن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ، ص 347 ؛ إبن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 5، ص 275.273 ؛ إبن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 5، ص 71.69 ؛ يوسف ابن تغري بردي الأتابكي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، تعليق و تقديم محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط 1،1413هـ/1992م ، ج 5،ص94.93.**

**(2) ابن كثير : البداية و النهاية ،ج 16 ،ص 125 ؛ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،ج 5،ص15؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمـم ، ج 16 ، ص 303.302؛ نظام الملك : المصدر السابق، ص 19 .**

عمل **نظام الملك** وزيرا للسلاجقة لثلاثين سنة منها عشر سنوات فترة حكم **ألب أرسلان** و عشرون سنة من بعدها فترة حكم إبنه **مَلِكْشَاهْ** *و عمل فيها على توطيد حكمهم و السعي إليه حتى وفاته عهد **ملكشاه**[1].

و ما ميز فترة وزارته هو إلغائه للضرائب أو المكوس المفروضة على الرعية [2]، و هدفه من وراء ذلك هو العمل على الإحسان للرعية و التخفيف عنهم لم يكتف **نظام الملك** بهذا فحسب بل عمل على الجلوس شخصيا للنظر في المظالم و إنصاف الرعية من المسؤولين و العمال و هو ما يظهر جليا في قول **الذهبي**:«**فدبر ممالكه على أتم ما ينبغي ،و خفف المظالم، و رفق بالرعية**»[3].

---

**(*) هو أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، الملقب بجلال الدولة ان مولده سنة سبع و أربعين و أربعة مائة ، روي عنه أنه كان أحسن لملوك سيرة حتى لقب بالسلطان العادل ،كان مولوعا بالعمران و البناء حتى بنى الكثير من الأسوار و شق الأنهار و بنى الرباطات و القناطير و بنى جامع السلطان ببغداد ، كان ملكشاه مع والده يوم وفاته حيث لم يذكر أنه كان بجواره من قبل ، ولي أمور السلطنة بعد أن عهد له والده بالأمر من خلال عهد الولاء و الطاعة الممنوحين له من طرف الأمراء و الجند كما أوصى به وزيره القدير نظام الملك ، إتسعت السلطنة في عهده فبلغت أقصاها و نافس بذلك سابقيه فس إتساع ملكه ،عرف حكمه بالأمن و الإستقرار حتى صارت تسير قوافل التجارة آمنة من بلاد ما وراء النهر إلى أقصى بلاد الشام ، توفي عليلا بعد أن عاد من الصيد سنة خمس و ثمانين و أربع مائة .**

**– ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج5،ص283 و ما بعدها ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،ج5 ص133.132 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ،ج5 ،ص367.366؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ج19 ،ص 58.54 .**

**(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 2، ص 128 ؛المقدسي(شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمان ابن إسماعيل ابن إبراهيم) : الروضتين في أخبار الدولتين ، رواية يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي ،مطبعة وادي النيل ، مصر ، بدون طبعة ،1287هـ ، ج1 ، ص 25.**

**(2)ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج8،ص481؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،ج5،ص15.**

**(3) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 19 ، ص 95.**

و أكد **السبكي** ما ذهب إليه الذهبي في هذا السياق فقال : «**إن قعد للمظالم أقـام الكتاب و السنة ،و أخاف في الله ببطشه كل ذي يد عادية ، تغدو بعدها النفوس مطمئنة ،حتى أقرت له بالعدل عظماء السلاطين ،و إستقرت في أيامه بالأمن الناس لا يخشون نازلة المتعالين**»[1].

و من بين ما أسقطه **نظام الملك** من المظالم و أبطالها هي إلغاء لعن الأشعرية على المنابر التي جرت العـادة على القيام بها عهد السلطان **طغرلبك** بعـد أن كـانت تلـعن فيها الرافضـة (الشيعة) و الأشعرية ،و هو مايظهر في قول **إبن الأثير** : «**أن الوزير عميد الملك الكندري * قد حسن للسلطان طغرلبك ، التقدم بلعن الرافضة فأمره بذلك ، فأضاف إليهم الأشعرية و لعن الجميع**»[2] ربما مرد إسقاط **نظام الملك** لعن الأشاعرة و تعاطفه معهم دون الروافض راجع في الأساس إلى كونه شافعيا أشعريـا [3].

و هـو إقرار بعـدل و حلـم الوزير **نظام الملك** و سعيه لإقامته ( العدل ) و فرضه بين الرعـية و العمل على إحترامه في سبيل إيجاد مجتمع متكامل تحترم فيه الحقوق و تؤدى فيه الواجبات.

---

**(1) السبكي: طبقات الشافعية ،ج 4،ص310؛ أبن خلكان: وفيات الاعيان،ج5 ،ص139.138.**

**(*) هو أبو نصر محمد بن منصور بن محمد ، الملقب بعميد الملك الكندري ، يعد من بين أجود الرجال ، سخي ذات همة عالية ، و هو أول وزير في السلطنة السلجوقية ، نال منزلة رفيعة و جليلة عهد السلطان طغرلبك ،كان محبا لمجاس العلم و الشعراء ، ذكر عنه ابن الأثير أنه كان شديد التعصب على الشيعة الرافضة ،حتى أمر بلعنهم من على المنابر فلعنوا و أضاف إليهم الأشعرية ، ربما يرجع ذلك بحسب ما أورده الذهبي أنه يؤذي الشافعية و يناصر مذهب الإمام ابي حنيفة ،و نتيجة لهذا الوضع نفر من خراسان خيرة الأئمة و العلماء غضبا من ما أقدم على فعله الوزير عميد الملك لعـل أشهـرهم " أبـو القاسم القشيـري و إمام الحرمين الجويني " و غيرهم ، ثم إستوزره السلطان ألب أرسلان إلى أن قام بعزله ثم أقدم على سجنه بمرو الروذ حتى أمر السلطان بقتله و ذلك سنة ستة و خمسون و أربعة مائـة و نقل إلى كنـدر ودفن بهـا ، و نصب مكانه الوزير نظام الملك الطوسي .**

**– ابن خلكان : وفيات الأعيان،ج5،ص142.138؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج8،ص365.364 ؛الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج18 ،ص114.113.**

**(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج8،ص 481 ؛ ابن خلدون :تاريخ ابن خلدون،ج5،ص15.**

**(3) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 19 ، ص 96.**

اعتبر عهد وزارة **نظام الملك الطوسي** للسلطنة السلجوقية عصر القوة و الاستقرار حيث كان محركا قويا و دافعا لسياستها الداخلية ، و منظرا و مهندسا لتوجهات السلطنة و علاقاتها بالقوى الإقليمية خارجها [1].

كما عمل على تقوية نفوذ السلطنة من خلال استحداث فرقة من الجيش كانوا من المماليك الأتراك حملت اسمه فلقبت بـ " **فرقة الغلمان النظامية**" ، الذين كانوا رهن إشارته وقت ما استدعته الحاجة إليهم ، و قدر **إبن الجوزي** عددهم في قوله : «**و ملك من الغلمان الأتراك ألوفا**» و في هذا الصدد إتهم **الوزير** بالإسراف و التبذير من قبل أعدائه [2]،و هو ما أكده **السبكي** فأورد عنهم أنهم كانوا من **الأتراك المماليك**، أعدادهم كثر قد حضوا بعناية خاصة من **نظام الملك** يتتبعون الملوك في غالب أحوالهم ، مهيؤون لخوض الحروب و هم من خاصة جنده ، هدفه في إيجاد نخبة متميزة تعمل تحت يده و إمرته [3]، كما حافظ على نفوذهم بالدولة و خدمة أمرائها حتى بعد وفاة نظام الملك [4] .

إن توجهات و سياسة السلطنة السلجوقية و توسعاتها في المنطقة، و بهدف ضمان الإستقرار الداخلي لها، عمل **نظام الملك** لأجل هذا الغرض بإستحداث نظام الإقطاع العسكري الذي حل مكان العطاء أو الرواتب كنظام مالي للجيش كان معمول به في الدولة الإسلامية منذ زمن **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** ، حيث منح أمراء جيوش السلطنة إقطاعات لإستغلالها ، و مقابل ذلك يمنح الامراء أعداد من الفرسان تتناسب مع حجم إقطاعاتهم يكونون في خدمة السلطان رهنا لإشارته.

و هو مايتضح جليا في ما أورده **السبكي** في قوله :«**إن نظام الملك أول من فرق الإقطاعات على الجند ولم يكن عادة الخلفاء و السلاطين ، من لدن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، إلا أن الأموال كلها تجبى إلى الديوان ، ثم فرق العطايا على الأمراء و الأجناد** »[5].

---

(1)**Antony Black** : **The History of Islamic Political Thought**, **Second Edition** , **Edinburgh University Presse** , **2011**, **P 91**.

**(2) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ، ص 305.304 .**

**(3) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 4، ص 316.**

**(4) نظام الملك : سياست نامة (سير الملوك) ، ص 20**

**(5) السبكي : المصدر السابق ، ص 317 .**

لعل حجة **نظام الملك** في إستحداث هذا النظام الجبائي و تخليه عن النظام القديم، هو إتساع رقعة الدولة، و عدم قدرتها على عمارتها و التحكم فيها بالشكل الأمثل، و يظهر ذلك جليا في قوله : «**فإن فيه إذا تسلمها و ليس له غيرها عمرها و إعتنى بها ، بخلاف ما إذا شمل الكل ديوان واحد فإن الخرق يتسع**»[1]،و هو فعلا ما تحقق حيث أن هذا النظام الإقطاعي نجح في تحقيق أهدافه المسطرة عهد **الوزير نظام الملك** و هو ما يظهر واضحا في ما أورده **السبكي** في هذا السياق فيقول :«**ففعل ذلك،فكان سبب عمارة البلاد،و كثرة الغلات،و تناقلته الملوك بعده**»[2] .

إن عهد وزارة **نظام الملك** و ما ميزها من إصلاحات في شؤون الدولة ، سمحت لهذه الشخصية الفذة من أن ينفرد في تسيير شؤون البلاد مكان السلطان الذي إعتبر بمثابة واجهة السلطنة و رمزا لها ، و سلطة القرار و الحل و العقد و تدبير أمور السلطنة بيد **الوزير نظام الملك** و هو ما يفهم من قول **ابن خلكان** في هذا السياق فيقول : «**فلما مات ألب أرسلان ، و إزدحم أولاده على الملك ، وطد المملكة لولده ملكشاه فصار الأمر كله لنظام الملك ، و ليس للسلطان إلا التخت و الصيد و أقام على هذا عشرين سنة**»[3].

و هو ما أكده **غلام حسين** في كتاب "**سير الملوك أو سياست نامة** " عن نفوذ **نظام الملك** و أسرته بأمور السلطنة السلجوقية فقال : «**كان لنظام الملك إثنا عشر ولدا ،و عدد كبير من الأصهار و ذوو القربى ،و قد عهد لكل واحد من أبنائه و أقاربه و غلمانه بولاية أو حكومة ، كما أنه أوصل أنصاره إلى مصاف الجاه و النعمة ، فكان سلطان السلاجقة من أقصاه إلى أقصاه تحت نفوذه و كان أمره نافذا في كل مكان**»[4].

بالإضافة إلى ذلك، كانت **لنظام الملك** علاقات قوية مع بالعباسيين و ذلك بتعظيمه لمكانة الخليفة و السهر على رعاية مصالحه، بهدف تقوية نفوذه و تعزيز هيبته و الإنفراد بأمور السلطنة و التحكم في تسيير شؤونها أكثر من أي وقت مضى [5].

---

**(1) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 4، ص 317 .**

**(2) المصدر نفسه ، ص 317 .**

**(3) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 2، ص 128 .**

**(4) نظام الملك : سياست نامة (سير الملوك) ، ص 20 .**

**(5) السبكي : المصدر السابق ، ص 322 .**

نال **نظام الملك** ألقابا تتحدث عن رفعة مكانته و ذيع سيطه في السلطنة أشهرها :" **تاج الحضرتين** "لوزارته إثنين من سلاطين السلاجقة العظام " **ألب أرسلان و ملكشاه** "، و منح لقب " **رضى أمير المؤمنين** "من دار الخلافة ، علما أن الخلفاء العباسيين لم يمنحوا ألقابا لأي وزير غيره[1].

و إستطاع **نظام الملك** أن يكسب نفوذا و إحتراما كبيرين في الأوساط الدينية لما تميز به من إحترام للزهاد ،و رجال العلم ، و العمل على تقريبهم من بلاطه و مناقشتهم ، و هو راجع في الأساس إلى تكوينه المذهبي و الديني الرفيع ما زاد في علو مكانته لديهم [2]، كما عمل **نظام الملك** على بناء المدارس و العمل على عمارتها خدمة للمذهب السني الشافعي الذي كان من شروط التدريس بها فأوقف لها الأموال و الجرايات، ما ساعد فيما بعد على جذب خيرة العلماء و الفقهاء الذين درسوا بها و على رغبة طلاب العلم في الدراسة بها [3].

فأزدهرت الحياة العلمية و كثرت حلقات طلب العلم و الوعظ ما ساهم فيما بعد في إيجاد جو متميز لم يحدث أن عرفته الدولة الإسلامية من قبل في جانب حياتها العلمي .كما أن تجربة **نظام الملك** السياسية تعد بمثابة منهاج يستحق أن يكون منارة في درب كل من أراد النجاح في الإصلاح الداخلي و الخارجيفي تلك الفترة ،و هو ما تحقق فعلا في أخريات حياة الوزير القدير فقد طلب السلطان **ملكشاه** من حكماء دولته أن يؤلفوا عن تجربة السلطنة في جانب الإصلاحات و أن يوثقوا إنجازات سلاطينها السابقين ، وبعد إطلاعه عليها أسره كتاب الوزير نظام الملك الموسوم بـ:"**سِيَاسَتْ نَامَةَ أو سير الملوك**" الذي يعد بمثابة خلاصة لتجارب **نظام الملك** في قضايا الإدارة و الحكم فترة وزارته لسلاطين السلاجقة العظام حيث قال **ملكشاه** واصفا الكتاب :«**لقد إتخذت هذا الكتاب إماما لي ، و عليه سأسير**» و هو دليل على أهمية الكتاب و قيمته آنذاك[4].

---

**(1) نظام الملك : سياست نامة (سير الملوك) ، ص 19.**

**(2) المصدر نفسه ، ص 21.20 .**

**(3) ابن الأثير : الكامل في التاريخ،ج08،ص481.480؛ابن الجوزي : المنتظم ،ج16 ،ص304؛ ابن كثير: البداية و النهاية ،ج 16 ،ص 126؛ ابن العماد :شذرات الذهب ،ج5، ص362؛الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج19 ،ص 94.**

**(4) نظام الملك :المصدر السابق ، ص 27 .**

إن التمكين الذي حصل **لنظام الملك** و تحكمه في إدار أمور السلطنة و تحكمه بها، دفع بالسلطان **ملكشاه** إلى محاولة القضاء على هذا النفوذ الذي رأى فيه تهديدا له فعمل على تدبير مقتل **نظام الملك**، فأختلفت الروايات التي تحدثت عن ذلك ، حيث يذكر **ابن العماد** أنه أتاه في العاشر من شهر رمضان صبي صوفي الشكل من الباطنية عندما كان الوزير عائدا إلى **بغداد** بالقرب من **نَهَاوَنْدُ** * بعد إنتهائه من إفطاره تقدم الصبي إلى الوزير ليناوله قصة ، و بعدها أخرج خنجرا و ضربه في قلب الوزير فأرداه قتيلا و ذلك سنة خمس و ثمانين و أربعة مائة [1] ،حيث ذكر**ابن الجوزي** حول سأم السلطان **ملكشاه** من سلط **نظام الملك** و أسرته فيقول :«**و شاع بين الناس أن السلطان سأم طول عمره وصور له أعدائه كثرة ما يخرج من الاموال**»[2]،كما أورده **السبكي** عن خبر وفاته فقال :«**و جاء السلطان ملكشاه حين بلغه الخبر مظهرا الحزن و النحيب و البكاء**»[3] .

و ذهب **أبو الفداء** في حديثه عن مقتل **نظام الملك** أنه حدث خلاف بين الوزير و سلطانه أودى بحياته فقال : «**و سببه أنه حصل بين ملكشاه و بين نظام الملك وحشة**»[4].

فيما تحدث **ابن كثير** و **الذهبي** عن إتهام وجه إلى السلطان **ملكشاه** مفاده أنه كان وراء تدبير مقتل الوزير **نظام الملك**[5].

---

**(*) وهي من المدن العظيمة بينها وبين همذان مسير ثلاثة أيام و في أصل تسمية هذه المدينة روايات عديدة ، فيذكر أبو المنذر هشام أنها سميت بنهاوند لأنهم وجدوها كما هي ، و يقال في أصلها كذلك أنه بناها نوح عليه السلام ،و إسمها "نوح أوند" و خففت و قيل نهاوند ، و قيل أيضا : " أصلها بنو هاوند فأختصروا منها و معناه الخير المضاعف " ، كما تعتبر هذه المدينة من أعتق المدن في الجبل ، فتحت سنة 19 هـ و يقال 20هـ ، وبها الوقعة الشهيرة " وقعة نهاوند " سنة21هـ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 5، ص 313 .**

**(1) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج5 ، ص 364.**

**(2) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الامم ، ج 16 ، ص306.305.**

**(3) السبكي : طبقات الشافعية ، ج 4، ص 323 .**

**(4) ابي الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج 2 ،ص 202.**

**(5) ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 16 ، ص 128 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 19 ،ص 96.**

و قد تطرق **عماد الدين الأصفهاني** لموضوع مقتل **نظام الملك** حيث تحدث عن أن السلطان **ملكشاه** و عند دخوله إلى بغداد في الرابع و العشرون من شهر رمضان سنة خمس و ثمانون و أربع مائة ،كان قبلها قد قام بقتل الوزير و دخل بعدها بغداد ، وبعدها و ليس بزمن طويل و إنما عدة أيام توفي السلطان **ملكشاه**[1].

أما **الحسيني** فقد تحدث عن مقتل الوزير **نظام الملك** أنه توفي عندما كان في حصار **قلعة أَلْمُوتْ*** متتبعا لرأس فتنة الباطنية و زعيمها الذي تفشى شرهم و ضرهم ، و إستفحل أمرهم محاولا القضاء عليهم فعندها خرج رجلان تهيأ للجند أنهم دخلوا القلعة و تقدم إليه واحدا في هيئة متظلم فضربه بسكين وهرب [2]. و أضاف **الحسيني** أن صاحب خزانة السلطان **ملكشاه** كان وراء تحريض السلطان و تأليبه على وزيره ،و أشار كذلك إلى محاولات سابقة للإيقاع بالوزير من طرفه(**صاحب خزانة السلطان**) عندما حاول إظهار مدى إسراف الوزير في منح العطايا و الأموال إلى الصوفية و الفقهاء و طلاب العلم و أن تلك الأموال من شأنها أن تدعم جيوش السلطنة و تقويتها بدلا من منحها لهم[3]،و قد أشار **ابن خلدون** إلى أن مقتل الوزير **نظام الملك** إنما جاء بعد اتفاق بين **السلطان و الإسماعيلية** و تنسيق في عملية إغتياله،حيث ذكر أنه هو الذي بعث الباطني و أمره بتنفيذ فعله ذاك[4].

لعل مقتل **نظام الملك** لم يحقق ما كان يطمح إليه السلطان **ملكشاه** حيث و بعد وفاة الوزير بحوالي شهرا توفي **ملكشاه** ، حيث أورد **السبكي** ذكر هذا في قوله : «**و الحاصل أنه بعد نظام الملك لم يتمتع بملكه ، و لم يعش غير شهر واحد**»[5].

---

**(1) عماد الدين الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص 80.**

**(*) ذكر ياقوت الحموي عددا من القلاع كقلعة النجم ،أيوب ، و جعبر ، و الروم ، و بسر و غيرها من القلاع لكن لم يرد ذكر قلعة ألموت و على الأرجح ربما تكون بالقرب من مدينة نهاوند و همذان .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج 4 ، ص 389–391.**

**(2) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 67.66.**

**(3) المصدر نفسه ، ص 67 .**

**(4) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج 5،ص 14 .**

**(5) السبكي : طبقات الشافعية ، ج 4، ص 327 .**

و بمقتل الوزير القدير **نظام الملك** و السلطان **ملكشاه** ، يكون قد ولى عهد "**سلاطين و وزراء السلاجقة العظام**" و ذلك لما خلفوه من إنجازات سواء على الصعيد الداخلي من إصلاحات إجتماعية و إقتصادية و علمية ساهمت في عودة الإستقرار و الرخاء وسط الرعية .

و كذلك على الصعيد الخارجي و ما بلغته حدود دولتهم من إتساع و نفوذ لم يحدث أن حصل لأي كيان سياسي في المنطقة سمح لهم ببناء علاقات سياسية متميزة مع القوى الخارجية المجاورة لها ،و عودة هيبة الخلافة العباسية التي فقدت عهد البويهيين و كذلك صد أعدائها الذين هددوا إستقرارها و عرشها كالباطنية و خطرهم التي كان وشيكا، و لولا حنكة الوزير **نظام الملك** و حسن تدبيره في العمل على مواجهتهم بشتى الطرق و السبل.

و لعل أبرزها إنشائه **المدارس الإسلامية** و دعمها في الرد على الفكر الشيعي الذي إنتشر في تلك المرحلة التي حملت إسمه و عرفت "**بالنِظَامِيَاتْ**"، و دور شيوخها و علمائها في العمل على تعزيز مذهب أهل السنة و كذا الرد على الشيعة الباطنية ،زيادة على تكوين جيل من الشباب مهيأ لأداء مختلف المهام و الأعمال في الدولة .

## 2- دوافع الوزير نظام الملك في إنشاء المدارس و اختياره لأماكنها

تعتبر النهضة الفكرية و العلمية التي شهدها **العهد السلجوقي** أحد أهم و أبرز المراحل التي عرفتها الدولة الإسلامية في هذا المجال بعد فترة **الخليفة هارون الرشيد و المأمون**، التي أسس لقواعدها الوزير القدير **نظام الملك** من خلال إنشاءه لمجموعة كبيرة من المدارس و الرباطات و المساجد في أغلب أقاليم الدولة الإسلامية ،و حملت إسمه فعرفت "**بالمدارس النِظَامِيَةِ**"[1].

إن من بين الأسباب التي دفعت **بالسلاجقة** إلى التوجه نحو عاصمة الخلافة بغداد بعد نجاحهم في السيطرة و إخضاع أقاليم بلاد ما وراء النهر ، هو ذلك الخطر الذي هدد عرش الخلافة العباسية من جهة،و مستقبل سلطنة السلاجقة من جهة أخرى،تمثل في خطر **البساسيري المملوكي** الذي تمرد و دعى بها إلى صاحب مصر من العلويين و تحركهم هذا (السلاجقة) هو بهدف القضاء عليه، و حماية الخلافة من الزوال[2].

---

**(1) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ،ص 304.**

**(2) ابن الأثير:الكامل في التاريخ ،ج8،ص341-345؛ابن كثير:البداية و النهاية،ج15،ص755-760 ؛ابن الجوزي:المصدر السابق ،ج16،ص30-38 ؛ السيوطي:تاريخ الخلفاء،ص 329.330.**

إن مقاومة المد الشيعي الباطني الذي عرفته الدولة الإسلامية عهد البويهيين و ما خلفوه من تغلل لهذا الفكر، و الحد من إنتشاره،لا يتأتى إلا بالمـزاوجة بين القـوة العسكرية و إعتماد نخبة أهل العلم من فقهاء و علماء لإثبات ظلال فكرهم و سوء عقيدة مذهبهم، و هو ما إهتدي إليه **نظام الملك** حيث دعم العلماء و الفقهاء و الصوفية ، و بنى لهم المدارس و الربط، بهدف وقوفهم في وجه الأفكار التطرفية لهم[1].

لأنــه أدرك في تلك المرحلة ما بلغه الفكر الباطني مـن قـوة في التأثير إستنادا إلى أفكـارهم و فلسفة مذهبهم ، بالإضافة إلى إقتناع **نظام الملك** بحقيقة مفادها أن أي محاولة للقضاء عليهم بحد السيف لن يكون نافعا بقدر ما يزيد من دعم لأفكارهم و إلتفاف المناصرين لهم ، و أن القضاء على الفكر لا يكون إلا بإعتماد على توجه يظهر عيوب و ظلال فكرهم و منطلقاتهم [2]، لأنه لاحظ أن ذلك النفوذ و التمكين الذي حدث لهم إنما جاء بعد عملهم على نشر مذهبهم فكريا من خلال آرائهم الفلسفية و براهينهم العقلية التي إعتمدوا عليها في المناظرة و الدفاع عن مذهبهم ضد أعدائهم .

إن تغلغل هذه الأفكار في قسم كبير من جسد الدولة الإسلامية كان أمرا محتما و ذلك لسرعة تفشيها وسط المجتمع ، و تعتبر خراسان بمثابة القاعدة الخلفية لدعم مثل هذه الأفكار و إن لم نقل منبع المغذين و المؤسسين لها [3].

و من هنا جاءت فكرة إنشاء المدارس النظامية و تخصيص الأوقاف لها ، و دعم علمائها و مشايخها ، و إختياره للأكفاء منهم ،لأنه سهر بنفسه على نجاح هذا المشروع العلمي، و هو ما كان من الطبيعي أن تنسب و تسمى هذه المدارس بإسم **نظام الملك** دون السلاجقة [4] ،حيث ظل سلاطين السلاجقة كما قال **بارتولد** لا يعرفون القراءة و الكتابة طلية فترة حكمهم[5].

---

**(1) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 5،ص 363 .**

**(2) عبد الهادي محمد رضا محبوبة : نظام الملك ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط1 ،1419هـ/1999م ، ص 354 .**

**(3) المرجع نفسه ، ص 354.353 .**

**(4) المرجع نفسه ، ص 354 ؛ المقدسي : الروضين في أخبار الدولتين ، ج 1،ص 25 .**

**(5) بارتولد :تاريخ الحضارة الإسلامية،ترجمة حمزة طاهر،دار المعارف بمصر،ط4، 1966،ص 117.**

و من خلال هذا الإزدهار العلمي ضمن **السلاجقة** تفوق المذهب السني لكن دون القضاء نهائيا على تواجد الفكر الباطني الذي ظل ينشط أصحابه في الجبال متحصنين بقلاعها في **خراسان و أصفهان و** غيرها ، كما نهج أصحابه إلى إعتماد تكتل جديد عرف بالفدائيين مهامهم تتبع المنظرين من أهل السنة المهددين لهم و العمل على تصفيتهم [1]. كما أن تأسيس النظاميات من قبل الوزير في المدن الإسلامية الهامة و تعميم إنتشارها في جميع أقاليم الخلافة الإسلامية و العمل على تمويلها و دعمها بخيرة العلماء ، إنما هو نابع من شخصيته و تكوينه العلمي و عقيدته الدينية و رغبته في الإرتقاء بالثقافة الإسلامية و نشرها و الوقوف في وجه إنتشار الباطنية و مختلف الآراء التطرفية التي نخرت جسد الدولة الإسلامية [2].

إن إخيار أماكن بناء المدارس و تشييدها من قبل الوزير **نظام الملك** شكل أهمية بالغة عنده و ذلك لعدة إعتبارات منها جغرافية و أخرى سياسية ، فقد ذكر **السبكي** أنه قام ببناء مدرسة **ببغداد و بلخ ، و نيسابور و بنى أخرى بهراة ، و بأصبهان و البصرة ، و بمرو ، و بالموصل و بآمل** [3].

إن ما يمكن ملاحظته من مواقع جغرافية لهذه المدن و توزيعها ، و توجهات **نظام الملك** لبناءه لهذه المدارس بها ، نجد بأنها أمهات المدن **بالمشرق الإسلامي**، و أنها تحتل الريادة في جانبها السياسي و توجهها الفكـــري ، فمـثلا : **بغداد** هـي عاصمة **الخلافـــة العباسية** و موقعـا ذا ميـزة و إستراتيجية سياسية ، و مقر إقامة لكثير من العلماء و المفكرين .

و نفس الشيء بالنسبة **لأصبهان** فهي عاصمة **السلطنة السلجوقية** عهد **ألب أرسلان** و إبنه **ملكشاه** ، فـي حين تعتبر بقـية المـدن معقـلا لتجمعات أنصار الفكر الباطني **كـالبصرة و نيسابور** و بالتالي فإن توزيعها الجغرافي هذا لم يأت اعتباطا بقدر ما كان ممنهجا و مدروسا بالطريقة المثلى لأن تواجد المدارس بها و العمل على دعم انتشارها هو بمثابة محاربة أفكار و آراء الباطنية و العمل على إضعافها في معاقلها .

---

**(1) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص 119.118.**

**(2) السبكي : طبقات الشافعية ، ج 4 ، ص 314.313 .**

**(3) نظام الملك : سياست نامة (سير الملوك) ، ص 22؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ص 304 .**

## المبحث الثالث : المدارس الإسلامية و انتشارها بالمشرق عهد السلاجقة

من الطبيعي أن يكون إهتمام العلماء بالعلم و السهر على تكوين طلابه في شتى مجالات العلوم و المعرفة سواء في الجانب الديني أو أي مجال من مجالات العلوم، لم يكن ناتج عن مدى أهمية العلم و حسب و إنما هو نابع عن دافع هدفه خدمة العقيدة الإسلامية و أهل السنة و العمل على الوقوف في وجه الحركات المذهبية الضالة التي تعمل على تضليل المجتمع الإسلامي و تسميمه و هي بذلك تكون بمثابة عدوا للأمة من جهة و العقيدة السنية من جهة أخرى.

و هو ما يفسر حرص **السلاجقة** و وزيرهم **نظام الملك** على تشييد هذه المدارسو دعم إنتشارها و دعوة خيرة علماء عصرهم للتدريس بها للمساهمة في إنشاء جيل من الطلاب يعمل على التصدي لجميع الأفكار التطرفية بهدف الحفاظ على المذهب السني و دعم إنتشاره .

إن فكرة بناء المدارس بالدولة الإسلامية ليست وليدة عهد **السلاجقة** و تحديدا عهد وزارة **نظام الملك**، بل تعود في الحقيقة إلى ما قبل ذلك، و هو ما أكده **السبكي** في هذا الصدد حيث تطرق في الحديث عن أولى المدارس التي بنيت قبل عهد **نظام الملك** " **كالمدرسة السَعْدِيَةِ و المدرسة البَيْهَقِيَةِ** " مؤكدا بذلك حقيقة أسبقيتها في النشأة عن مدارس **نظام الملك**، لكنه أكد أن ما ميزها (**المدارس النظامية**) عن باقي المدارس أنه ( **نظام الملك**) أول من خصص المعاليم للطلبة الذين درسوا بها ، و بالتالي فهذا الأمر بحسب **السبكي** يعتبر سبقا يحسب **لنظام الملك** و مدارسه عن ما هو مألوف في بقية المدارس التي سبقت **النظاميات** في الظهور[1].

و بهذا يكون **نظام الملك** أول من سن نظاما جديدا في حقل التربية و التعليم من خلال استحداثه لهذه المنح و يضاف إليها مساكن الطلبة و نفقات العلماء المدرسين بالنظاميات ، التي كانت مجهزة لطلاب العلم ليلا و نهارا ، وهو ما وفر عوامل التفوق و النجاح في طلب العلم و تحصيله [2]،كما أن ما يعطي التميز للمدارس النظامية عن غيرها من المدارس التي سبقتها في

---

**(1) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 4، ص 314 ؛ حسين أمين : المدارس الإسلامية في العصر العباسي و أثرها في تطور التعليم ،مجلة المؤرخ العربي ،ع 6 ،بغداد العراق ، بدون تاريخ ،ص 5.**
**(2) نظام الملك : سياست نامة (سير الملوك) ، ص 21 ؛ حسين أمين : المصدر السابق ، ص 6 .**

الظهور، هي تلك الأولوية التي اكتسبتها اعتبارا من كونها أولى المدارس التي استقلت في بنائها و طرازها المعماري عن المساجد ، و إشراف الدولة عليها و على توظيف نجبائها و خيرة طلابها من المتخرجين منها في دواوين الدولة [1] .

لعل نجاح انتشار المدارس النظامية و استقطابها لأشهر العلماء في تلك الفترة، هو في الحقيقة راجع إلى تأثير **نظام الملك** نفسه و رواج سمعته لدى هذه الفئة من المجتمع ، على اعتبار أنه كان حريصا على احترام العلماء و رجال الصوفية الذين عمل على بسط يده إليهم من خلال دعمهم ماديا، كما وفر لهم الأوقاف خدمة للجانب الديني الذي أولاه **نظام الملك** أهمية بالغة بدلالة مجالسته لهم و اختلاطه بهم و مشورتهم في بعض الأمور[2].

و دلالة ذلك أنه قبل بناءه للنظاميات سهر على الإهتمام برجال الصوفية و خَانْقَاهَاتِهِمْ و نفقاتها [3]، و هو ما زاد من علوا مكانته وتزايد الإحترام له لدى هذه الفئة .

كما تعتبر هذه الفئة من بين أهم الفئات المؤثرة عهد الوزير **نظام الملك**، لما لها من دور في دفعه بتشييد الأوقاف خدمة لأهل السنة و يظهر ذلك في ما ذهب **ابن الجوزي** إلى ذكر أن فكرة إنشاء المدارس النظامية و انتشارها بالمشرق هو في حقيقة الأمر إشارة من أحد رجالات الصوفية الذين أوصوا للنظام بهذه الفكرة في قوله : «**فوعظني فقال إخدم من تنفعك خدمته**»[4].

عمل **نظام الملك** على بناء المدارس و العمل على دعم انتشارها حتى قيل أن له في كل مدينة **بالعراق** و **خراسان** مدرسة [5]. إن تتبع ظهور هذه المدارس و نشاطها و الوقوف عند أبرز خصوصياتها و طرق التعليم بها ، يدفع بنا إلى البدء بإستعراض نظامية بغداد لأهميتها كونها تقع في

---

**(1) نظام الملك : سياست نامة (سير الملوك) ، ص 21.20؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، ج16 ، ص 303.**

**(2) عبد الهادي محمد رضا محبوبة : نظام الملك ، ص 366.365 .**

**(3) نظام الملك :المصدر السابق ، ص 21 .**

**(4) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج 16 ، ص 304 .**

**(5) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 4، ص 314 .**

عاصمة الخلافة الإسلامية ، ثم الحديث عـن أهم النظاميات التي عمل **نظام الملك** على تشييدها و دعمها خدمة لطلاب العلم ، و العمل على الحفاظ على المذهب السني للدولة الإسلامية من أخطار الحركات المذهبية ( الباطنية ) التي تترصدها في أقاليم الدولة الإسلامية .

## 1- المدرسة النظامية بمدينة بغداد459هـ/1066م و أشهر أعلامها :

تعتبر **نظامية بغداد** أولى المدارس الإسلامية في **العهد السلجوقي** التي شرع في بنائها **نظام الملك** و ذلك في **457هـ/1064م**[1]، و استغرق بنائها عامين و فرغ منها سنة **459هـ/1066م**[2] لتكون بذلك أشهر المدارس النظامية كونها شيدت في عاصمة الخلافـة و هي تتوسط باقي النظاميات المنتشرة بالدولـة الإسلامية ، و مـا تميزت بـه مـن استقطابها لأشهر العلمـاء و الفقهاء و تزاحم طلاب العلم على الأخذ منهم و الإنتفاع من علمهم [3].

و تظهر أهمية نظامية بغداد من خلال إهتمام و عناية **نظام الملك** شخصيا بها ، حيث خصص لها أوقـاف كثيرة و متنوعة من أسواق ، و دكاكين و ضياع ، و حمامات ، بهدف تحصيل و توفير معاشات و أجور أساتذتها و طلبة العلم و عمالها من حرس و حجاب ، و تعتبر مكتبة نظامية بغداد من بين أبرز المكتبات من خلال توفرها على مصنفات قيمة خصصت لتكون في متناول طـلاب العلـم و دعمهم في تحصيل العلوم [4].

---

**(1) ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 16 ، ص 5؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ، ص 91 ؛ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 8، ص 375 ؛نظام الملك : سياست نامة (سير الملوك) ، ص 22.21 ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، ج 3، ص 64 .**

**(2) ابن كثير : المصدر السابق، ص 12 ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ، ص 102 ؛ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 8، ص 380 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 5، ص 253 ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، ج 3، ص 64.**

**(3) عبد الهادي محمد رضا محبوبة : نظام الملك ، ص 366 ؛ عن موقع نظامية بغداد و بقية المدارس النظامية في العصر السلجوقي ، أنظر : الملحق 2 من المذكرة ، ص 156.**

**(4) نظام الملك :المصدر السابق ، ص 22.21 .**

قدرت نفقات الفقهاء و الأساتذة و طلاب العلم سنويا بـ :**15**ألف دينار سنويا و هو مبلغ محترم في ذلك الوقت ، و هو ما يدل على العدد الكبير الذي كانت تستقبله المدرسة سنويا من طلاب العلم [1].

إن أهمية هذه النظامية و تميزها عن بقية المدارس ، تظهر من خلال ذلك التنوع و التعدد في الفروع و التخصصات العلمية التي كانت تـدرس بها كالنحـو و اللغة ، الفنـون الأدبيـة الفقـه و التفسير، الحديث، و غيرها من العلوم الشرعية، التي فتحت باب التخصص في تحصيل العلوم و التعمق في دراستها ، و تنافس طلاب العلم على تبوء الريادة فيها [2] .

عهد **نظام الملك** إلى أبناءه بإدارة شؤون **نظامية بغداد،** و هو دلالة على أهميتها بالنسبة إليه عكس باقي النظاميات التي أوكل هذه المهمة إلى أولياء نعمته من المقربين منه،كما كان **نظام الملك** نفسه مشرفا على إختيـار مناهج علومها و أساتذتها و مقـررات التعليم بها، وذلك حسب ميولاته و أهدافه، حتى مع بقية النظاميات، و الغرض من هذا كله هو إظهارها بمظهر يليق بمقامها [3].

اختير موضع بناء **نظامية بغداد** في الجانب الشرقي لهذه المدينة حيث تميزت بكثرة الأسواق حيث وصفها **ابن بطوطة** في بهائها و حسن تنظيم بنائها في قوله :«**و هذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الأسواق عظيمة الترتيب ، و أعظم أسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء ، كل صناعة فيها على حدة و في وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة التي صارت تضرب الأمثال في حسنها**» و ذهب **ابن بطوطة** إلى وصف **المدرسة المستنصرية** على أنها طراز معماري محاكي لتصميم **المدرسة النظامية** في أغلب تفاصيلها من خلال توفرها على جميع متطلبات الوافدين إليها من طلاب العلم[4]، و قد قال **السبكي** أنه بنيت النظامية بأمر من **نظام الملك** على شاطئ **دجلة** * بمدينة بغداد[5].

---

**(1) نظام الملك : المصدر السابق ، ص 22 .**

**(2) المصدر نفسه ، ص 22 .**

**(3) المصدر نفسه ، ص 23.22 .**

**(4) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ج1، ص 142.141 .**

**(*) و هو نهر ببغداد و أصلها معربة مأخوذة عن ديلد ، و لها تسميتان هما "آرنك روذ و كودك داريا" أي البحر الصغير . ؛ أنظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 2، ص 440 و ما بعدها .**

**(5) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 4، ص 218 .**

إن افتتاح المدرسة النظامية كما سبق و الإشارة إليه اعتبر مرحلة جديدة من مراحل تطور أماكن طلب العلم، خاصة و أنه ارتبط اسمها بتعيين الوزير لخيرة أعلام عصرها من المشايخ و العلماء الذين ألقوا الدروس بها ، بهدف أن تكون منارة متميزة من منارات العلم في تلك الفترة [1].

و يعتبر **الشيخ أبي إسحاق الشيرازي*** أول مدرس بنظامية بغداد بعد إلحاح كبير من **نظام الملك** حيث حضر في انتظاره خلق كبير حتى امتلأ فناء المدرسة و ما جاورها من محلات مترقبين وصوله،و هي دلالة على مكانته الرفيعة التي حضي بها **أبا إسحاق** وسط الرعية من أهل بغداد،حتى

---

**(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج 8،ص 340؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الامم ج16 ،ص 102؛ ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 16 ، ص 13.12 ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص 331 ؛نظام الملك : سياست نامة (سير الملوك) ، ص 21 .**

**(*) هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف ، الشيرازي الفيروز أباذي ، الملقب بجمال الدين ، ولد سنة 393 هـ/1002 م بفيروز أباذ نواحي بلاد فارس ، أقام بمدينة السلام بغداد ، تعلم الفقه على يد خيرة الأعيان أشهرهم " أبو أحمد عبد الوهاب بن محمد بن رامين و أبو عبد الله محمد بن عبد الله البيضوي و أبو القاسم منصور بن عمر الكرخي و غيرهم " كما أناب عن القاضي أبا الطيب الطبري و عين معيدا في حلقاته وذلك بعد أن حفظ عنه و إنتفع من علمه ، حفظ الحديث على يد الخيرة من المحدثين أبرز " أبي بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي ،و أبي علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزاز و غيرهم "، كما عمل ابو إسحاق الشيرازي على عدد من التصانيف ذات أهمية بالغة منها " المهذب في المذهب ، التنبيه في الفقه ، اللمع و شرحها في أصول الفقه ، و كتاب التبصرة و كتاب التلخيص في الجدل و غير ذلك " من التصانيف التي انتفع منها خلق كبير ، إرتحل إليه الفقهاء من سائر الأقطار ، و تخرج على يده كبار الأئمة ، عمل مدرسا بنظامية بغداد التي شيدها الوزير نظام الملك بعد أن أعرض عن ذلك في بادئ الأمر و أناب عنه ابن الصباغ فترة وجيزة ، و بعدها تولى التدريس بها إلى أن وافاه الأجل ، ذو صفات جليلة من ورع و تقوى و تشدد في الدين و كان يجيد كتابة الشعر ، محاسنه كثيرة ، توفي ببغداد سنة 476 هـ/1083 م، ودفن بها عند باب أبرز.**

**– ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج 1،ص 29–31؛ابن العماد : شذرات الذهب ، ج5 ص326.323 ؛الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج 2، ص 334 ؛الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 18 ، ص 463.452 ؛السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 4، ص 215 و ما بعدها .**

وصل خبر امتناعه عن التدريس بالنظامية ، و تعجب الخلق من هذا الموقف و تساءلوا عن السبب و الأصل أنه حين هم قادما لإلقاء محاضرته الأولى بالنظامية ، التقى بغلام و سأله فأجابه **أبا إسحاق** عن و جهته ، فرد عليه الغلام بتعجبه من إلقاءه الدروس في مكان مغصوب ، لكنه جلس مدرسا بها بعد فترة وجيزة من هذه الحادثة بعد أن ضمن له **نظام الملك** مكانته العلمية و الاحترام الذي يليق به [1].

و يعتبر **الشيرازي** من بين أجل علماء النظامية و أقدرهم حيث تحدث **السبكي** عن مكانته و سعة علمه ، أنه ارتحل إليه طلاب العلم من المشرق و المغرب بغية السماع منه ، والفتاوى التي كان يصدرها حملت إلى جميع أقاليم البلاد ، حتى أنه **أَصَّلَ**الفقه و عمل على تفريعه أحسن من غيره في عصره [2] .

تخرج على يد **الشيرازي** خلق كبير من التلامذة الذين تبوؤوا مراتب على قدر كبير من الأهمية بإقليم خراسان كالقضاة و المفتين و الخطباء ، حيث قال في هذا السياق : «**خرجت إلى خراسان فما دخلت بلدة و لا قرية إلا و كان قاضيها ، أو مفتيها ، أو خطيبها ، تلميذي و من أصحابي**»[3].

و لعل أشهر هؤلاء الطلبة و المتخرجين و أبرزهم هو **عبد الله بن إبراهيم الخبري***، كان بارعا دون غيره في الفرائض و الحساب ، حتى كتب فيها العديد من المصنفات المتميزة ، عمل على شرح العديد من الدواوين لعل أشهرها ديوان البحتري و المتنبي ، وعمل محدثا في السير ، اهتم بكتابة المصاحف لحسن و جمال خطه ، [4].

---

**(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 8،ص 380 ؛ابن كثير : البداية و النهاية ،ج 16 ، ص12.13 ؛ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ،ص 102 .**

**(2) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 4، ص 216 .**

**(3) المصدر نفسه ، ج 4، ص 216 .**

**(*) هو عبد الله بن إبراهيم الخبري ، أحد أشهر تلامذة ابي إسحاق الشيرازي ، برع في الفرائض و الحساب ، و كانت له مصنفات في فيها ، عرف بحسن الخط ، توفي وهو يكتب في مصحف سنة 476هـ/1083م .**

**– السبكي : المصدر السابق ، ج 5، ص 63.62 .**

**(4) المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 63.**

و من العلماء البارزين أيضا العالم **أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس الجرجاني**، الإمام الفقيه ،الأديب مدرس البصرة و قاضيها صاحب التصانيف أشهرها كتاب الشافي ،كتاب التحرير و الأدباء ، أحد الأجلاء في زمانه ، كان مولعا بعلم النثر حتى ألف كتاب " **كنايات الأدباء و إشارات البلغاء**"و جمع فيه أحسن النظم و النثر ، قال عنه **السبكي** : «**لم يذكره منهما بالفقه و قد كان فيه إماما ماهرا ، و فارسا مقداما و تصانيفه فيه تنسي عن ذلك** »[1].

و من المشهورين **أبو الحسن بن سعيد العبدري**، كان على قدر كبير من العلم ، مفتيا عارفا بما إختلف فيه العلماء ، ذكر **السبكي** أنه وقف على مصنفه " **مختصر الكفاية في خلافيات العلماء**" توفي ببغداد سنة ثلاث و تسعين و أربعة مائة [2].

إن الملفت للإنتباه عند إمعان النظر في سير و تراجم تلامذة **الشيرازي** بالنظامية نجد بأن أغلب هؤلاء تولوا مناصب قديرة بالدولة الإسلامية ، و هو ما يؤكد بأن **نظامية بغداد** و باقي النظاميات بأقاليم الدولة الإسلامية أصبحت بمثابة معهد و خزان يمد الدولة بخيرة متخرجيها.

و بعد وفاة **أبو إسحاق الشيرازي** سنة **470**هـ/ **1077**م أقيم العزاء و أغلقت النظامية ثلاث أيام بأمر من أحد **أبناء نظام الملك** و بعدها عين الشيخ **أبا سعد المتولي النيسابوري** * و لما بلغ هذا الأمر مسمع **الوزير** ثار على إبنه و عاتبه على فعله هذا فقال :«**كان من الواجب أن**

---

**(1) توفي أبو العباس الجرجاني سنة 482 هـ/1089 م ، أنظرالسبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 4، ص 75.74 .**

**(2) المصدر نفسه ، ج 4، ص 258.257 .**

**(*) هو أبو سعد عبد الرحمان بن مأمون بن علي النيسابوري المتولي ، العلامة الشافعي ، تفقه ببخارى على يد القاضي حسين بن محمد المروزي و أبي سهل أحمد بن علي ، ثم قصد مرو و تفقه عند أبو القاسم عبد الرحمان الفوراني ، درس ببغداد بالنظامية بعد أبي إسحاق الشيرازي ، ثم عزل بإبن الصباغ ، و أعيد إليها بعد فترة مديدة ، له عدة مؤلفات و تصانيف أشهرها "كتاب التتمة" المتمم لكتاب الإبانة لشيخه أبي القاسم الفوراني ، و له أيضا مؤلف في الأصول و الفرائض ، و كتاب كبير في الخلاف، توفي كهلا ببغداد سنة 478 هـ/1085 مو له من العمر إثنتان و خمسون سنة .**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 18 ، ص 586.585 ؛السبكي : المصدر السابق ، ج 5، ص 107.106 ؛إبن خلكان : و فيات الأعيان ، ج 3، ص 134.133 .**

**تغلق المدرسة سنة لأجله، وزرى على من تولى موضعه »**[1].

و تولى **إبن الصَبَاغْ** * الذي يعتبر من أعلام و مشاهير المدرسة النظامية بغداد التدريس بها بأمر من **نظام الملك** لأنه رأى بأن هذا الأخير أجدر بكرسي النظامية و أكفأ من **أبا سعيد المتولي** و إعتبر **إبن الصباغ** أحد أبرز المنافسين للشيخ **الشيرازي** في تلك الفترة، و قد كان إمام عالما مرجعا في المتفق من المسائل و المختلف فيها، و إليه إرتحل طلاب العلم من كل صوب بهدف الأخذ من علمه و الانتفاع به [2].

و بعد وفاة **إبن الصباغ** جلس أحد أعيان و علماء النظامية المتقدم ترجمته و هو **أبا سعيد**

---

**(*) هو عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر بن أبو نصر الصباغ ، و لد الشيخ سنة 400 هـ/1010م، عرف عنه الصفات الحميدة فكان ورعا نزيها ، تقيا نقيا ، صالحا زاهدا ، فقيها أصوليا محققا سمع الحديث عن أجدرهم و أشهرهم كأبي علي بن شاذان ، وكما سمع جزء " ابن عرفة " عن أبي الحسين بن الفضل و حدث به في بغداد و أصفهان ، ضاهى في عصره الشيخ العالم الجليل أبا إسحاق الشيرازي ، حتى ذكر السمعاني أنه أعرف بالمذهب من أبي إسحاق ، فأرتحل طلاب العلم إليهما في المتفق و المختلف ، و القصد من الإتفاق هو القضايا و الأمور المتعلقة بالمذهب أما الإختلاف فهو ما تعلق بالخلافيات بين الإمامين ، ذكر السبكي أنه قل من ظهر ليظاهي ابن الصباغ في المتفق ، لكن في الإختلاف لم يظهر أحد ليظاهي الإمام العالم أبا إسحاق الشيرازي ، و يعتبر إبن الصباغ أول من درس بنظامية بغداد فترة وجيزة بعد أن إمتنع الشيرازي عن التدريس بها ، ثم رجع إليها بأمر من الوزير نظام الملك ، بعد أن عارض تنصيب أبا سعد المتولي ، له من المؤلفات الكثير نذكر أشهرها " كتاب الكامل الفتاوى ، الشامل ، عبدة العالم و الطريق السالم ، و كتاب فاية السائل " ، قيل أنه عندما صرف من النظامية سنة 477 هـ/1084 م، بعد أن جلس على كرسيا خلفا للإمام الشيرازي طالبه أهله و مقربيه بالجلوس إليها ، فقصد أصفهان فطلبها من الوزير نظام الملك فرده عن طلبه و أمر ببناء مدرسة له بأصبهان ، فقفل راجعا و توفي بعدها بثلاثة أيام .**

**– السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 5 ، ص 124.122 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 18 ، ص 465.464 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 5، ص 117 .**

**(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 1، ص 31 .**

**(2) السبكي : المصدر السابق ، ج 5،ص 123 .**

**المتولي** الذي بقي يلقي الدروس بها قرابة عام حتى توفي سنة **478 هـ/ 1085 م**[1].

و من أعلامها و رجالاتها ( نظامية بغداد ) **أبو القاسم بن أبي يعلى الدبوسي*** الذي ذكر ابن الأثير فيه أنه جلس ليدرس بالنظامية خلفا للشيخ أبا سعد المتولي النيسابوري ، و أضاف أنه قدم إلى بغداد في أبهى حلة لم يرى لها مثيل لفقيه [2] ، و ذكر السبكي أن سبب تولية أبو القاسم على النظامية هو تفوقه في مناظرة جمعته بالشيخ **أبي المعالي الجويني**** الذي خرج في أثره إلى أصفهان في مسألة بحضور الوزير **نظام الملك** و بقي مدرسا بالنظامية إلى غاية وفاته [3].

---

**(1) السبكي : المصدر نفسه ، ج 5 ،ص 107 .**

**(*) هو علي بن المظفر بن حمزة بن يزيد بن حمزة بن محمد العلوي الحسيني ،أبو القاسم بن أبي يعلى الدبوسي ، ينحدر من مدينة دبوسية ،موقعها بين بخارى و سمرقند ،عرف عنه الخصال الحسنة و الصفات الجليلة ، إماما شافعيا ،عالما في شؤون الفقه و الأصول و مجال اللغة و النحو و الجدل سمع عن جمع من الأئمة و الفقهاء أبرزهم :"أبا عمرو محمد بن عبد العزيز القنطري و أبا سهل أحمد بن علي الأبيوردي"، ذكر السبكي عن ابن النجار وصفا له فقال : « كان من أئمة الفقهاء ،كامل المعرفة بالفقه و الأصول، له يد قوية في الأدب، و باع ممتد في المناظرة و معرفة الخلاف، و كان موصوفا بالكرم و العفاف، وحسن الخلق و الخلق »، توفي أبو القاسم الدبوسي في سنة 482 هـ/1089 م.**

**– المصدر نفسه ، ج 5، ص 296.297 .**

**(2) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج 8، ص 449 ؛ ابن الجوزي : المنتظم ،ج 16 ، ص 285 .**

**(**) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيويه الجويني ، النيسابوري إمام الحرمين ، عرف عنه أنه ما من مشكلة إلا و صدها و ما من أسئلة إلا و أجاب عليها يطول وصفه و الحديث عن سيرته لمكانته الرفيعة و قدره الجليل ، أحسن السبكي وصفه و ذكر محاسنه فقال :« هو الإمام شيخ الإسلام البحر الحبر ، المدقق المحقق ،النظار الأصولي المتكلم ، البليغ الفصيح الأديب ،العلم الفرد زين المحققين ،إمام الأئمة على الإطلاق ، عجما و عربا ، و صاحب الشهرة التي سارت السراة و الحداة بها شرقا و غربا »له العديد من المصنفات أبرزها : " مرآة الزمان و نهاية المطلب في رواية المذهب ، و كتاب الإرشاد " و غيرها من المؤلفات توفي سنة 478 هـ/1085م.**

**– السبكي : المصدر السابق ،ج5،ص 165وما بعدها ؛ابن تغري بردي : المصدر السابق،ج5 ص120.119 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 5، ص 342.338 .**

**(3) السبكي : المصدر السابق ، ج 5، ص 296.**

و من المشاهير الذين تولوا مهام إلقاء الدروس بنظامية بغداد خلفا **لأبي القاسم الدبوسي** بعد وفاته هو **أبو عبد الله الطبري*** سنة **483 هـ/1090م**، وفقا لمنشور أقره **نظام الملك** ليكون بذلك مدرسا بها و من بين أهم أعلامها [1].

و في سنة **484هـ/1091م** و التي إعتبرت من بين أهم السنوات التي شهدت على جلوس أحد أكابر الأئمة و العلماء في تاريخ الدولة الإسلامية للتدريس بالنظامية و نخص بالذكر الشيخ الذي لقبه **نظام الملك** بـ"**زين الدين" أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي****، قادما

---

**(*) هو الإمام الكبير أبو عبد الله الحسين بن علي الطبري ، ولد بآمل سنة418 هـ/1027 م، تفقه صغيرا على يد كبار الأئمة أشهرهم " ناصر العمري بخراسان و القاضي أبي الطيب ببغداد ن ثم لازم الإمام الفقيه أبا إسحاق الشيرازي حتى أصبح من كبار المقربين إليه ، كما حدث عن إسماعيل التيمي و رزين العبدري و القاضي أبو بكر بن العربي و غيرهم ، ولي التدريس بنظامية بغداد و إشترك فيها مع أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي ، و بعدها عزلا و عين بدلهما الإمام العالم أبي حامد الغزالي إلى أن إعتزلها سنة تسع و ثمانين و أربع مائة ، و أعيد تنصيبه عليها ، له مصنف بعنوان "العدة" ألفه في خمسة أجزاء ضخمة ، لقب بإمام الحرمين لأنه لازم مكة مدة ثلاثين سنة ألقى فيها الدروس و أفتى بها حتى توفي سنة 498 هـ/1104 م.**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج19 ،ص203.204 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب،ج5 ،ص420؛ السبكي: طبقات الشافعية ،ج4،ص349.350 ؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر،ج2،ص377.**

**(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج 8،ص 465 ؛ ابن كثير : البداية و النهاية ،ج 16، ص116؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ، ص 289 .**

**(**) هو الإمام البحر ، حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، عرف عليه أجود التصانيف و كثرتها ، كما تميز منذ صغره بالذكاء الحاد و المفرط ، ولد بمدينة طوس سنة450 هـ/1058 م ، إمتهن والده حرفة غزل الصوف و لم حضره الموت أوصى به إلى عمه أحمد ، الذي عهد به إلى أحد المتصوفة من رفاقه ، ذكر السبكي عن حياة أبيه رواية فقال : « يحكى أن أباه كان فقيرا ، صالحا لا يأكل إلا من كسب يده في غزل الصوف ، و يطوف على المتفقهة و يجالسهم ،و يتوفر على خدمتهم ، و يجد في الإحسان إليهم » ،تفقه بطوس ، ثم إرتحل إلى نيسابور رفقة جمع من الطلبة و تميز عنهم بتفقهه في فترة وجيزة ، و بعدها شرع في كتابة التصانيف =**

إليها من أصفهان [1].

كما أن سبب **تولية نظام الملك لأبي حامد الغزالي** على نظامية بغداد هو نجاحه حين قصد معسكر الوزير و كان مجلسه وقتها يعج بأهل العلم في مناظرتهم فلم يستطع أحد الوقوف في وجهه فأقروا له بفضل علمه ، فعظم الوزير مكانة **الإمام الغزالي** فأرسل به إلى بغداد ليكون عميدا لنظاميته هناك، فأقبل الطلبة على الأخذ و الاستفادة من علمه، فكان معلما فاضلا ناشرا للعلم و مصنفا للكثير من الأعمال التي اعتبرت مرجعا لطلبته [2] أن **الإمام الغزالي** أعرض عن متاهات الدنيا و رذائلها و اعتزل النظامية رافضا كل الإغراءات توجه للتعبد إلى بيت الله الحرام [3].

## 2- نظامية نيسابور و أبرز أعلامها :

تعتبر هذه النظامية من بين أشهر المدارس الإسلامية عهد السلطنة السلجوقية و فترة وزارة **نظام الملك الطوسي**، على إعتبار كون المدينة هي مقر إقامة السلطان **ألب أرسلان** و وزيره القدير لكن لم يرد ذكر تحديدا تاريخ تشييد هذه المدرسة ، و إذا أردنا فعلا الوقوف عند هذا التاريخ لابد لنا أن نعرف حقيقة مفادها أن **الإمام أبو المعالي الجويني**، كان قد عمل مكان أبيه بعد

---

**= قال الغزالي عن ذياع سيطه و حسن علمه : « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله » ، و قال عنه السبكي : « أما أبو حامد ، فكان أفقه أقرانه ، و إمام أهل زمانه ، و فارس ميدانه ، كلمته شهد بها الموافق و المخالف ، و أقر بحقيقتها المعادي و المحالف » له مؤلفات عديدة أبرزها : " المعتقد إلجام العوام ، معتقد الأوائل ، جواهر القرآن ، الغاية القصوى ، الرد على الباطنية ، و كتاب إحياء علوم الدين " الذي قال فيه أبو الفرج ابن الجوزي : « صنف أبو حامد الإحياء ، و ملأه بالأحاديث الباطلة » كما رد على هذا الكتاب أبي الحسن بن سكر بكتاب : " إحياء ميت الأحياء في الرد على كتاب الإحياء " ، توفي سنة 505 هـ/1111 م.**

**- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 19 ، ص 322 و ما بعدها ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج 6، ص 191 و ما بعدها ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 6، ص 22.18 .**

**(1) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ، ص 292 .**

**(2) السبكي : المصدر السابق ، ج 6، ص 197.196.**

**(3) المصدر نفسه ، ج 6، ص 197 .**

وفاته ، ثم مدرسا بالمدرسة البيهقية ، و بعدها مدرسا بالنظامية التي بناها له **نظام الملك** التي ذكر عنها **السبكي** أنه درس بها حوالي ثلاثين سنة [1] ، و إعتبارا من هذا التاريخ نجد بأن تشييد نظامية نيسابور إنما حدث بعد تولي نظام الملك الوزارة .

بقي **أبو المعالي الجويني** الذي يعتبر من أشهر أعلام نظامية نيسابور على الإطلاق مدرسا خطيبا و له مجلس الذكر، و كثر في مجلسه المناظرة بين طلبته، يقول السبكي في هذا السياق : « **و أقعد للتدريس بهـا، و إستقامت أمـور الطلبـة، سلـم لـه المحـراب و المنبر، و الخطابة و التدريس و مجلس التذكير يوم الجمعـة و المناظـرة** »[2]، ذكر **ابن العماد** أن مجلسه عـمر و اكتظ حتى وصل عدد طلبته يوميا ما يقارب ثلاث مائة رجل من طلبة و أئمة، و أضاف أنه ألف كتابي "**النظامي و الغياثي**" اللذين ذاعا شهرة حتى تهاطلت عليه الهدايا و الخلع و الثناء من أعيان السلطنة [3].

إشتهرت **نظامية نيسابور** و حققت مكانة غاية في الأهمية حتى إعتبرت دعامة **لنظامية بغداد** بما تخرجه من طلبة متفوقين على قدر كبير من العلم و كفاية لتولي التدريس بها لعل أشهر تلامذته نذكر:"**أبي حامد الغزالي و أبو عبد الله الطبري و أبو الحسن محمد بن علي الطبري الهراسي***"[4].

---

**(1) السبكي : طبقات الشافعية ، ج 5، ص 171.170 .**

**(2) المصدر نفسه ، ج 5، ص 171.**

**(3) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 5، ص 339 .**

**(*) هو علي بن محمد بن علي أبو الحسن الطبري ، المعروف بإلكيا ، ولد سنة 405 هـ/1014م، تفقه على يد الشيخ أبو المعالي الجويني بالمدرسة النظامية في نيسابور ، إعتبر من خيرة طلابه و أحد أبرز المتخرجين منها ، كان حافظا للفقه ، وصف بالفصاحة و كان ذا صوت عذب حتى تلقب بجوهري الصوت ، عهد له بالتدريس بنظامية بغداد ، أتهم باطلا بتوجه آرائه و قربها لآراء الشيعة الباطنية ، برء من هذه التهمة بشهادة جماعة من الوجهاء أبرزهـم أبـو الوفاء بـن عقيل ، تـوفي سنة 504هـ /1110م و دفن بجوار قبر الإمام الشيخ أبي إسحاق الشيرازي .**

**– السبكي : المصدر السابق ،ج7،ص234.231 ؛ابن الجوزي : المنتظم،ج17،ص122؛ ابن العماد : المصدر السابق،ج6،ص17.14 ؛ ابن خلكان:وفيات الأعيان،ج3،ص290.286.**

**(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج9 ،ص142؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج 17 ،ص 122 .**

كما إعتبر **أبو سعيد بن أبي القاسم القشيري** * من بين أشهر و أبرز علماء المدرسة النظامية بنيسابور بعد شيخ الحرمين **أبي المعالي الجويني**، و كان سيد مجلسه لا يضاهيه أحد في الإملاء بالنظامية ، و مخرجا دقيقا لمتون الأحاديث [1].

## 3 – نظامية مرو أبرز أعلامها :

ذكر **ياقوت الحموي** هذه المدينة القديرة ، و له وصف دقيق فيها عن حالهـــا و حال أهلـها ،و وصف دقيق لها و مـا تكتسيه مـن أهمية إعتبـارا من زيارته لهـا و ذلك سنة **613**هـ/**1216**م و أقام بها ما يقارب ثلاث سنوات ،و حين هم مغادرا له سنة **616**هـ/**1219**م ذكر خلالها أنه ترك به خزائن هامة أثبت عددها في عشر خزائن على قدر كبير من الأهمية من حيث عدد مصنفاتها و جودتها العالية، أبرزها على الإطلاق خزانة **الوزير السلجوقي نظام الملك** في مدرسته النظامية [2].

قام **نظام الملك** بتشييد المدرسة النظامية **بمـرو** سنة **468**هـ/**1075**م للهجرة و أجلس عليها أبـي **المظفر بـن السمعاني التميمي***مـدرسا عليهـا، كمـا تحدث **السبكي** عـن فتنة وقعـت بعـد

---

**(*) هو عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن أبا سعيد بن أبي القاسم القشيري ، ولد شيخ النظامية سنة 428 هـ/1036 مقبل مولد العلامة الشيخ أبي المعالي الجويني بسنة ، نشـأة في طلب العلم و العـبادة و قراءة و حفظ القرآن الكريم ، سمع الحديث عن والده ، و جماعة من المشايخ أشهرهم " أبي الحسن علي بن محمد الطرازي ، و أبي سعد عبد الرحمن ابن حمدان النصروي ، و أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن باكويه الشيرازي و غيرهم في مدن نيسابور و بغداد و همذان ، تميز منذ صغره بحب العلم حتى خطب في الناس في سن مبكرة تقارب خمس عشرة سنة و بقي يكتب خطب الجمعة مختلفة موضوعاتها متعددة الفائدة ، تولى زمام الأمور بنيسابور بعد وفاة شيخ الحرمين الجويني ، إنفرد إلى العبادة بها إلى أن وافاه الأجل سنة 494 هـ/1100 م.**

**– السبكي : طبقات الشافعية ، ج 5، ص 225– 228.**

**(1) المصدر نفسه ، ج 5،ص 227 .**

**(2) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 5، ص 114 .**

**(*) هو منصور بن محمد بن بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد ، أبو المظفر السمعاني ، من أهل مرو=**

التحول عن المذهب الحنفي إلى المذهب الشافعي الذي قام به **ابن السمعاني** بعد أن دافع على الأحناف قرابة ثلاثين سنة من بين أبرز الأسباب التي أدت إلى نشوب صراعات مذهبية بين أهل مرو ،دفعت به إلى مغادرة المدينة و قصد نيسابور أين إستقبل بإشادة كبيرة في حضرة **الوزير نظام الملك** الذي أكرمه و أحسن إستقباله ، و عهد له بالتدريس بالنظامية ليكون شيخا لها و إعتبر بذلك من بين أهم و أبرز علمائها و مشاهيرها [1].

كما تفقه و درس على يد الإمام **ابن السمعاني** عدد من طلبة العلم لعل أشهرهم الإمام **أبو سعد البوشنجي*** الذين ذكر عنه أنه من أحسن العارفين في المذهب الشافعي[2] .

---

**= ولد سنة 426 هـ/1034 م ، تفقه على يد أبيه أبى منصور و على مذهب الإمام أبي حنيفة ، فبرع فيه و تميز بذلك عن أقرانه من الشبان ، تنقل إلى بغداد ، فسمع الحديث عن أبي إسحاق الشيرازي ،و أبي نصر بن الصباغ ، الذي ناظره و أجاد في ذلك ، ، ذكر السبكي أنه عندما خرج قاصدا الحجاز تعرض إلى الأسر على يد الأعراب و عمل راعي لجمالهم ، و لما علموا أنه رجلا متدينا فقيها إعتذروا له و أخلوا سبيله ، كما أنه عندما عاد إلى بلده مرو و بها قلد الإمام الشافعي ، و رجع عن مذهب الإمام أبي حنيفة ، الذي ظل مدافعا عليه قرابة ثلاثين سنة ، و له من تصانيف عديدة أبرزها " التفسير ، الإنتصار و البرهان و القواطع و غيرها " ، توفي سنة 489 هـ/1095مو دفن بمرو .**

**–ابن كثير : البداية و النهاية ،ج 16،ص 160.159 ؛ابن الجوزي : المنتظم،ج 17،ص38.37؛السبكي : طبقات الشافعية ، ج 5، ص 346.335 .**

**(1) المصدر نفسه،ج 5،ص 344.**

**(*) هو إسماعيل بن عبد الواحد ابن إسماعيل بن محمد الإمام البوشنجي ، و الملقب أيضا بنزيل هراة شافعي المذهب على قدر كبير من العلم ، مدرسا و مصنفا ، و مفتيا ، كما عرف عنه الصفات الحسنة التي ذكرها كل من أبن السمعاني و عبد الغافر كالزهد و كثرة العبادة و الدقة في المناظرة، لزومه للذكر و رغبته الكبيرة في نشر العلم، و ملازمته لأهل السنة و مذهبها و بعده عن مجالس الأمراء و الملوك و ما يشغله عن الذكر و أهله، له مصنفه المعروف "بالمستدرك" توفي بهراة سنة 436 هـ/1044م.**

**– ابن العماد شذرات الذهب ، ج 6، ص 185.184 .**

**(2)المصدر نفسه ، ج 6، ص 184 .**

## 4 – المدرسة النظامية بهراة و أشهر أعلامها :

إن أهمية مدينة **هُرَاةْ** *بإقليم **خراسان** دفعت **بنظام الملك** إلى العمل على بناء إحدى نظامياته بها بهدف ضمان إنتشار المذهب الشافعي بها ، و يعتبر **أبو بكر الشاشي محمد بن علي**** صاحب **غزنة** و مؤلف التصانيف العديدة أول مدرس لها في أخريات حياته بطلب من الوزير نظام الملك و هو ما حل على أهل **غزنة**كوقع الصاعقة لرفعته و منزلته المحمودة لديهم ، إلا أنهم لَبُّوا طلب الوزير و امتثلوا إليه ، و جهزوا موكبه و عائلته و بعثوا به إلى **هراة**أين عمل مدرسا و واعظا بنظاميتها إلى غاية وفاته [1].

و من أشهر أعلام وأساتذة **المدرسة النظامية بهراة** الشيخ العلامة **محمد بن يحيى النيسابوري***** الذي عمل مدرسا بنظامية نيسابور و صاحب التصانيف العديدة لعل أبرزها "**كتاب المحيط في شرح الوسيط، و كتاب الإنتصاف في مسائل الخلاف** " بقي على التدريس **بنظامية هراة**

---

**(*) تعتبر هراة من أمهات المدن بإقليم خراسان و أهمها ، حيث ذكر ياقوت الحموي في منزلة هذه المدينة و وصفه لها : « لم أرى بخراسان عند كوني بها في سنة 607 هـ/1210م مدينة أجل و لا أعظم و لا أفخم و لا أحسن و لا أكثر أهلا منها » ، كما عرف عن هذه المدينة أنها موطن للعلم و العلماء و مستقر لأهل الفضل فيها.**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج5،ص 396 .**

**(**) هو محمد بن علي بن حامد الإمام أبو بكر الشاشي ، ولد بالشاش سنة سبع و تسعين و ثلاثة مائة و بها تفقه على يد أبى بكر السنجي ، و حدث عن منصور الكاغدي و الهيثم بن كليب ، قصد غزنة و قد حقق بها إقبال زائد دال على رفعة منزلته لدى أهلها ، كما إعتبر الأمام الشاشي من أنظر أهل زمانه أقام بغزنة و به عمل على تصانيف عديدة ، إلى أن شيد نظام الملك نظامية هراة و عينه مدرسا لها فأرتحل إليها ، إختلف في تاريخ وفاته فهناك من قال سنة 485 هـ/1092 م،و هو ما ذكره ابن العماد و إتفق مع السبكي و هو الأرجح ،و هناك من قال سنة 495 هـ/1101 م.**

**– السبكي : طبقات الشافعية ، ج 4، ص 190 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 5،ص365.**

**(1) السبكي : المصدر السابق ، ج 4، ص190.**

**(***) هو الإمام الشهيد أبو سعد محمد بن يحيى بن أبي منصور النيسابوري ، المشهور بمحيي الدين =**

حتى إستشهد و ذلك في حدود سنة **548**هـ/**1153**م[1] .

## 5 – المدرسة النظامية ببلخ و أشهر أعلامها :

تعتبر مدينة **بَلَخْ** المسبوق بالتعريف بها ، من بين أبرز مدن إقليم **خراسان** و أجملها على الإطلاق إعتنى السلاجقة بها و عملوا على عمارتها و أصبحت من بين أهم مدنهم ، أمر **نظام الملك** ببناء المدرسة النظامية بها ، و عهد للإمام **أبي القاسم التميمي** * بالتدريس بها ، و هو من بين

---

**= شيخ الأساتذة المتأخرين ، و أكثرهم علما ، ولد سنة 470 هـ/1077م، تفقه على يد الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي و الشيخ أبي المظفر أحمد بن محمد الخوافي ، عرف عنه الإلمام بالفقه حتى آلت إليه رياسة الفقهاء بمدينة نيسابور ، و إعتبر أبا سعد في تلك الفترة مقصدا لطلاب العلم فرحلوا إليه من كل مكان طلبا لعلمه و الإنتفاع منه ، ذكر السبكي عنه الأوصاف الحسنة فقال : « كان إمام مناظرا ورعا زاهدا و متقشفا » ، توفي الإمام سنة 548 هـ/1153مبعد إستيلاء الغز على نيسابور في وقعة لهم مع سلطان السلاجقة سنجر بن ملكشاه .**

**–السبكي : طبقات الشافعية ،ج 7، ص 25–28؛الذهبي : سير أعـلام النبلاء ،ج 20، ص 315–312 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 4 ،ص 224.223؛ ابن العماد : شذرات الذهب ،ج 6، ص 250.249 .**

**(1) السبكي : المصدر السابق،ج 7،ص 26 ؛ الذهبي : المصدر السابق،ج 20،ص 314.313.**

**(*) هو عبد الله بن طاهر بن محمد بن شهفور ، الإمام أبو القاسم التميمي ، من أهل أسفراين ، نزل مدينة بلخ ، و إستقر بها ، ثم عمل مدرسا بنظاميتها ، عرف عنه أنه صاحب جاه و مال كبيرين صاحب جود و سخاء ،حضي بمنزلة رفيعة وسط أهالي بلخ ، حتى روى السبكي أنه في أحد الأيام نزل على المدينة أنصاري فأهداه الإمام ما يعادل ألف دينار ، سمع الحديث عن أئمته أشهرهم " جده لأمه الأستاذ أبي منصور البغدادي ، و من أبي حسان محمد بن أحمد المزكي ، و ناصر العميري و غيرهم من الأئمة توفي الإمام التميمي سنة 488 هـ/1095م .**

**–السبكي : المصدر السابق ، ج 5، ص 64.63 .**

أبرز و أشهر أعلامها ، إشتهر بتميزه و كان إمام في الفروع و الخلاف و الأصول [1].

## 6- المدرسة النظامية بآمل طبرستان و أشهر أعلامها :

تحدث **ياقوت الحموي** عن مدينة **آمل** حيث إعتبرت أحد أهم مدن إقليم **طَبَرِسْتَانْ** * هذا الإقليم الواسع المشتمل على عدد كبير من المدن الهامة [2]، أمر **نظام الملك** ببناء المدرسة النظامية بها ، و يعتبر الإمام **أبي المحاسن الروياني**** الذي ولي قبلها بقضاء طبرستان ثم مدرسا بنظاميتها من بين أهم و أشهر علمائها.

و ذكر **السبكي** أن **الوزير نظام الملك** كان من بين المبجلين و المعظمين لشأن الإمام **أبي المحاسن الروياني** يظهر ذلك في قوله: « **و كان نظام الملك كثير التعظيم له** »، و بقي

---

**(1) السبكي : المصدر نفسه ، ص 63 .**

**(*) هي بلد واسع معروفة كونها منبع لأهل العلم و الأدب و الفقه ، تتميز بطابع جبلي سائد على أغلب أقاليمها ، و تعتبر كلا من " دهستان ، جرجان ، و إستراباذ و آمل " ، و تعرف كذلك بتسمية قديمة لم يذكر ياقوت الحموي مصدر تسميتها و لم يرد ذكرها في الكتب القديمة ، و إنما تعارف أهلها على تداولها و هي " بمازندران " .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج4 ،ص 13 و ما بعدها .**

**(2) المصدر نفسه ، ص 13 .**

**(**) هو عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد ، الإمام الجليل أبي المحاسن الروياني ، أحد أبرز أئمة المذهب الشافعي ، ولد سنة خمس عشرة و أربع مائة ، تفقه برويان على يد أبيه و جده و عدد من الأئمة أبرزهم " علي ناصر المروزي بنيسابور ، و محمد بن بيان الكازروني بميافارقين " ، و سمع عن عبد الله بن جعفر الخبازي ، و أبا إسحاق إبراهيم بن محمد المطهري ، و أبا حفص بن مسرور و غيرهم بكل من " آمل نيسابور بخارى و غزنة و مرو و غيرهم ، عرف عنه الأوصاف الحميدة و في هذا السياق يذكر السبكي : « كان يلقب فخر الإسلام ، و له الجاه العريض في تلك الديار ، و العلم الغزير و الدين المتين »، صاحب المصنفات الغزيرة نذكر منها : " حقيقة القولين ، مناصيص الشافعي ، و الكافي و غيرها " توفي سنة 502 هـ/1108معلى يد الفئة الملحدة .**

**–السبكي : المصدر السابق ، ج 7، ص 193 و ما بعدها .**

مدرسا بالنظامية إلى غاية إغتياله من الفئة الملحدة ألف العديد من المصنفات أشهرها"الفروق، الحلية التجربة و المبتدأ " و غيرها [1].

## 7- المدرسة النظامية بأصبهان و أشهر أعلامها :

و تعتبر من بين أبرز النظاميات التي بناها **الوزير نظام الملك**، و يعتبر الشيخ **أبو بكر الخجندي*** أحد أبرز مدريسها جلس بها وبقي يلقي الدروس حتى توفي سنة **483 هـ/1090م**[2] كما يعتبر نجل الإمام **أبو بكر الخجندي ، أبو سعيد أحمد الخجندي** ** من بين أشهر أعلامها و أساتذتها و بقي مدرسا بها إلى أن توفي سنة **531 هـ/1136م**[3] .

---

**(1) السبكي : المصدر نفسه ، ج 7، ص 195.194.**

**(*) هو الإمام العلامة محمد بن ثابت بن الحسن الشافعي الواعظ أبو بكر الخجندي ، المنحدر من مدينة خجندة بطرف نهر سيحون ، نزل مدينة أصبهان و بقي بها إلى أن عين مدرسا لنظاميتها ، و يعتبر شيخا للشافعية متربعا على سيادتها بالمدينة ، كان على قدر كبير من العلم و النظر و الأصول ، حتى إنتشر علمه ، و تخرج على يده جماعة من أهل العلم ، عرف عنه الصفات الحميدة و الحسنة ، توفي سنة 483 هـ/1090 م.**

**- ابن العماد شذرات الذهب ، ج 5، ص 355.354.**

**(2) المصدر نفسه ، ص 354 .**

**(**) هو أبو سعيد أحمد بن محمد الخجندي ، والده الإمام الشيخ العلامة أبو بكر الخجندي ، تولى التدريس بنظامية بغداد ، و تفقه على يد والده إلى أن برع فيه ، و في المذهب الشافعي تحديدا ، و بقي بعد وفاة والده و بعد أن فوض أمر التدريس بالنظامية إلى غيره ، بقي ملازما بيته إلى أن توفي سنة 431 هـ/1039م .**

**- المصدر نفسه ، ص 355 .**

**(3) المصدر نفسه ، ص 355.**

## 8- المدرسة النظامية بالموصل و أشهر أعلامها :

تعتبر **المدرسة النظامية بالموصل*** من بين أهم المدارس النظامية، لكن لم يرد ذكر تاريخ بنائها و أنها شيدت بعد المدرسة النظامية ببغداد أي بعد سنة **459 هـ/1066 م**.

لكن الغريب في الأمر أن **ابن جبير** و في رحلته **للموصل** وصفها وصفا جيدا لم يغفل فيه من شيئ كما أنه عدد مظاهر العمران فيها من حوانيت ، دكاكين ، مساجد ، و حتى المارستان المجادي و المدارس التي مر بها و عدها نحو ستة مدارس و أيضا وصفه لقصورها و مدى جمالها ، لكن لم يتطرق بذكر **نظاميتها** أو حتى إشارة دالة على وجودها [1] ، ربما يرجع ذلك إلى زوال آثارها أو أنه لم يمر عليها و ذلك لكبر هذه المدينة و شساعتها الأمر الذي حال دون التطرق إلى ذكرها .

كذلك هو الحال لدى **ابن بطوطة** فتفصل هو الآخر في وصف حال المدينة و عمرانها و ذكر الأهم فيها ، لكنه لم يورد ذكر **المدرسة النظامية بالموصل** عدى أنه أورد ذكر أسوار المدينة و وصف فنادقها و حماماتها و أسواقها ، و تفصل في ذكر مساجدها [2].

إكتست نظامية الموصل أهمية كغيرها من النظاميات التي شيدها **نظام الملك** بهدف نشر التعليم و العمل على تكوين طلاب في شتى المجالات ، و قد ذاع صيت علمائها الذين درسوا بها وسهروا على تلقين الطلبة مختلف العلوم .

لعل أشهر العلماء الذين جلسوا للتدريس بها **محي الدين محمد ابن القاضي كمال الدين الشهرزوري**** الذين لقب بقاضي القضاة الذي ذاع صيته بالموصل حتى تولى شرف الجلوس

---

**(*) و هي من المدن المشهورة في الإسلام و أحد أهم و أبرز قواعده ، تتميز بكبر مساحتها و كثرة سكانها و الوافدين إليها من مختلف الأماكن ، موقعها إستراتيجي و على قدر كبير من الأهمية على إعتبار أنها تربط بين العراق و إقليم خراسان ، و هي أيضا بوابة لمن يقصد التوجه نحو أذربيجان ، كما أن أصل تسميتها تعددت حوله الآراء و المواقف ، فهناك من ينسبها إلى خاصية وصلها و ربطها بين الجزيرة و العراق ، و هناك من يرجعها إلى ربطها و وصلها لنهر دجلة بالفرات .**

**- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 5، ص 223 .**

**(1) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص 211.210.**

**(2) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ج 1، ص 245.244.**

**(**) هو قاضي القضاة ابن القاضي الموصلي الشهير كمال الدين ابن الفضل محي الدين محمد بن =**

للتدريس بالمدرسة النظامية [1]، بالإضافة إلى العالم **أحمد بن نصر بن الحسين الأنباري** * الذي إعتبر هو الآخر من بين أهم علماء نظامية الموصل و أشهرهم حيث كان على قدر كبير من العلم بالمذهب الشافعي و من بين أشهر مدرسيه بالنظامية العتيقة [2].

---

**=الشهرزوري طلب الفقه ببغداد و تعلمه على يد الفقيه ابي منصور بن الرزاز ، كما سمع عن عم أبيه ابي بكر محمد بن القاسم ناب عن أبيه بالشام حتى ولي قضاء مدينة حلب ، ثم قدم إلى الموصل و عين قاضيا لها ، بقي على مهنته تلك ، حتى خلف أبيه و درس بمدرسته ، و بعدها نال الشرف و جلس مدرسا بالمدرسة النظامية بالموصل ، أحسن العدل و القضاء و التدريس فكان عالما فقيها و أحد أبرز أعلام نظامية الموصل ، توفي سنة 586 هـ/1190 م ، عن عمر ناهز 62 سنة بالموصل .**

**-السبكي : طبقات الشافعية ، ج 6 ، ص 186.185 .**

**(1) المصدر نفسه ، ص 186 .**

**(*) هو أبو العباس أحمد بن نصر بن الحسين الأنباري المعروف بالشمس الدنبلي ، طلب الفقه و ناله حتى قيل عنه أنه أعاد درس الشيخ أبي المظفر بن المهاجر ، إشتغل بالقضاء في بغداد نيابة عن القاضي الشهرزوري ، كان على معرفة تامة و قوية المذهب الشافعي ، إعتلى سدة التدريس بالمدرسة النظامية و بقي بها يلقي الدروس ، كما أنه كان كثير النقل في المسائل ، دقيقا في الفتوى بقي ينشط بالنظامية حتى توفي بالموصل سنة 598 هـ/1201م .**

**- المصدر نفسه ، ص 67 .**

## 9- المدرسة النظامية بالبصرة و أشهر علمائها

تعتبر هي الأخرى من بين أهم المدارس التي شيدت عهد **السلاجقة** و الوزير **نظام الملك** حوالي النصف الثاني من القرن **04 هـ / 11 م**، كما لم تتحدث المصادر التاريخية عن تاريخ دقيق لبناء هذه المدرسة ، لكن الأرجح و الأكيد أنها شيدت كبقية المدارس النظامية في **العهد السلجوقي** بعد بناء **نظامية بغداد** التي تعتبر أول ما بني من هذه المدارس سنة **459 هـ/ 1066 م** .

تحدث **ابن الأثير** عن مكان أو موقع **المدرسة النظامية بمدينة البصرة**، فبحسب ما أورده فإنها تتموضع بقرب المربد و المحلة المجاورة لقبر الصحابي الجليل **طلحة بن عبيد الله التميمي** * حين تحدث عن واقعة نهب المدينة التي فرض عليها الحصار سنة **499 هـ/ 1105 م** فيقول : « **لم يسلم منهم إلا المحلة المجاورة لقبر طلحة و المربد ، فإن العباسيين دخلوا المدرسة النظامية و إمتنعوا بها و حموا المربد** »[1] .

كغيرها من **المدارس النظامية** في **السلطنة السلجوقية** تميزت **نظامية البصرة** بتنوع فروع العلوم التي كانت تدرس بها ، و أساليب التعليم التي اعتمدت فيها ، لكن ما تمكننا من الوصول إليه من الأساتذة الذين جلسوا لإلقاء الدروس بالنظامية و أشهر من تميز من علمائها هو **أبو الفضل محمد**

---

**(*) أشهر صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم أبو محمد طلحة بن عبيد الله ابن عثمان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي ، شهد العديد من الغزوات مع الرسول عليه الصلاة و السلام ، و تلقب على إثر ذلك بالعديد من الألقاب أشهرها أنه سماه صلى الله عليه و سلم يوم أحد "طلحة الخير" و يوم غزوة ذات العشيرة "طلحة الفياض" ، و يوم غزوة حنين "طلحة الجود" .**
**عرف عنه الجود و كثرة التصدق على الفقراء ، حتى أنه كلما تجمع له المال و بات عنده ما إن يصبح فيتصدق به كله في سبيل الله ، توفي رضي الله عنه يوم الجمل بعد أن أصيب بسهم سنة 36 هـ/645 مو دفن رضي الله عنه بالبصرة .**
**– ابن الجوزي : صفة الصفوة ، دار ابن الجوزي القاهرة مصر ،ط1 ، 1434هـ/2013 م ،ج 1 ، ص 126- 128 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 1 ، ص 23 و ما بعدها ؛ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج 3، ص 88 ؛ الذهبي : دول الإسلام ، ج 1، ص 31.30 .**
**(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 9، ص 91 .**

**بن قنان بن حامد بن الطيب الأنباري** * الذي يعتبر من مشاهير عصره و من تتلمذوا على يد الإمام **أبي إسحاق الشيرازي**، و أشهر من تولى قضاء المدينة في تلك الفترة [1].

بالإضافة إلى النظاميات السالفة الذكر شيد **الوزير نظام الملك** العديد من النظاميات إلى جانبها و ذلك بهدف دعم الحياة العلمية و تطويرها ، أضف إلى ذلك حماية أقاليم الخلافة الإسلامية من الخطر الشيعي الباطني ، و من جهة أخرى خدمة مذهب أهل السنة و المذهب العام للخلافة الإسلامية و دعم الدولة بخيرة خريجيها و العمل على الإعتماد عليهم في تقلد المناصب الإدارية للدولة خدمة لها .

---

**(*) ولد أبو الفضل سنة 445 هـ/1053 م ، طلب الفقه على يد أبي إسحاق الشيرازي ، و إعتبر من بين أشهر تلامذته ، و كان صهرا لأبي بكر الشاشي ، استطاع أبو الفضل الأنباري أن يكون متميزا عن من عاصروه من بني جنسه ، و مع مرور الوقت ولي القضاء على مدينة البصرة ثم معيدا بالمدرسة النظامية أين حدث بها عن شيخه و معلمه ابي إسحاق الشيرازي ، توفي بالبصرة و دفن بها في سنة 503 هـ/ 1109 م .**

**– السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 6، ص 175.**

**(1) المصدر نفسه ، ص 175 .**

## المبحث الرابع : علاقة العلماء بسلاطين و وزراء العهد السلجوقي و دورهم في دعم انتشار المدارس التعليمية و نشاط الحركة الفكرية و ازدهارهابالمشرق

### 1- علاقة العلماء بسلاطين و وزراء العهد السلجوقي :

حظيت الحياة العلمية بصفة عامة و المدارس التعليمية بصفة خاصة في السلطنة السلجوقية بأهمية كبرى، حتى أضحى هذا العهد أحد أهم و أزهى العصور في تاريخ و حضارة الدولة الإسلامية ، و يرجع ذلك لسبب رئيسي و هو جهود سلاطين و وزراء هذا العهد في دعم الحركة العلمية و نشر المدارس التعليمية في جميع أقطار الدولة الإسلامية .

إنّ أبرز ما أسفر عنه هذا الاهتمام من قبل سلاطين و وزراء الدولة السلجوقية هو ظهور نخبة من بين أبرز و أعظم العلماء عبر تاريخ الدولة الإسلامية في شتى أنواع العلوم و المعارف لعل أشهرها " **علم الفقه و الحديث و التفسير** " الذين كان لهم الأثر البارز في دعم و بعث الحركة العلمية و الفكرية و استقرار الدولة الإسلامية من جهة و تثبيت دعائم قوة و هيبة السلطنة السلجوقية من جهة أخرى [1].

كانت هناك علاقة مميزة ، ربطت نخبة العلماء بسلاطين و وزراء العهد السلجوقي، ويرجع ذلك إلى الحقيقة التاريخية و مفادها تلك الطبيعة البدوية و نقص ثقافة السلاجقة ما دفع بهم إلى العمل على تجاوز هذه العقبة من خلال الإرتباط المباشر بعلاقة مميزة و قوية بعلماء عصرهم و ذلك بالاهتمام بالعلم و العلماء و طلاّب العلم، و دعم انتشار المدارس التعليمية و دور العلم لطلابه في مختلف أقطار السلطنة السلجوقية و الدولة الإسلامية ، و وضعها تحت تصرّف العلماء الأجلاء في سبيل تقريبهم إليهم و العمل على مشورتهم و حضور مجالسهم، من خلال إدراك سلاطين و وزراء السلاجقة لأهمية العلم و دور العلماء في بناء الدولة وحفظ استقرارها و صناعة حضارتها .

كما تطورت هذه العلاقة بين علماء و وزراء و سلاطين السلاجقة ، حيث كانت سماتها الأولى ذلك الإحترام المتبادل بينهم ، ثم أصبحوا ( العلماء ) دعامة قوية استند إليها السلاجقة ( الوزراء و السلاطين ) من خلال العمل بآرائهم و أفكارهم و استشارتهم في أمور الدولة

---

**(1) عن أشهر علماء المدارس النظامية عهد السلاجقة أنظر الملحق (5)من المذكرة، ص155-157.**

و لعل الهدف من وراء كل هذا هو خدمة الإسلام و العلم للحفاظ على استقرار و استمرارية دولته في ما كانت تواجهه من أخطار و تحديات داخلية و أخرى خارجية .

إنّ دلالات تلك العلاقة التي جمعت بين سلاطين و وزراء العهد السلجوقي و علماء عصرهم كثيرة ، و سنحاول تسليط الضوء على الأهم فيها لتأكيد هذه العلاقة ، و من تلك الأمثلة نورد بالذكر موالات العلماء لسلاطين السلاجقة و الدليل على ذلك موقف **أبو عبد الله الدامغاني*** للسلطان **طغرلبك** حين أظهر ولاءه التام و دعمه للسلطنة السلجوقية بعد حادثة سيطرة **البساسيري** على مدينة بغداد سنة **450** هـ/**1058**م ، لما انشغل **طغرلبك** في حربه ضد أخيه **إبراهيم يَنَالْ**** و نتيجة لموقف **الدامغاني** الرافض لدخول **البساسيري** و لما حدث للمدينة على يده و أتباعه تعرض للأسر عقابا له على مواقفه تلك و بقي في الأسر إلى حين دفعه مبلغا من المال قدر بـ **700** دينار قبل بها **البساسيري** بعد أن تقدم **الدامغاني** بـ : **3000**دينار نظير الإفراج عنه [1].

أضف إلى ذلك حادثة دلت على عمق و قوة علاقة **الدامغاني** بالسلطان **طغرلبك** ، حين طلب هذا الأخير ابنة الخليفة العباسي **القائم بأمر الله** للزواج سنة **454** هـ/**1062**م طمعا منه في ربط مستقبل السلطنة السلجوقية و استمراريتها بوريث يجمع تاج الدولة السلجوقية و الخلافة العباسية فأنزعج **القائم** و اعتبر طلب **طغرلبك** إهانة له ، ما أثار حفيظة السلطان السلجوقي

---

**(*) هو أبو عبد الله محمد بن على بن الحسين بن عبد الملك بن حمويه الدامغاني ، ولد بالدامغان حوالي 418 هـ/1027 م ، تفقه بخراسان و بغداد على يد الشيخ القدوري و كان ممن برعوا فيه ، حتى أصبح سيدا على مذهب الإمام أبي حنيفة ، توجه إلى مدينة بغداد أين زاول فيها منصب قاضي القضاة توفي الدامغاني بغداد سنة 478 هـ/1085 م و دفن إلى جوار قبر الإمام أبي حنيفة .**

**– اليافعي : مرآة الجنان ، ج4 ،ص 94؛ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 5 ، ص 343؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 5 ، ص 120 .**

**(**) هو الملك إبراهيم بن ميكائيل السلجوقي ، و أحد من ساهموا في بناء السلطنة السلجوقية إلى جانب أخيه السلطان طغرلبك ، دارت بينهما حربا أنتهت بأسر إبراهيم ينال ، ما أدى إلى تشتت جيشه قتل رفقة إخوته بنواحي الري سنة 451 هـ /1059 م .**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 18 ، ص 112 .**

**(1) ابن الجوزي : المنتظم ، ج 18 ، ص 38 .**

و أقدم على مراسلة الخليفة العباسي يأمره فيها بالخروج من بغداد ، و هنا تدخل **الدامغاني** طالبا من الخليفة العباسي النظر في طلب **طغرلبك** ، و الفائدة التي ستعود على مستقبل الخلافة الإسلامية و العباسية من خلال تجنب خطر السلاجقة على العاصمة بغداد و دعم ملكهم بشريك قويّ يصد عنها الأخطار الخارجية التي تتربص بالعباسيين ، فقبل الخليفة القائم طلب السلطان **طغرلبك** بفضل موقف **الدامغاني المساند للسلاجقة و قوة و سرعة إقناعه للقائم** [1]. و هو ما يؤكد ذلك الإحترام الكبير المتبادل بين الرجلين و تلك المكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها **أبي عبد الله الدامغاني** لدى السلطان السلجوقي .

و من الدلائل كذلك التي أكدت العلاقة القوية بين السلاجقة و علمائهم و الإحترام الكبير الذي كانوا يتمتعون به في بلاط السلاطين ، تلك الرسالة التي بعث بها الخليفة **القائم بأمر الله** للسلطان **طغرلبك** رفقة العالم القاضي **أبي الحسن علي بن محمد الماوردي** * و على الرغم من أن مضمون تلك الرسالة كان فيه تجريح و طعن صريح في السلطان **طغرلبك** الذي عبّر عن سخط الخليفة من السلاجقة ، إلّا أن **طغرلبك** و بعد اطّلاعه على محتوى الرسالة قام بختمه و كتمان ما جاء فيه ، و بقي على إحترامه و إكرامه المعهود بهما تجاه **الماوردي**[2] ، تأكيدا منه على أنّ مكانة العلماء و موقف السلاطين منهم محفوظ و على عهدهم لهم من خلال الإحترام و التقدير الكبيرين اللذين كانا يحضيان بهما علماء عصرهم ، وهو ما ساعد السلاجقة على كسب شريك قوي في دعم مشروع دولتهم العلمي و الفكري بالمشرق .

---

**(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 358.357.**

**(*) هو الأمام الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري فقيه الشافعية ، المعروف بالماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد ، ينحدر من مدينة البصرة ، إستقر به المقام بمدينة بغداد ، إمام في الفقه و التفسير ، و يعتبر الماوردي من بين أشهر أعيان المذهب الشافعي و كبار علمائهم ، أسند إليه قضاء بغداد حتى لقب بقاضي القضاة ، و له عدة مصنفات منها "الحاوي ، و الإقناع، و أدب الدنيا و الدين " بقي ملازما للمدينة حتى توفي بها سنة 450 هـ/ 1058 م .**

**– الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج 2، ص 297.296؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مج 5، ص 219.218؛ ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 15 ، ص 762.**

**(2) عماد الدين الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص 28 .**

و إلى جانب ما تقدم من مظاهر الإحترام و التقدير القائم بين سلاطين السلاجقة و علماء عصرهم ، فقد أوكلت لهم مهام دلّت على رفعة مكانتهم و عمق الإحترام الذي حضوا به كالإصلاح بين السلاطين و الأمراء و تعدّاه في بعض الأحيان إلى السلاطين أنفسهم منها ما أورده بالذكر **عماد الدين الأصفهاني** عن ذلك الخلاف الذي دار بين **السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه*** و عمه **السلطان سَنْجَرْ**** و الذي كاد ينشب من وراءه صراع دامي بين الطرفين و لولا تدخل الوزير **كمال الملك السُمَيْرَمِي***** و إصلاحه للأمور ، و ذلك بعد أن طلب من **السلطان محمود** بضرورة السماع لعمه و احترامه له كونه كبير أعيان السلاجقة أنذاك ، و عند وصوله إلى **السلطان سنجر** مخبرا إياه عن اعتذار **السلطان محمود بن ملكشاه** و أنه تحت إمرته فيما يشاء ، سرّ

---

**(*) هو أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان ، الملقب بمغيث الدين ، أحد أشهر سلاطين السلاجقة ،ولي على السلطنة ببغداد سنة 512 هـ/1118 م، كان ذكيا ومحباللعلم و مجالسة أهله ، قوي المعرفة للغة العربية ،شهدت السلطنة آخر أيام حكمه نوعا من الضعف و لعل قلة مواردها المالية من بين أسباب ذلك ، توفي بأصبهان سنة 525 هـ/1130 م .**

**– ابن العماد : شذرات الذهب ،مج 6،ص127.126 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج 5 ، ص 183.182 .**

**(**) هو أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان ، الملقب الملك المظفر و بالسلطان الأعظم معز الدين ، من بين أعظم سلاطين السلاجقة ، لما عرف عنه من وقار و هيبة و حسن في معاملة الرعية ولد بسنجار فسماه والده تيمنا بها ، كان سنجر من بين أغنى السلاطين و أكثرهم جيشا ، حتى قال عنه خازنه " إجتمع في خزائنه من الأموال ما لم أسمع أنه إجتمع في خزائن أحد من ملوك الأكاسرة " خلف أخاه بكرياروق في إدارة السلطنة سنة 490 هـ/1096 م إلى أن إنفرد بها سنة 512 هـ/1118 م خطب له في جميع الأقاليم التي حكمها كبغداد ، أذربيجان ، أرمينيا ، الشام و الموصل ، ديار بكر ، توفي بسنجار سنة 552 هـ/1157 م ، و دفن بقبة بناها بنفسه سماها " دار الآخرة ".**

**– ابن العماد :المصدر السابق ، مج 6، ص 269.268 ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 2، ص 428.427 ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج 3، ص 17 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 5، ص 313.312 .**

**(***) هو أبو طالب علي بن أحمد ، المدعو بكمال الملك السميرمي ، ولي الوزارة للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، كان شديد الحزم و التجبر ، و ذا شأن كبير في بلاط السلاجقة ، كما =**

**سنجر** لهذا الخبر فاستقبل الوزير **السميرمي** إستقبالا بهيجا و أكرم ضيافته [1] ، و هو ما يؤكد ذلك التأثير القوي و المكانة الرفيعة و الكلمة المسموعة **للسميرمي** عند سلاطين السلاجقة .

و قد عمل السلاجقة على تكريم العلماء و الرفع من منزلتهم لإبراز أهميتهم في مشروع بناء و إستقرار السلطنة ، و لعلّ مظاهر هذا التكريم أن الإمام **أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني** كان على الدوام مكرما في مجلس السلطان **طغرلبك** و مقربا إليه و دلالة ذلك ما أورده **ابن الجوزي** في قوله :« **فاستدعى أبا عبد الله الدامغاني فولي قاضي القضاة ، و قصد خدمة السلطان طغرلبك فأعطاه دست ثيات و بغلة** »[2].

و من المظاهر الدالة كذلك على قوة علاقة سلاطين السلاجقة بعلمائهم و تعظيمهم في مجالسهم بحسب منزلتهم ، ما كان يحظى به الإمام العالم **أبي المعالي الجويني** من تقدير و احترام و مهابة السلطان **ألب أرسلان** و وزيره القدير **نظام الملك الطوسي** بحيث لا يذكر في مجالسهم غير الإمام **الجويني** و كل من إنتمى إليه و قرأ عليه فهو مقبول في بلاط السلطان و مجلس وزيره [3] كما أكدت بعض المصادر أن الإمام الفقيه **أبا بكر محمد بن عبد اللطيف الخَجْنَدِي** * كان على

---

**=عرف عنه سوء السيرة حتى قال عن نفسه " قد إستحييت من كثرة الظلم و التعدي " توفي مقتولا على يد الباطنية سنة 516هـ/ 1122م .**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 19 ، ص 433.432؛الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج 2، ص 407 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مج 6، ص 81 .**

**(1) عماد الدين الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص 122.121 .**

**(2) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ، ص 251 .**

**(3) إبن العماد : المصدر السابق ، مج 5، ص 339 .**

**(*)هو أبو بكر محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندي ، من أهل أصبهان ، و كان بمثابة رئيس لها ، سافر إلى بغداد ، و درس بالمدرسة النظامية ، و كان واعظا بها تارة و بجامع القصر تارة أخرى ، مقرب من السلاطين و معظم في مجلسهم و كانوا يطلبون رأيه ، توفي سنة 552 هـ/1157 م .**

**– المصدر نفسه ، مج 6،ص 270 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج 3، ص 233؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج 18 ، ص 122 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 20 ، ص 387.386 .**

علاقة قوية بسلاطين السلاجقة، و ذا مكانة رفيعة، و صدرا مقدما عندهم ، متميزا و ذا حشمة عظيمة و جاه عريض [1] .

هو تأكيد على ما كان يحظى كل من الإمام **الدامغاني** و **الجويني** و الفقيه **الخجندي** من قبول و تقدير و مكانة غاية في الأهمية في بلاط السلاجقة و مجلسهم ، كما أن الأمثلة و الأدلة عديدة للوقوف عند هذه الحقيقة ، و بالتالي فإن الأكيد أن هذه العلاقة المميزة و التي سبق و أشرنا إليها في ما تقدم من حديث ، لعبت دورا هاما في مشروع السلاجقة العلمي و الحضاري من خلال دعم المؤسسات التعليمية بمعاهد خاصة و القصد من ذلك دور العلماء في بناء و تشييد المدارس التعليمية إلى جانب المدارس النظامية و التي في معظمها نسبت إليهم و حملت أسمائهم ، و هو ما سنتحدث عنه في العنصر الموالي من هذا الموضوع .

## 2- دور علماء العهد السلجوقي في دعم إنتشار المدارس التعليمية ( المدارس الخاصة ):

لقد ازدهرت إلى جانب المدارس النظامية في عهد دولة السلاجقة بالمشرق مدارس نستطيع القول عنها أنها اعتبرت بمثابة مدارس خاصة ، ظهرت بفضل جهود علماء العصر السلجوقي في دعم انتشار مثل هذا النوع من الأوقاف و خدمة لطلاب العلم و ازدهار الحياة العلمية ، و دعم المشروع العلمي الذي أطلقه السلاجقة بالمشرق و في مقدمتها بناء المدارس إلى جانب النظاميات مستغلين بذلك علاقتهم القوية و المتينة بسلاطين و وزراء العصر السلجوقي الذين لم يمانعوا ظهور مثل هذا النوع من الأوقاف خاصة أنها لا تخرج عن طابعها السني و خدمة أهل العلم و طلابه بالإظافة إلى دعم أهدافهم العلمية في المشرق ، و من العلماء الذين أنشأوا مثل هذه المدارس إلى جانب مدارس السلاجقة ( المدارس النظامية ) **أنشأ أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي*** ، **مدرسة**

---

**(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 9، ص 419 ؛ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 18 ، ص 122 ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج 3، ص 18 .**

**(*) هو أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي ،أشهر رجالات أهل العلم في العصر السلجوقي،و الملقب بـ "شرف الملك"، عرف عنه أنه كان ذا جاه و مكانة رفيعة ، مكنه ذلك من أن يشغل منصب القائم على ديوان السلطان ملكشاه السلجوقي أين أصبح صدرا معظما لديه ، عرف عنه حبه لأهل العلم و طلابه ما دفع به إلى العمل على بناء المساجد و الربط ، و لعل أشهر ما قام به بناءه لمدرسةمشهد ابي حنيفة =**

**مَشْهَدْ أَبِي حَنِيفَة ببغداد** سنة **459**هـ/ **1066**م و التي تعد أولى بدايات انتشار هذا النوع من الأوقاف العلمية حتى أن المصادر الإسلامية تتحدث عن أنها سباقة في الظهور عن نظيرتها من المدرسة النظامية في بغداد بحوالي أربعة أشهر [1].

و من المدارس التي أنشأها العلماء **مدرسة المَخْرَمِي** و المنسوبة لمؤسسها القاضي **أبو سعد المبارك بن علي بن الحسين المَخْرَمِي** * عند باب الأزج ببغداد و أوقفها خدمة للحنابلة [2] .

كما أنشأ **أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي الشافعي**** ، مدرسة للشافعية سميت **مدرسة قُرَاحْ**

---

**=و القبة المجاورة لها ، لزم داره في أخريات حياته ، إلا أن مكانته و كلمته المسموعة لدى سلاطين و أمراء السلاجقة لم تمنعهم من طلب مشورته و أخذ آراءه ، و إعتباره مرجعا لهم ، توفي أبا سعد سنة 464 هـ/1071 م .**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 19 ، ص 189.188 .**

**(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 8، ص 380 ؛ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 16 ، ص 12؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ، ص 101.100 .**

**(*) هو أبو سعد المبارك بن علي بن الحسين المخرمي ، شيخ الحنابلة ، تفقه على يد العديد من الأئمة أشهرهم " القاضي أبي يعلى ، أبي جعفر بن أبي موسى و يعقوب بن سطورا البرزبيني و بقي ملازما لهما حتى تمكن في المذهب ، كما حدث عن ابي جعفر بن المسلمة و ابي الغنائم بن المأمون ، و تفقه على يده خلق كبير ، تولى منصب القضاء ، كان جامعا للمصنفات ، و عرف النزاهة و العفة ، و أشهر ما قام به على الإطلاق بناءه لمدرسة سميت بإسمه و أوقفها خصيصا للحنابلة ، توفي العلامة المخرمي في محرم سنة 513 هـ/1119 م .**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 19 ، ص 428 ؛ الذهبي : العبر في خبر من خبر ، ج 2، ص 402 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 6، ص 67.66 .**

**(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج19 ، ص428 ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج2 ،ص 402 .**

**(**) هو أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي ،شيخ الشافعية و الملقب بـ " فخر الإسلام " ، ولد بميافارقين ، تفقه على يد كبار الأئمة أمثال " محمد بن بيان الكازروني ، ابن الصباغ و ابي إسحاق الشيرازي " ، لزم المدرسة النظامية ببغداد إلى أن أصبح مدرسا بها ، عرف عنه التواضع و الوقار ، يحسب له بناءه لمدرسته و المسماة بقراح ظفر ، و أصبح شيخ الشافعية بعد وفاة شيوخه ، توفي سنة 507 هـ/1113 م=**

**ظُفُرْ** و نظم بها حلقات للدروس بعد قيامه بنفس المهمة بالمدرسة النظامية ببغداد [1].

و تعتبر **المدرسة التاجية** من بين أهم مدارس العلماء التي بنيت ببغداد و التي اختصت بالتدريس على مذهب الشافعي المنسوبة لمؤسسها الوزير **أبو الغنائم المَرْزَبَانْ بن خِسْرُو** * و درّس بها أحد أهم أئمة المذهب الشافعي **أبو بكر الشاشي** [2].

و كذلك أنشأ الفقيه **أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي الأَبْرَادِي**** مدرسة و سميت **بمدرسة أَبْرُدِي** ، حيث أوقفها خدمة للحنابلة [3]، و من العلماء الذين عملوا على إنشاء المدارس

---

**= و دفن بجوار شيخه ابي إسحاق الشيرازي ببغداد عند باب أبرز .**

**– الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج 2، ص 390 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، مج 6، ص 28 ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 6، ص 72.71.70 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 5، ص 202 .**

**(1) السبكي : المصدر السابق ، ج 6، ص 72 .**

**(*) هو الوزير أبو الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز ، الملقب بـ" تاج الملك " ، عمل كاتبا للأمير سرهنك ، و بعدها إستوزره السلطان ملكشاه بعد وفاة الوزير القدير نظام الملك الطوسي ، و بعد وفاة ملكشاه ، عمل وزيرا لأنه السلطان محمود ، وقع أسيرا في حروب أبناء البيت السلجوقي حول الملك و قتل على يد غلمان النظام في سنة 485 هـ/ 1092 م .**

**– ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 16 ، ص134.133 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 19 ، ص 101.100 ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ، ص 314.313 .**

**(2) ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 16 ،ص 133 ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ج 16 ، ص 313 .**

**(**) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي الأبردي ،الفقيه الزاهد ،كان خيرا صالحا ،تعبد بداره بالبدرية فجعلها مدرسة و أوقفها على أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ببغداد، توفي سنة 531 هـ/1136 م و دفن ببغداد عند باب أبرز.**

**– ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 17 ، ص 325 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب مج 6، ص 159 .**

**(3) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 17 ، ص 325 .**

**كمال الدين أبو الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الرازي*** الذي بنى مدرسة عرفت باسم **المدرسةالكمالية** [1]، و أنشأ **أبو نجيب عبد القاهر بن عبد الله السَهْرُورَدِي**** مدرسة في الجانب الشرقي من بغداد و هي من بين مدارس الشافعية و عرفت باسمه [2] .

و من المدارس التي أنشأها العلماء **مدرسة ابن هُبَيْرَةُ** المحسوبة على الوزير **أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني** *** المدفون بها و التي درّس بها علماء الحنابلة [3] و أوقف عليها مبلغا معتبرا خدمة لأهل العلم و المحتاجين [4].

---

**(*) هو حمزة بن علي بن طلحة الرازي ، الملقببأبو الفتوح و كمال الدين عرف حسن الأخلاق ، شغل عديد المناصب في عهد الخليفة المسترشد و المقتفي ، و بعد عودته من الحج ترك أمور الدنيا و بقي في داره للتعبد ، أين بنى مدرسة للشافعية و أوقف عليها ثلث ما يملك ، توفي سنة 556 هـ/ 1160 م .**

**– الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج 13 ، ص 110.109 .**

**(1) المصدر نفسه ، ج 13 ، ص 109 .**

**(**) هو أبو نجيب عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن حمويه السهروردي ، شيخ زمانه بالعراق ولد سنة 490 هـ/1096 م بسهرورد ، قدم بغداد و كان واعظا و مدرسا بالنظامية ، بنى مدرسته إلى جانب دجلة و أوقفت خدمة لأهل العلم ، توفي سنة 563 هـ/1167 م .**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج20 ،ص457 و ما بعدها ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ،ج6ص346.347 .**

**(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج20 ،ص477 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ،ج6 ،ص346.**

**(***) هو عون الدين بن المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني الحنبلي ،ولد بقرية بني أوقر من الدور سنة 499 هـ/1105 م ،دخل بغداد و طلب العلم ،و جالس الفقهاء ،حتى أصبح من العارفين في المذهب و العربية و العروض ،عاش فقيرا و لشدة عوزه عمل في الكتابة و ترقى بها إلى أن صار وزيرا للمقتفي لأمر الله ،سنة 544 هـ/1149م ،و إستمر مع إبنه المستنجد بالله ، توفي سنة 560 هـ/1164م.**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج20 ،ص426 و ما بعدها ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج3 ص35.34 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج6 ،ص230 و ما بعدها ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 6،ص319و ما بعدها ؛ المقدسي : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج 1 ،ص 141 .**

**(3) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 6،ص 327.**

**(4) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 18 ،ص 168 .**

## 3- دور علماء العصر السلجوقي في نشاط الحركة العلمية و ازدهارها بالمدارس التعليمية

### 3-1 مصنفات العلماء و دورها في دعم نشاط المدارس السلجوقية :

لقد كان لعلماء العصر السلجوقي أثر بارز في تطور الحياة العلمية و ازدهار نشاط الحركة الفكرية بالمدارس التي أنشأوها ، من خلال ما قدموه من إنتاج علمي تمثل أساسا في مصنفات اختصت في العلوم الشرعية ساهمت إلى حد بعيد في عودة مكانة المذهب العام للخلافة الإسلامية و نقصد هنا المذهب السني و ازدهاره بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الانحصار نتيجة لتسلّط الفرق الشيعية و مذهبها في عهد هيمنة **البويهيين** على زمام الأمور في الخلافة الإسلامية و تطاولهم على الخلفاء العباسيين مستغلين ضعفهم و انشغالهم عن أمور الخلافة .

إن الدلالات على تنوع الإنتاج العلمي لعلماء مدارس **السلاجقة** و ازدهاره عديدة و تنوعت بحسب توجهات و اختصاصات علماء المدارس، و يعتبر الإمام **شيخ الشافعية إمام الحرمين أبو المعالي الجويني** أشهر علماء النظاميات على الإطلاق من حيث كتابة التصانيف التي كان لها أثر بارز في إثراء مكتبات المدارس السلجوقية و اعتبرت بمثابة مصادر يعتمد عليها طلاب العلم في العلوم الشرعية و أشهر مصنفاته "**نهاية المطلب في المذهب، الإرشاد في أصول الدين، الشامل في أصول الدين ،البرهان في أصول الفقه ، مدارك العقول ،و مصنف غياث الأمم في الإمامة**"[1] كما أورد **السبكي** مصنفات أخرى **لإمام الحرمين أبى المعالي الجويني** و هي لا تقل أهمية عن المصنفات السالفة الذكر أشهرها "**الرسالة النظامية ، النهاية في الفقه و مصنف مختصر النهاية" الذي قال فيه الإمام نفسه :"إنه يقع في الحجم من النهاية أقل من النصف و في المعنى أكثر من الضعف**"[2].

و من تصانيف العلماء التي عملت على دعم ازدهار الحركة العلمية و الفكرية مصنفات **الإمام العالم أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد الصباغ** التي تعد من بين أهم مصنفات العلماء التي عملت على حفظ مذهب السنة حتى أنه بحسب قول **الذهبي : " كان أعرف بالمذهب و أصوله من الإمام الشيرازي "**[3] ، و من أشهر مصنفاته نذكر : " **مصنف الشامل ، الكامل ، عبدة**

---

(1) **الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج 18 ،ص475 .**

(2)**السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 5، ص 172.171 .**

(3) **الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 18 ، ص 464 .**

**العالم و الطريق السالم ،كفاية السائل و مصنف الفتاوى "**[1] .

بالإضافة إلى مصنفات **الإمام شيخ الإسلام أبى إسحاق الشيرازي** من أجل المصنفات التي ازدهرت بها مكتبات المدارس السلجوقية ( النظاميات ) حتى قال عنها **الذهبي** : " **و بحسن نيته في العلم اشتهرت تصانيفه في الدنيا "**[2] ، و من تصانيفه نذكر : " **التنبيه و المهذب ،اللمع في أصول الفقه ، شرح اللمع ، المعونة في الجدل ، و الملخص في أصول الفقه "**[3] ، و ذكر **السبكي** تصانيف أخرى للشيرازي " **كطبقات الفقهاء ، التبصرة ، الملخص ، و مصنف نصح أهل العلم "**[4].

كما لا ننسى بالذكر مصنفات **العالم أبو حامد الغزالي الطوسي** الذي يعتبر من أبرز و أجل علماء عصره الذي قال فيه **الذهبي** :" **الشيخ الإمام البحر ،حجة الإسلام أعجوبة الزمان ،صاحب التصانيف و الذكاء المفرط "**[5]، اعتبرت تصانيفه من بين أهم الكتب التي دعمت مكتبات المدارس في الدولة الإسلامية ،و كانت مرجعا لمدرسي النظاميات و طلابها على حد السواء لعل أشهرها في أصول الفقه :" **الوسيط ، البسيط ، الوجيز ، و الخلاصة** "و في سائر العلوم أبرزها : " **إحياء علوم الدين ، الأربعين ، الأسماء الحسنى ، كيمياء السعادة بالفارسية ، مشكاة الأنوار ، الإقتصاد في الإعتقاد و المقاصد في بيان إعتقاد الأوائل ، و تحصين المآخذ** " و غيرها من المصنفات [6].

و من مصنفات العلماء التي عملت على حفظ المذهب السني و ازدهاره في تلك الفترة **الفقيه أبو سعد المتولي*** الذي كانت مصنفاته متخصّصة في جانب الفقه ، على اعتبار أنه تخصّص

---

**(1) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 5، ص 123.122 .**

**(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 18 ، ص 461 .**

**(3) المصدر نفسه ، ج 18 ، 461 .**

**(4) السبكي : المصدر السابق ، ج 5، ص 215 .**

**(5) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 19، ص 323.322 .**

**(6) السبكي : المصدر السابق ، ج 6، ص 225.224.**

**(*) هو أبو سعد عبد الرحمان بن محمد،و إسمه مأمون بن علي المشهور بأبو سعد المتولي ، أحد أشهر فقهاء مدينة نيسابور، ولد بهذه المدينة سنة 426 هـ/1034 م ،و هناك من قال سنة 427 هـ/1035 م جمع أبو سعد المتولي بين صفات ثلاث و هي العلم و الدين و حسن السيرة،كان إماما إختص بالأصول و الفقه ، أشرف على التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد بعد الشيخ الإمام أبي إسحاق الشيرازي، ثم =**

على هذا الجانب من العلوم الشرعية ،و أشهر مصنفاته بحسب ما جاء عنه في ترجمته عن **السبكي** في **الطبقات:** " **كتاب التتمة ، الحدود ، المختصر في الفرائض ، الخلاف ،و مصنف علوم الدين** " [1].

و كذلك من بين المصنفات التي ساعدت على نشر العلوم الشرعية و ازدهار الحياة الفكرية بفضل جهـود علمـاء المدارس في العصر السلجوقي مصنفات **الشيخ أبو عبد الله الطبـري** و لعل أشهرها "مصنف العدة" [2] ، و كـذلك من الأئمة الذين ذاع صيت تصانيفهم و كانت من بين أهم ما دعمت مكتبات مدارس العصر السلجوقي و طلاب العلم آنذاك **الشيخ أبي المظفر بن السمعاني** الذي يعتبر من بين أشهر العلماء المصنفين في تلك المرحلة فتنوعت تصانيفه أبرزها في **مجال الحديث:" منهاج أهل السنة ،الإنتصار و الرد على القدرية** " ، أما في **أصول الفقـه** فـأشهرها : " **مصنف القواطـع ، البرهـان ،و الأوسـاط** " [3] ، و مصنفـات **الشيـخ يحى بـن محمد بـن هبيـرة الشيبانـي** و مصنفه : " **العبادات في مذهب أحمد** "[4] ، و مصنفات **الشيخ علي بن محمد بن حبيب البصري** لعل أهمها :" **الحاوي ، الإقناع و أدب الدنيا و الدين** "[5] ، و مصنفات **أبو سعد المبارك بن علي المخرمي**[6] ، و غيرها من مصنفات علماء المدارس في العصر السلجوقي و التي عملت في جوهرها على النهوض بالعلوم الشرعية و العمل على عودة و ازدهار المذهب السني من خلال تلك المصنفات و وقفها على طلاب العلم و الإستفادة منها .

---

**= عزل بإين الصباغ ،و بعدها عاد للتدريس بها إلى أن توفي ببغداد سنة 478 هـ/1085م.**

**– السبكي : طبقات الشافعية ، ج 5،ص 107.106 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج3 ،ص 134.133 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج 18 ، ص 133 .**

**(1) السبكي : المصدر السابق ، ج 5، ص 107 .**

**(2) المصدر نفسه ، ج 4، ص 349 .**

**(3) المصدر نفسه ج 5، ص 342 .**

**(4) ابن العماد : شذرات الذهب ، مج 6، ص 319 .**

**(5) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج 2، ص 296 .**

**(6) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 19 ، ص 428 .**

## 3-2 مجالس المناظرة و دورها في ازدهار الحياة العلمية و الفكرية :

لقد عرف على مجالس الوزراء و السلاطين في العصر السلجوقي أنها ملتقى لأهل العلم و الفقهاء التي كانت تعقد فيها المجالس العلمية المختلفة ، و كان لها بالغ الأثر على الحياة العلمية و الفكرية في تلك الفترة ، و من بينها مجالس المناظرة ، و التي إشترط أن يكون المتناظرون فيها على قدر كبير من المعرفة و التمكّن في شتى العلوم .

و قد عرف على المشرق عموما و العراق خصوصا و تحديدا على العهد السلجوقي بروز علماء و فقهاء أجلّاء ، ازدهرت على عهدهم مجالس المناظرة حتى أضحت من بين أهم مظاهر التميز العلمي و الرقي الفكري في هذا العصر ، و من أشهر العلماء المناظرين :

**أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي** الذي كان يضرب به المثل في فصاحته و قوة مناظرته التي قلّما توفرت و اجتمعت في بني جنسه [1]، **أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني** [2] **أحمد بن منصور الضَبْعِي*** الذي جمع بين الوعظ و المناظرة [3] ، و الفقيه **أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن فَوْرَكْ** ** هو الآخر يعتبر من بين أشهر الفقهاء المناظرين بالمدرسة النظامية ببغداد [4].

---

**(1) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 18 ، ص 453 ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج 4، ص 216 .**

**(2) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 5،ص339 ؛ السبكي : طبقات الشافعية ،ج5 ،ص 165 .**

**(*) هو الفقيه أحمد بن منصور بن أبي الأفضل ، أبو الفضل الضبعي ، ولد حوالي سنة 370 هـ/979 م بمدينة سرخس ، قدم بغداد و تفقه على يد الإمام الشيخ ابي حامد الأسفرايني ، و كان الضبعي فقيها بارعا ، واعظا ، فصيحا ، و مناظرا ، كبير القدر ، توفي حوالي 450 هـ/1058 م .**

**– السبكي : طبقات الشافعية ، ج 4، ص 92.91 .**

**(3) المصدر نفسه ، ج 4، ص 91 .**

**(**) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن الفوركي المنحدر من مدينة سمرقند ،نزل مدينة بغداد و لازمها إلى حين وفاته ،كان شيخا واعظا بالمدرسة النظامية ببغداد ،عرف عنه حسن المعرفة بالكلام،و الوعظ و النظر درس الكلام عن أبي الحسين القزاز ، تزوج بإبنة الفقيه أب القاسم القشيري الوسطى توفي ببغداد سنة 478 هـ/1085 م.**

**– الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج 7، ص 243 .**

**(4) المصدر نفسه ، ج 7، ص 243 .**

و كذلك من بين أشهر العلماء الذين اختصوا في المناظرة ، و كان لهم الأثر البارز فيها الشيخ العالم **أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري**[1] ،و الفقيه العلّامة حجة الإسلام **أبو حامد الغزالي** الذي شهد له العام و الخاص في دقّة نظره و قوة حجته في المناظرة [2] ، و الإمام **أبو بكر الخجندي** [3]، و الشيخ **أبو عبد الله شافع بن عبد الرشيد الجيلي*** أحد كبار أئمة الشافعية كان يناظر بحلقة بجامع المنصور ببغداد [4] ، و **أبو حكيم إبراهيم بن دينار النَهْرَوَانِي**** و الذي يعتبر من بين أبرز الحنابلة مناظرة بعد أن برع في الفرائض و المذهب [5] ، بالإظافة إلى الإمام **أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي***** و الذي يعتبر من بين المشهود لهم من أئمة الشافعية بحسن

---

**(1) السبكي : طبقات الشافعية ،ج7، ص 232 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج3 ،ص287 .**

**(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج 19 ،ص323 ؛ السبكي : طبقات الشافعية ،ج6، ص 196؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 6، ص 20.**

**(3) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 5، ص 354 .**

**(*) أبو عبد الله شافع بن عبد الرشيد بن القاسم بن عبد الله الجيلي ، من أهل جيلان ، سكن بكرخ بغداد و يعتبر الجيلي من بين كبار و أشهر أئمة الشافعية ، قصد بغداد طلبا للعلم ، تفقه على يد الإمام أبي حامد الغزالي و إلكيا الهراسي ، و كانت له حلقة للمناظرة بجامع المنصور و كان يحضرها الفقهاء توفي سنة 541 هـ/1146 م .**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 20 ،ص 162.161 ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 18 ، ص 51 ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج 7، ص 101.**

**(4) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، ج 18، ص 51 ؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج 7، ص 101 .**

**(**) ابو حكيم ابراهيم بن دينار بن أحمد بن الحسين النهرواني ، فقيه حنبلي ، ولد سنة 480هـ/1087م سمع الحديث ، و برع في المذهب و الخلاف و الفرائض، كما أنه كان مناظرا ، توفي سنة 556 هـ/1160 م.**

**– ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 18 ، ص 150.149 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب مج 6، ص 295.294.**

**(5) ابن العماد : شذرات الذهب ، مج 6، ص 294.**

**(***) هو أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي الشافعي ، إرتحل في صباه إلى مدينة بغداد =**

المناظرة و المعرفة في الخلاف [1] ، و غيرهم من العلماء الذين ناظروا فكان ذلك بمثابة دفعة نحو المضي قدما بازدهار و تطور الحياة العلمية و الفكرية في العصر السلجوقي .

و من هنا يتضح لنا أن تلك العلاقة المميزة بين علماء العصر السلجوقي و سلاطينه و دورها في دعم المشروع العلمي لهم ، في العمل على تثبيت المذهب العام للخلافة (المذهب السني) لم تقتصر فقط على بناء المدارس و الوعظ و التدريس بها ، و دعم خزائن الكتب بالمصنفات و إنما لعبت المناظرات دورا بارزا في الرد على أهل البدع و الضلالات .

و يبدو جليا أن التدريس بالنظاميات أو مدارس العلماء ، قد فتح لهم المجال بالقيام بالمناظرات العلمية و التي عملت على التعمق أكثر في قضايا المجتمع ، و فضّ الخلافات التي و التعصب في المواقف بإيجاد حلول لها كمناظرات **الإمام أبي إسحاق الشيرازي ، و أبو عبد الله الدامغاني ، و أبي المعالي الجويني ، و الإمام أبي حامد الغزالي** ، و غيرهم من فقهاء و علماء .

*** نماذج عن أشهر المناظرات التي عقدت بين العلماء :**

من بين المناظرات التي عقت بين علماء المدارس التعليمية في العصر السلجوقي ، تلك المناظرة التي جرت ببغداد بين **الإمام الشيخ أبي إسحاق الشيرازي** و **الشيخ أبو عبد الله الدامغاني**، التي تمحور فيها النقاش حول موضوع متعلق بالجزية و جوازها من خلال التطرق إلى التسائل حول:"**هل تسقط الجِزْيَة عن الذِمِيّ عن الفترة التي سبقت إسلامه أم لا ؟** " ، و بعد أخذ و ورد بين الطرفين في هذه المسألة من خلال إستعراض كل شيخ لبرهانه أو حجته التي يستند إليها، انتهت المناظرة إلى **الأخذ برأي الإمام أبي إسحاق الشيرازي من خلال التأكيد على أن الجِزْيَة لا تسقط على الذِمِيّ عن الفترة التي سبقت إسلامه** [2].

---

**= و تفقه بها ، حتى أصبح من بين العارفين و البارعين في المذهب و الخلاف درس بنظامية بغداد و إنتهت إليه رئاسة الشافعية ، و كان حسن المناظرة ، توفي بخوزستان سنة 563 هـ/1167 م.**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج 20 ، ص 513.514؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ،ج 29 ،ص 99 .**

**(1) الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج 20 ، ص 514 .**

**(2) السبكي : طبقات الشافعية ، ج 4، ص 237–245 .**

كذلك المناظرة التي عقدت بين **إمام الحرمين أبي المعالي الجويني**، و بين **الشيخ أبي إسحاق الشيرازي** بمدينة نيسابور التي كان موضوعها متعلقا حول :" **جواز تزويج البِكْرُ بإذنها أو من دونه ؟**" و بعد أن استند كل مناظر إلى أدلته و براهينه الشرعية ، و تفصّل في شرح رأيه و إظهار موقفه من هذه المسألة الشرعية انتهت المناظرة إلى **ترجيح رأي الإمام أبي المعالي الجويني من خلال تأكيد عدم جواز تزويج البِكْرُ بغير إذنها** [1].

و من المناظرات التي عقدت بين **الإمامين أبي المعالي الجويني و أبي إسحاق الشيرازي**بنيسابور مسألة متعلقة حول:"**ما حكم من اجتهد في القبلة و صلى ثم تيقن الخطأ** ؟"،و بعد استعراض الأدلة الشرعية في هذا الموضوع و التفصيل فيها، أنتهت المناظرة إلى الأخذ **برأي الإمام أبي المعالي الجويني و ترجيحه و هو إلزام إعادة الصلاة على اعتبار يقين الخطأ شرطا من شروط الصلاة**[2].

من خلال عرضنا لأمثلة عن المناظرات التي دارت بين علماء العصر السلجوقي و دورها في نشاط الحركة العلمية و ازدهار الحياة الفكرية ، يتضح جليا لنا بأن أغلب تلك المناظرات دارت حول المسائل و المواضيع ذات الصلة بالأمور الفقهية و الشرعية ، و الهدف منها هو العمل على تبسيط تلك المسائل و إيجاد إيجازات و فتاوى لا تخرج على الشرع بغرض إيجاد حلول للقضايا المرتبطة بحياة المجتمع الإسلامي و تعمل أيضا على ترسيخ مبادئ الشريعة الإسلامية عموما و المذهب العام للخلافة خصوص (المذهب السني) ، و الوقوف في وجه جميع الآراء التي لا تمت بصلة للدين الإسلامي ، و العمل على محاربتها بآراء و اجتهادات العلماء و الفقهاء في تلك الفترة.

---

**(1) السبكي :طبقات الشافعية ، ج 5، ص 214–218 .**

**(2) المصدر نفسه، ج 5، ص209–214 .**

# الفصل الثالث

## مدارس التعليم في المشرق عهد الزنكيين و مميزاتها

*** المبحث الأول : السلطنة السلجوقية و دورها في ظهور الزنكيين و طبيعة العلاقة بينهما**

**1- واقع السلطنة السلجوقية و دورها في ظهور الزنكيين**

**2- عماد الدين و قيام الدولة الزنكية بالموصل**

**2-1 : ترجمة عن عماد الدين زنكي بن آقسنقر**

**2-2 : علاقة الزنكيين بالأمراء و السلاطين السلاجقة و دورها في نجاحهم السياسي بالمنطقة**

*** المبحث الثاني : العوامل المساعدة على نجاح المشروع العلمي للزنكيين**

**1- الإستقرار السياسي و عودة الأمن في عهد حكم الأسرة الزنكية**

**2- شخصية الحكام و انعكاسها على تطور و ازدهار الحياة العلمية و الفكرية**

**3- إحياء المذهب السني و نشره و التصدي للفكر الشيعي و حملات التنصير ببلاد الشام**

*** المبحث الثالث : المدارس و المراكز التعليمية بالمشرق و دور العلماء في إزدهارها و أهم مميزاتها في العهد الزنكي**

**1- أهم المدارس التعليمية في العهد الزنكي بالمشرق**

**2- أهم المراكز العلمية في العهد الزنكي**

**3- دور علماء العهد الزنكي في إزدهار المدارس التعلمية و الحياة الفكرية**

**4- مميزات المدارس التعليمية و المراكز العلمية في العهد الزنكي**

## المبحث الأول : السلطنة السلجوقية و دورها فيظهور الزنكيين و طبيعة العلاقة بينهما

### 1- واقع السلطنة السلجوقية و دورها في ظهور الزنكيين :

إن حقيقة قوة السلطنة السلجوقية أيام عزها و المظاهر الدالة عليها لا غبار عليها على الإطلاق ، على اعتبار ما حققته من توسعات و بناء حضاري في أغلب الأقاليم التي حكمها سلاطينها، بالإضافة إلى الاستقرار السياسي الذي عم ربوع الدولة الإسلامية على عهد هذه السلطنة التي أعادت الاعتبار للحكم أو للخلافة الإسلامية بعد أن كانت على حافة الزوال أيام تحكم الأمراء البويهيين في الخلفاء العباسيين ، خاصة عهد السلاطين السلاجقة العظام و نخص بالذكر هنا **السلطان مؤسس دولة السلاجقة طغرلبك و السلطان ألب أرسلان و إبنه السلطان ملكشاه** بالإظافة إلى الدور الكبير الذي لعبه الوزير القدير ذائع الصيت **نظام الملك الطوسي** في التنظير لأمور السلطنة داخليا و خارجيا لإثنين من سلاطينها العظام (**ألب أرسلان و إبنه ملكشاه**).

لم تتأثر السلطنة وبقيتمحافظة على قوتها و مكانتها و استقرارها عقب وفاة السلطان **ألب أرسلان** سنة **465** هـ/**1072**م ، على اعتبار أنه عندما عهد بإدارة السلطنة إلى ابنه **ملكشاه و وزيره المحنك نظام الملك الطوسي** عملا على الحفاظ على ما وصلت إليه سلطنة أبيه و استكمال مشروع دولتهم في المنطقة ، وضّل الوضع مستقرا على هذه الحالة إلى غاية سنة **485** هـ /**1092**م ،أين شهدت هذه السنة تطورات سياسية عجّلت ببداية تفكك بيت السلاجقة و الدخول في دوامة الصراع على الملك بغياب الوزير القدير **نظام الملك** و تبعه السلطان **ملكشاه**[1].

إن غياب السلطان **ملكشاه و وزيره نظام الملك**، قد خلّفت في الحقيقة أزمة سياسية كان لها أثرها على العالم الإسلامي عامة، و الدولة السلجوقية خاصة ، من خلال كونها جزّأت وحدة و تماسك السلاجقة ، و أصبحوا ثلاثة قوى سياسية تتناحر و تتصارع فيما بينها على الإنفراد بكرسي الزعامة ممثلة في :" **قوة سلاجقة الشام**[2]، و **قوة السلاجقة**

---

**(1) ابن الجوزي ،المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ، ص 299-301 .**

**(2) و هي بلاد عتيدة بتاريخها العريق ، يحدها من الغرب بحر الروم ، و من الشرق البادية من أيلة إلى الفرات ثم من الفرات إلى حد الروم ، ومن الشمال بلاد الروم ، و من الجنوب مصر و تيه بني إسرائيل. – ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 153 و ما بعدها .**

**في آسيا الصغرى[1]،قوة سلاجقة فارس[2]، و العراق[3]** ، عكست بوضوح صراع أبناء البيت السلجوقي حول الزعامة السياسية ، مزعزعين بذلك وحدة السلطنة و بنائها المتين على عهد السلاطين العظام [4].

إن ما يهمنا في تلك التطورات التي حدثت بعد تفكك البيت السلجوقي هو تلك الشخصية البارزة و النافذة التي ظهرت في خضم تلك الأحداث ممهدة الطريق أمام نجاح الزنكيين في تأسيس إمـارتهم و نقصد شخصية **أبو الفتح آقْسَنْقرْ قسيم الدولة * مولى السلطان ملكشـاه السلجوقـي**

---

**(1) و هي البلاد التي أطلق عليه المسلمون بلاد الروم في العصور الإسلامية الأولى ، و بها عرفوا البحر المتوسط أي البحر الرومي ، مستندين في ذلك إلى بلاد الروم " آسيا الصغرى " و منها أصبحت الروم إسما دالا أو مرتبطا بآسيا الصغرى تلك البلاد العظيمة التي إنتقلت إلى الدولة الإسلامية في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي بسيطرة السلاجقة عليها .**

**– كي لسترنج : بلدان الخلافة الإسلامية ، ص 159 .**

**(2) فارس و هي إقليم واسع و فسيح إختلفت الروايات حول أصل تسميتها ، وهي على جوار بكل من العراق و ساحل بحر الهند ، و مكران و سند مكران ، و هي من بين أشهر الأقليم و المدن بعد بغداد .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج 4، ص 226 و ما بعدها .**

**(3) العراق من بين أشهر و أعظم الأقاليم منزلة ، كما أنها على قدر كبير من الأهمية على إعتبار كونها معقل لأحد أهم الأسر الحاكمة في الدولة الإسلامية و نخص بالذكر بني العباس ، عرف عن العراق الأوصاف الجميلة منها أنها من بين أكبر الأقاليم دخلا و جباية ، و أهلها أهل حسن و علم و حرف .**

**– ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 110 و ما بعدها .**

**(4) عماد الدين الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص 81 .**

**(*) هو أبو الفتح أقسنقر ، الملقب بقسيم الدولة ، من بين أهم و أشهر أعيان السلطان ملكشاه السلجوقي ، و أقرب المقربين إليه ، جمعته صلة قوية به ، و بعد سيطرة السلاجقة بقيادة ملكشاه على بلاد الشام ، عينه السلطان واليا على مدينة حلب سنة 480 هـ/1087 م ، و بقي بها و عمل على إصلاح أحوالها الداخلية ، و تقوية جبتها الخارجية في وجه المتربصين بإمارته ، بلغت و لايته على حلب حوالي سبع سنوات ، إلى غاية صراعه مع تتش الذي أسر آقسنقر و قتله في سنة 487 هـ/1094م أين دفن بالمدرسة الزجاجية بحلب .**

**– ابن العماد : شذرات الذهب ، مج 5، ص 372 .**

الذي عينه على **حلب** * بعد تسلمها من دون مقاومة سنة **479** هـ/**1087**م بإيعاز من **الوزير نظام الملك الطوسي** على أن يكون **قسيم الدولة آقسنقر** حاكما بإسم **السلطان ملكشاه** على جميع الأقاليم المجاورة لمدينة **حلب** [1] .

عمل **آقسنقر** على بسط نفوذه على الأقاليم التي عينه عليها **ملكشاه،** من خلال العمل على إقامة إصلاحات اقتصادية في إطار سياسته الداخلية كان لها بالغ الأثر في ازدهار الحياة العامة لمدينة **حلب** و ما جاورها من أقاليم [2] ، و قد ذكر المؤرخ **ابن الأثير** حال الأقاليم زمن **آقسنقر** و ما عرفته من رخـاء و أمـن و ازدهارفقال :" **كـان قسيـم الدولة أحسـن الأمراء سياسة لرعيته و حفظا لهم ،و كانت بلاده بين عدل عام ، و رخص شامل ، و أمن واسع** "[3].

أما على الصعيد الخارجي و بعد أن تأكد **آقسنقر** من القوة الداخلية التي تتمتع بها أقاليمه على تقوية الجبهة الخارجية لها و ذلك من أجل الوقوف في وجه الطامعين من أعدائه ، معتمدا في هذا الأمر على القوة العسكرية من جيوش السلطنة السلجوقية التي خلفها **السلطان ملكشاه** في **حلب** و التي ناهزت أربعة آلاف مقاتل ، و زادت على عهده لتصل إلى ما يقارب ستة آلاف مقاتل عمل على تنظيمها و تقويتها للتصدّي في وجه أي خطر مهدد لإمارته بالمنطقة [4].

لقد اعتمد **آقسنقر** في سبيل تحقيق أهدافه على الصعيدين الداخلي و الخارجي على نظرة شخصية و نظام محدد حاكى فيه نظم **بلاط السلاجقة،** على اعتبار أنـه نشـأ في بلاط السلاطين

---

**(*) من بين أعظم مدن إقليم بلاد الشام ، تتميز عن غيرها من مدن الشام بكثرة الخيرات و المحاصيل المتنوعة ، كما عرف عن أهلها أنهم أهل علم و حشمة ، و على قدر كبير من الإحترام ، و إرتبط إسمها بالجهاد و الصمود في وجه الحملات الصليبية على العالم الإسلامي و بلاد الشام .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج 2، ص 282 و ما بعدها .**

**(1) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة 1382هـ/1963 م ، ص 8.7؛ محمد سهيل طقوش : تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، دار النفائس بيروت ،ط 2،1430 هـ/2009 م ، ص 144 .**

**(2) محمد سهيل طقوش : المرجع نفسه ، 147.146 .**

**(3) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، المصدر نفسه ، ص 15 .**

**(4) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص 149.148 .**

و نشأ في بيئة ساعدته إلى حد كبير في وضع نظم و نظريات أدّت إلى نجاح سياسته الداخلية والخارجية بالمنطقة التي حكمها [1].

بقي **قسيم الدولة آقسنقر** على سياسته الرامية إلى تحسين الأوضاع الداخلية و الخارجية **بحلب** و الأقاليم التي حكمها إلى غاية مقتله على يد **تاج الدولة تُتُشْ*** الذي أقدم على تجهيز حملة عسكرية عمد من ورائها إلى إخضاع باقي أقاليم **بلاد الشام** التي تحت يد **آقسنقر** و الأمراء الموالين له ليكون سيدا عليها إلى جانب **دمشق**** معقل إمارته و الإنفراد بها معلنا انفصاله عن باقي الإمارات السلجوقية المجاورة له [2].

ليبدأ فصل جديد في واقع الخارطة السياسية بالمنطقة بطله مؤسس **الإمارة الزنكية** سليل **قسيم الدولة آقسنقر**، و الذي سنعمد بعدم الإطالة في ذكر تطورات **الدولة الزنكية** على عهده ، بل ذكر لظروف ظهوره و تسيده على **الموصل** و **حلب** ثم المرور مباشرة إلى الحديث عن عوامل بعث الحياة العلمية و قيامها في عهد هذه الأسرة و أهم المراكز العلمية و مميزاتها ، و التي هي أساس الحديث في هذا الفصل عن عهد حكم **أسرة الزنكيين** بالمنطقة .

---

**(1) محمد سهيل طقوش : تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، ص 148 .**

**(*) هو الملك تتش بن ألب أرسلان بن داوود بن ميكائيل السلجوقي ، أخ السلطان ملكشاه ، الملقب بتاج الدولة ، حكم دمشق و ما جاورها من أقاليم ، ليكون من بين أهم و أشهر ملوك تلك الفترة في تاريخ الدولة السلجوقية ، عرف عنه الصفات الحميدة من شجاعة و حزم ، شهدت فترته فتوحات عديدة تملك من ورائها أقليم ذات أهمية ساعدته على تثبيت ملكه في المنطقة ، و كان تتش محبا لأهل و مجالسهم و دلالات ذلك مغالاته في حب الشيخ أو الفرج الحنبلي ، قتل بالري سنة 488هـ/1095م.**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج19 ،ص 83–85 ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ،ج2، ص 375.**

**(**) دمشق المدينة المشهورة في بلاد الشام على الإطلاق ، إشتهرت كذلك بوصفها على جنة الشام لعل مرد ذلك كونها جميلة المنظر حسن البناء و العمران ، كثيرة الخيرات حتى قال فيها الحموي " أنها جنة الأرض " ، و سميت بدمشق لأن أهلها أسرعوا في تشييدها أي " دمشقوا في بنائها " .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج 2 ، ص 463 و ما بعدها .**

**(2) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص 15 .**

## 2- عماد الدين و قيام الدولة الزنكية بالموصل :

### 2-1: ترجمة عن عماد الدين زنكي بن آقسنقر :

هو **الأَتَابِكْ*** **عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آقسنقر بن عبد الله التركي مملوك السلطان ملكشاه السلجوقي**[1] ، عند وفاة والده طالب **قوام الدولة كَرْبُوقَا** ** من مماليك **آقسنقر** بأن يعطوه **عماد الدين** للتكفل بتربيته فقاموا بتلبية طلبه [2].

ورث **عماد الدين زنكي** عن أبيه **آقسنقر** صفات جليلة دالة على علو مكانته كالشجاعة و الهيبة ما مكناه من التقدم نحو تحقيق أهدافه في المنطقة [3] ، و دلالة ذلك أنه نصّب من طرف **السلطان محمود بن ملكشاه** زمام الأمور **بشُحْنُكِيَةِ بغداد** *** و فوّضه عليها [4] ، لتكون بداية مثالية نحو تحقيق أهدافه .

---

**(*) تحدث ابن خلكان عن معنى هذه الكلمة فقال أن الأتا بالتركية معناها الأب ، و بك معناها الأمير و عند اللفظين أي : أتابك فالقصد منها مربي الأمير ، أو الذي يربي أولاد الملوك ، و لقب عماد الدين بالأتابك بعدما أوكل السلطان محمود مهمة تربية ولديه ألب أرسلان و فروخ شاه الملقب بالخفاجي .**

**- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 1، ص 365 .**

**(1) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 20 ، ص 189 .**

**(**) قوام الدولة كربوقا أحد أهم قادة السلاجقة ، كان حليفا لقسيم الدولة آقسنقر في صراعه ضد تتش صاحب دمشق أسر بعد وفاة آقسنقر ، تخلص من أسر إثر وفاة تتش سنة 488 هـ/1095 م بعد أن أطلق سراحه رضوان بن تتش من سجن مدينة حمص ،ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص 16.15 .**

**توفي كربوقا في سنة 495 هـ/ 1101 م بنواحي مدينة خوي بأذربيجان بعد أن فتحها و تملك أقاليم عديدة بها بأمر من بكرياروق .**

**- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مج 9، ص 54 .**

**(2) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص 16 ، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج 1، ص 103.**

**(3) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 20 ، ص 190 .**

**(***) و يقصد بها رئاسة أو إدارة الشحنة ، و الشحنة هم من فيهم الكفاية لضبط البلد و إدارتها من طرف السلطان أي مفوضون عنه و في يدهم جميع الصلاحيات .**

**- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، المصدر السابق ،ج 20 ، حاشية رقم (3)، ص 189 .**

**(4) المصدر نفسه ، ص 190.189 .**

لـفت **عماد الدين زنكي** الإنتباه و أظهر شجاعة كبيرة في مواجهة القوى الصليبية **ببلاد الشام** خاصة عندما استطاع تحقيق انتصارات ذات أهمية قصوى حيث إسترجاع إمارة **الرُهَا** * و باقي الأقاليم المحيطة بها ، و قاموا بالخطبة له بتلك المناطق ، لتكون بمثابة خطوة هامة نحو قيادته للدولة الزنكية [1].

كانت **لعماد الدين زنكي** علاقات قوية مع الأمراء و السلاطين السلاجقة ، و ذلك لمكانة والده لديهم على اعتبار أنه كان من بين من عملوا على مساعدتهم في حروبهم ضد أعدائهم في كل من **الموصل** و **بلاد الشام**، و هو ما دفع **بعماد الدين زنكي** للعمل من أجل كسب ثقة سلاطين السلاجقة له ، و نهج سياسة أبيه كولائه **لكربوقا** ، **آقْسَنْقَرْ البُرْسُقِي** ** ، بالإظافة إلى موقفه الداعم لسلطان السلاجقة بعد خروج حاكم الموصل **جَاوْلِي سَقَاوْ** *** الذي نفر منه **عماد الدين**

---

**(1) الذهبي: سير الأعلام ،ج20 ،190. عن حدود الدولة الزنكية ،أنظر الملحق 3من المذكرة،ص147.**

**(*) الرها مدينة عريقة تقع تحديدا بين الموصل أعالي الفرات و بلاد الشام ، بنيت بحسب ما أورده الحموي بعد السنة السادسة من موت الإسكندر من طرف الملك سلوقس .**

**– ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج 3، ص106.107 .**

**(**) هو أبو سعيد أقسنقر البرسقي الغازي ، الملقب بقسيم الدولة سيف الدين ، أحد كبار رجالات السلاجقة ذات شهرة كبيرة ، كان رجلا صالحا ، حكم الموصل و النواحي المحيطة بها ، عرف عنه صفات حميدة فكان مقيما للعدل ، و على قدر كبير من حسن الأخلاق ، كان يوصي بالعدل ، قتل سنة 520 هـ/ 1126 م على يد الباطنية بمقسورة بجامع الموصل .**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ، المصدر السابق،ج19 ، ص 510–512 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ج 1، ص 243.242 .**

**(***) جاولي سقاو أحد أهم قادة السلاجقة الأتراك ،سيطر على أقاليم كبيرة ببلاد فارس ، حيث عمل على تشييد الكثير من الحصون و القلاع ،كان لإندفاعه هذا صدى لدى السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي فأقطعه الموصل و ما جاورها من أقاليم بعد أن قضى على جكرمش سنة 500 هـ/1106م ، و كانت له مواجهات قوية مع الصليبيين سمحت للسلاجقة بأن يحققوا السبق في الكثير منها ، لكن في سنة 502 هـ/1108 م انتهت ولاية جاولي بتولي مودود أمر الموصل ، توفي جاولي سنة 510 هـ/1116م.**

**– ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 9، ص 162–165 ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج 2 ص 222.221 .**

**زنكي** بعد أن أقدم هذا الأخير على الخروج عن السلطان السلجوقي [1].

و عندما ولي **عماد الدين زنكي** على الموصل سنة **521**هـ/**1127**م بعد وفاة **آقسنقر البرسقي** إعتبرت بمثابة بداية فعلية لاستقلاله بهذا الإقليم ، و العمل على التوسع في الأقاليم المجاورة ، معتمدا في ذلك على بقائه تابعا للسلاجقة و العمل تحت إمرتهم و الولاء لهم [2].

واصل **عماد الدين** سياسته التي كانت تعتمد على التوسع و ضمّ الأقاليم المجاورة **للموصل** فبعد أن توسع و وصل إلى مشارف مدينة **حلب** التي استضعفت من طرف الصليبيين، ناشد أهلها **عماد الدين،** فلبى استغاثتهم و استقبل كالملوك سنة **522**هـ/**1128**م ، و بدخوله **حلب** نستطيع القول بأن **عماد الدين**كان بعد ذلك بمثابة حاجز صد منيع في وجه هجومات الصليبيين في المنطقة آنذاك [3].

توفي **الملك الشهيد عماد الدين زنكي** مقتولا لما أقدم على حصار **قلعة جُعْبُرْ*** و إخضاع ملكها و ذلك سنة **541**هـ/ **1146**م [4].

إن ذكر حوادث و تقصي أخبار **الملك الشهيد عماد الدين زنكي** يطول و ذلك دليل على تركه لبصمة متميزة في تاريخ المنطقة ( **الموصل** و **بلاد الشام**) ، بالإظافة إلى أننا ذكرنا بإيجاز مسار ظهور الزنكيين وسيطرتهم على الأقاليم التي حكموها وحصرناها في شخصيتي **قسيم الدولة آقسنقر** و سليله **عماد الدين زنكي** ليأتي الحديث فيما بعـــد عن ابنيه اللذين تزّعما على **الموصل** و **حلب**

---

**(1) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص 17.16 ؛ محمد سهيل طقوش : تاريخ الزنكيين في الموصل و بلاد الشام ، ص 83-85 .**

**(2) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مج 9، ص 242-244 ؛ ابن الأثير : التاريخ الباهر ،ص 32.**

**(3)ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مج 19 ، ص 190 ؛ ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص 38.37.**

**- أنظر تفاصيل ولاية عماد الدين للموصل و إخضاعه للأقاليم المجاورة في / ابن الأثير : التاريخ الباهر ص 32-42 ؛ و ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مج 09 ، ص 242-244 و 246 و 251 و 254 و ما بعدها ؛ أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج 1، ص 115-118 .**

**(*) تقع قلعة جعبر في بر الجزيرة الفراتية بالقرب من مدينة صفين ، عرفت في بادئ الأمر بدوسر و لما تملكها أحد رجال بني نمير يقال له جعبر بن مالك شاعت تسميتها عليه .**

**- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 4، ص 390.**

**(4) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، مج 20 ، ص 191 .**

**و نخص بالذكـر " سيف الدين غازي** و **نور الدين محمـود**"، اللذين عمـلا على بعث **الدولة الزنكية** و ازدهار الحياة في شتى مجالاتها ، و لعل جانب الحياة العلمية و الأوقاف الذي هو أساس دراستنا في هذا العهد و المخصص لخدمة هذا الغرض ( دعم الحياة العلمية ) ممثلة في المدارس التعليمية من دلالات ازدهار **الدولة الزنكية** في تلك المرحلة .

**2-2 : علاقة الزنكيين بالأمراء و السلاطين السلاجقة و دورها في نجاحهم السياسي بالمنطقة:**

لقد كان وراء ذلك النجاح السياسي الذي حققه **الأتابكة الزنكيين** في **الموصل** و **بلاد الشام** عوامل سمحت لهم بالمضي قدما في تجسيد أهدافهم في المنطقة .

لعل واقع علاقاتهم **بالسلاطين السلاجقة** كان عاملا رئيسا في تحقيق هذا النجاح و التي كان قوامها الإحترام المتبادل و المصلحة العامة **للسلطنة السلجوقية** و التي لم يتأخر **الأتابكة الزنكيون** في العمل على دعمهم لاستقرارها و مواجهة جميع الأخطار المحدقة بها آنذاك .

و من دلالات هذا التعاون المشترك و ذلك الإحترام المتبادل بين الطرفين تلك المكانة الرفيعة التي حظي بها **الزنكيون** في بلاط **السلاجقة** ، بحيث تلقب **الزنكيون** بألقاب قلما منحها **السلاجقة** لمعاونيهم و هي دليل على صمعتهم و التصاقهم المباشر بالسلاطين **كقسيم الدولة آقسنقر** الذي عرف عنه ملازمة السلطان **ملكشاه** و مرد ذلك إلى حقيقة مفادها أن الرجلان تربيا و ترعرعا سويا بل تعداه إلى الإعتماد عليه في مهامه و مشورته في شؤون السلطنة بعد وفاة والده **ألب أرسلان**، كما كان يتقيه و يحترمه **كالوزير القدير نظام الملك الطوسي**[1].

كما أن دلالة لقب **أبو سعيد أقسنقر"بقسيم الدولة"** و معناه "**الرجل الشريك**" و هو لقب لم يطلق من قبل على الأمراء و المعاونين لسلاطين السلاجقة ما يؤكد على ما كان يحظى به **أقسنقر** من احترام و ثقة و مكانة رفيعة في بلاط السلاجقة ، و بنيله لهذا اللقب قام **ملكشاه** باتخاذ مكان له على يمينه في سدة السلطنة و لا يجرؤ على التقرب إليه أي أحد [2].

و من الدلالات أيضا التي تأكد حسن علاقة **السلاجقة بالأتابكة الزنكيين** ، و دعمهم

---

**(1) ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص 4 .**

**(2) المصدر نفسه ، ص 4 .**

للسلاطين و العمل على دعم حكمهم ، فعندما أدرك **عماد الدين زنكي** بأن **جاولي سقاو** كان ينوي الخروج عن السلطان لما كان حاكما على **الموصل** ، فأعلن مباشرة عن دعمه للسلطان و تأكيده للولاء له و الإرتباط الوثيق للزنكيين بالسلاطين و الأمراء السلاجقة ، ليظهر جليا بأن **عماد الدين زنكي** سار على نهج أبيه في موقفه من **السلطنة السلجوقية** [1] .

و يعتبر ولاء الزنكيين للأمراء السلاجقة و التفاني في خدمتهم و الذود عن الأخطار التي كانت تحدق بهم من بين العوامل التي ساعدت على تطور و ارتقاء العلاقة التي جمعت بين الطرفين فكان ذلك بمثابة الدفعة المعنوية **لعماد الدين زنكي** في تجسيد أفكاره و نزعته الإستقلالية عن الإدارة السلجوقية ، بتوليه حكم الموصل سنة **521**هـ/ **1127**م [2] ، معلنا بداية عهد الدولة الزنكية بالموصل و بلاد الشام .

كما استطاع **عماد الدين زنكي** أن يثبت دعمه و ارتباطه **بالأمراء و السلاطين السلاجقة** و ذلك عندما عمل تحت إمرة **أقسنقر البرسقي** ، إستطاع سنة **517**هـ/**1123**م إخماد ثورات الأعراب **بالبصرة** بعد أن أقطعها له **البرسقي** ، ليؤكد جدارته الإدارية و دعمه القوي **للسلاجقة** [3].

لم تخلوا العلاقة بين **الأتابكة الزنكيين** و **الأمراء** و **السلاطين السلاجقة** من فترات التوتر في العلاقة و مرد ذلك هو التدخل لمحاولة زعزعة ذلك الود و التواصل و الإرتباط الحاصل بين الطرفين و الدلالات على ذلك كثيرة لعل أشهرها على الإطلاق ، ما قام به **الوزير نظام الملك الطوسي** عندما أحس بقوة ارتباط **قسيم الدولة آقسنقر** و **السلطان ملكشاه**، فقام و أشار على **ملكشاه** بتولية **آقسنقر** على حلب لأهميتها و الخطر الصليبي المحدق بها، فكان له ذلك، و لعل إدراك **ملكشاه** لحنكة و قوة و شجاعة **قسيم الدولة** من شأنها أن تمكّنه من إدارة شؤون **حلب** بالطريقة الصحيحة [4] ، بينما الهدف الرئيسي **لنظام الملك** هو إبعاد **قسيم الدولة** عن بلاط **السلطان ملكشاه** لإدراكه ضرورة كسب ودّ وثقة الطرفين فمن جهة يبقى **نظام الملك** أقرب من ملكشاه

---

**(1) ) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص 17.16 ؛ محمد سهيل طقوش : تاريخ الزنكيين في الموصل و بلاد الشام ، ص 83–85 .**

**(2) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، المصدر السابق ، ص 32–34 .**

**(3) المصدر نفسه ، ص 25– 27 ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،مج 9، ص 219–221.**

**(4) ابن الأثير : التاريخ الباهر، المصدر السابق ، ص 4.**

و سيدا لبلاطه كونه أقرب المقربين دون منازع ، و من جهة أخرى كسب رهان على تبادل الثقة مع **آقسنقر** و إبعاده عن بلاط السلطان بإشرافه على ولاية غاية في الأهمية تمكنه من الإرتقاء لتحقيق طموحات أكبر [1].

إن الملاحظ على هذه العلاقة المميزة بين **الزنكيين و السلاجقة** ، ندرك من خلالها بأنها ساهمت و بقدر كبير في بروز **دولة الزنكيين** و سيطرتها على **الموصل و أجزاء من بلاد الشام** دون أن تتأثر ، على إعتبار أن **دولة السلاجقة** كما سبق و أشرنا إليه من قبل ، و بعد وفاة السلطان **ملكشاه السلجوقي** شهدت تحولاً في واقعها السياسي بدخول أبناء **البيت السلجوقي** في صراع دامٍ حول الزعامة السياسية للسلطنة من جهة ، يضاف له خطر الحركات المناوئة **كالباطنية** التي عادت للظهور من جديد بوفاة **الوزير نظام الملك الطوسي و السلطان ملكشاه** من جهة أخرى ، بالإضافة إلى المدّ الصليبي الذي أوجد جبهة جديدة في الصراع السياسي الخارجي **للسلطنة السلجوقية** ضد قوى الجوار فلم يعارض **السلاجقة** هذا الإستقلال الذي قام به **الزنكيون** بقدر ما كان ربما بمثابة حلٍ في صدّ الهجمات الصليبية على أقاليم الدولة الإسلامية آنذاك ، و هو ما سمح **للزنكيين** بالمضي قدما في الوقوف كحاجزٍ و سدٍّ منيعٍ في وجه هذا التوسع الصليبي ، و بعث **الإستقرار و الأمن في أرجاء الأقاليم التي حكموها في تلك المرحلة و التي كانت من بين أهم العوامل التي ساعدت على ظهور و نجاح المشروع العلمي لهم الذي هو محور البحث في العنصر الموالي من هذا الفصل.**

---

(1) **محمد سهيل طقوش : تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، ص43.44** .

## المبحث الثاني : العوامل المساعدة على نجاح المشروع العلمي للزنكيين:

لقد ساهم حكام الدولة الزنكية بقدر كبير في عودة الإستقرار و الأمن في أغلب المناطق التي حكموها بفضل جهودهم المبذولة في سبيل القضاء على أعداء السلطنة السلجوقية و الخلافة الإسلامية آنذاك ، ما مكنهم من وضع حد للخطر الخارجي الذي كان يهدد مناطق نفوذهم فعملوا بعدها على بعث إصلاحات مست جميع مجالات الحياة ، بغرض تحقيق توازن على الصعيدين الداخلي و الخارجي يمكنهم من فرض الإستقرار و الأمن السياسي و الرخاء و الإزدهار الإقتصادي اللذين يعتبران من بين أهم العوامل المساعدة على إستمرارية حكمهم بالمنطقة و لعل الحياة العلمية و إزدهارها على العهد الزنكي كان لها نصيب في مشروع دولتهم و يرجع ذلك إلى تظافر مجموعة من العوامل لعل أهمها نذكر :

### 1–الإستقرار السياسي و عودة الأمن في عهد حكم الأسرة الزنكية :

يعتبر عامل الأمن و الإستقرار السياسي أحد أهم المقومات التي تعود بالإيجاب نحو نمو الدول و تطورها و رفاهيتها ، و قد ساعد هذا العامل الدولة الزنكية في المضي قدما لتحقيق أهدافها في شتى مجالات الحياة و لعل أبرزها المجال العلمي الذي أولوا له عناية خاصة .

لقد ساهمت السياسة المنتهجة من طرف الأمراء و الحكام الزنكيين في الأقاليم التي حكموها على إنتشار الأمن و الإستقرار ، و عملهم على الإشراف على جميع الإصلاحات التي عملوا على إقامتها ، و التي كانت نتائجها جلية بإنتشار العدل و الإنصاف و إزدهار الحياة الإقتصادية بدءا بعهد **قسيم الدولة أقسنقر** و من ذلك ما ذكره **ابن العماد** بقوله : " **فأحسن السياسة و ضبط الأمور و تتبع المفسدين ، حتى صار دخله كل يوم ألفا و خمسمائة دينار** "[1].

و قد سلك الحكام و الأمراء الزنكيون نفس النهج و واصلوا مسار الإصلاح و إرساء العدل و الأمن و الإستقرار بالدولة ، و الدلالة على ذلك أن **عماد الدين زنكي** عند توليته على حلب أول ما قام به هو العمل على عودة الأمن و الإستقرار لها و ترتيب أمورها و النهوض بجميع مجالاتها [2].

---

**(1)ابن العماد : شذرات الذهب ، مج 5، ص 372 .**

**(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 20 ، ص 190.**

إن سمات العهد الزنكي و مميزات دولتهم بالموصل و بعض من أقاليم بلاد الشام التي حكموها تعد عاملا أساسيا و مهما في نجاح مشروع دولتهم و لعل أبرز شخصية سمحت بوصول دولة الزنكيين إلى أعلى مستوى تقدم و تطور حضاري بفضل الحفاظ على المبدأ و السياسة العامة للحكام الرامية إلى تعزيز الأمن و الاستقرار ، و الازدهار تحديدا الحياة العلمية و الفكرية و دورها في بعث نفس جديد للدولة الإسلامية و ما كانت تواجهه من خطر داخلي متمثل في الفكر الشيعي و أثره السلبي على المذهب العام للخلافة ، و الخطر الخارجي المتمثل في الحملات الصليبية على أقاليم الدولة الإسلامية ببلاد الشام و الفكر التنصيري المصاحب لها ، شخصية **نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي*** ، الذي بلغت فيه الدولة الزنكية أوج عطائها ، و لعل تحرّيه لإقامة العدل و تحقيقه بفضل عمله على إقامة دور القضاء ، و نظره شخصيا في المظالم ، كان له الأثر البارز في التفاف الرعية حوله و دعمهم لمشروعه حتى لقب في تلك الفترة **بالملك العادل** [1].

---

**(*) هو أبو القاسم نور الدين محمود بن الأتابك قسيم الدولة أبي سعيد زنكي بن الأمير آقسنقر ، ولد سنة 511هـ/1117 م ، المشهور بلقب الملك العادل ، و بعد وفاة والده ولي نور الدين على حلب و أخاه سيف الدين غازي على الموصل ، عمل نور الدين حمل راية الجهاد و العدل ، طيلة فترة حكمه التي قاربت عشرين سنة ، و عرف عهده بفتوحات عديدة بأقاليم بلاد الشام ، و لعل السمة الأبرز إلى جانب ما حققه من نجاحات سياسية الإزدهار الكبير للحياة العلمية و الفكرية حيث عمل على بناء المدارس ، المساجد ، الربط ، الخوانق ، و المارستانات بحلب ، حمص دمشق و بعلبك و العديد من المناطق التي فتحها ، حتى عرف عهده بعهد الأوقاف ، سار نور الدين محمود على نهج سابقيه من حكام الدولة الزنكية فبادر لإستكمال مشروع إقامة دولة أساسها العدل و المساواة و إقامة الشرع فبنى دور العدل و أنصف الرعية بجميع الأقاليم التي وقعت تحت حكمه ، كما يحسب له إقامة حكم الخلافة الإسلامية العباسية بمصر بعد قضاءه على الحكم الفاطمي الرافضي بمساعدة نائبه أسد الدين شيركوه الذي ولاه عليها ثم من بعده صلاح الدين الأيوبي ، توفي و دفن بدمشق سنة 569 هـ/1174م . – الذهبي: سير الأعلام ،ج20،ص531–539؛ ابن العماد: شذرات الذهب،مج6،ص378–382؛ بن أبي الوفاء : الجواهر المضية ،ج 3، ص 439.440 ؛ ابن الأثير: التاريخ الباهر،ص ،163– 166.**

**(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء،المصدر السابق ،ج20،ص532؛ ابي شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ،ج1، ص 44–47.**

و لم يتوانى **نور الدين محمود** في الدفاع عن بعضمدن بلاد الشـــام ، فـاستجـاب لأهـالي **دمشـق** و دافع عنها ضد التواجد الصليبي بهـا و عمـل على إحلال النظـام و إقامة العدل ،و هـو مـا يؤكـد على حرصـه الشديد على إستتباب أمن البلاد و إستقرارها [1].

و لعل أسباب نجاح **نور الدين محمود** في سياسته الأمنية و فرضه للإستقرار هو شخصيته القوية ،و صفاته الحميدة، و حرصه على تحقيق الوحدة التي عمل على تجسيدها إلى حين وفاته [2].

لقد ساهم هذا الإستقرار السياسي و انتشار الأمن في ربوع الدولة الزنكية في تطور الحياة العلمية و ازدهار العلوم و دور طلب العلم في العهد الزنكي و دلالة ذلك أن عهد **نور الدين محمود زنكي** يعتبر من بين أبرز فترات الحكـام تشييـدا للأوقاف بمختلـف أنواعهـا كالمساجـد و المـدارس و الربط و الخوانق و الخانات و حتى المارستانات ، عبر جميع الأقاليم التي تملّكها ، و التي عملت أساسا على دعم المشروع العلمي **لنور الدين محمود** و من خلفه من الحكام الزنكيين [3]، و لعل التميز الـذي حصل نتيجة لانتشار هذه الأوقاف هو بـروز نخبة مـن رواد و أعلام الحركـة العلميـة و الفكرية في شتى أنواع العلوم الذين عملوا على مواجهة الخطر الذي كان يهدد الدولة الزنكية عموما و الخلافة الإسلامية على وجه الخصوص ، و نقصد هنا خطر الفكر التنصيريالمصاحب للحملات الصليبية على الدولة الإسلامية من جهة ، و من جهة أخرى الخطر الشيعي الباطني على المذهب العام للخلافة على اعتبار أن **نور الدين محمود زنكي** كان على مذهب أبي حنيفة لكنه عني عنايـة خاصـة بالمذهب المالكـي و الشافعي لمـا رآه مـن ضرورة في توحيـد صف المذاهب السنـية و عملها على مواجهة هذه الأخطار [4] .

و من خلال ما تقدم يتبين لنا مدى أهمية هذا العامل و دوره في نجاح الزنكيين في تحقيق أهدافهم و طموحاتهم في المنطقة ، و لعل تطور الحياة العلمية و الفكرية و ازدهارها بفضل هذا العامل لدليل على تأثيره الإيجابي في مشروع دولتهم بالموصل و بلاد الشام .

---

**(1) نعمان قساطلي : الروضة الغناء في تاريخ دمشق الفيحاء ، دار الرائد العربي بيروت ، ط 1 ،1299 هـ/1879 م ، ص 48 .**

**(2) عماد الدين الأصفهاني : سنى البرق الشامي ، ص 32 .**

**(3) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 20 ، ص 532 ؛ الصفدي : مرآة الجنان ، ج 3، ص 291.**

**(4) محي الدين بن محمد بن أبي الوفاء: الجواهر المضية ، ج 3،ص 440 .**

**2- شخصية الحكام و انعكاسها على تطور و ازدهار الحياة العلمية و الفكرية :**

يعتبر هذا العامل من بين أهم أسباب نجاح المجال العلمي و الفكري للدولة الزنكية في تلك المرحلة ، و ذلك راجع إلى طبيعة الحكام الزنكيين الذين عملوا على نفس سياسة السلاطين السلاجقة في العمل على بناء و تشييد دور طلب العلم و دعم انتشارها في كافة الأقاليم التي كانت تحت حكمهم ، حيث أكدت لنا المصادر التاريخية على حرص **نور الدين محمود زنكي** على بناء الأوقاف و تنوعها خدمة لأهل العلم و الرقي بالحياة العلمية في عهده في جميع ربوع بلاد الشام[1].

لعل من بين الصفات التي ميزت **نور الدين محمود** عن بقية الأمراء و الحكام الزنكيين هو أنه كان رجل دين ، فقيه على المذهب الحنفي محدثا ، و منفتحا على بقية المذاهب ، و لم يجد حرجا في التعامل مع المذاهب السنية ، و هو ما يؤكد شخصيته الدينية القوية التي ساهمت بدورها في نجاح المشروع العلمي الذي بادر به أيام حكمه ، و ساعد أيضا على استمراره بعد وفاته [2].

كما نهج أخاه **سيف الدين غازي** * نفس السياسة عند توليه حكم الموصل تحديدا سنة **541**هـ /**1146** م ، و ذلك من خلال ربط الإتصال بأخيه **نور الدين محمود زنكي** و العمل على وحدة

---

**(1) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 20 ، ص 532 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ،ج 6، ص 378 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 5، ص 185 ؛ محي الدين بن محمد بن أبي الوفاء: الجواهر المضية ، ج 3، ص 440 .**

**(2) ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 5، ص 185 ؛محي الدين بن محمد بن أبي الوفاء: المصدر السابق ج 3، ص 440 .**

**(*) هو سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي بن أقسنقر ، حكم الموصل بعد وفاة أبيه ، حافظ رفقة أخيه نور الدين محمود زنكي على نفس سياسة أبيه في إدارة شؤون الدولة ، عرف عنه الحزم و الشجاعة و حب العلم و أهله ، كما عمل على البناء و تشييد الأوقاف لعل الأشهر فيها المدرسة الأتابكية العتيقة بالموصل و التي أوقفها خدمة للمذهبين الشافعي و الحنفي ، توفي سيف الدين غازي عن عمر ناهز أرعين سنة و دفن بمدرسته في الموصل سنة 544 هـ/ 1149 م ، حيث دام حكمه ثلاث سنوات فقط.**

**- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، المصدر السابق ، ج 20 ، ص 193.192 ؛ابن العماد : شذرات الذهب المصدر السابق ،ج 6، ص228 ؛ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 5، ص 277.276؛الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج 2، ص 467 .**

دولتهم ، فأخذا على عاتقهما مسؤولية الإصلاح الداخلي للدولة [1].

و قد نالت الحياة العلمية نصيبا من هذا الإصلاح بالموصل على عهد **سيف الدين غازي** و دلالات ذلك تشييده **المدرسة الأتابكية العتيقة** ، التي اعتبرت من بين أبرز المدارس التعليمية التي عنيت بدورها في ازدهار الحياة العلمية في تلك الفترة إلى جانب **المدرسة النظامية** [2]، كما عمل **سيف الدين غازي** على تقريب العلماء و الشعراء و العمل على إكرامهم و إجازتهم [3] و هو ما يؤكد حرصه و اهتمامه بأهل العلم الذين ساهموا فيما بعد في بناء و ازدهار المجال العلمي في العهد الزنكي ليكون ميزة أساسية لحكمهم بالموصل و بلاد الشام .

و من بين الحكام الزنكيين الذين اشتهروا بالعمل على إتباع سياسة الإصلاح و المضي بها نحو تحقيق الاستقرار للدولة بالموصل **قطب الدين مودود** * الذي عرف عنه السيرة الحسنة و الطباع الكريمة ، اللذين انعكسا بالإيجاب على استقرار ملكه من خلال عمله على فرض العدل و العمل على بناء الدولة و ازدهارها أيام حكمه [4] .

---

**(1) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص 88.87 .**

**(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 20 ، ص 192 .**

**(3) المصدر نفسه ، ج 20 ، ص 192 .**

**(*) هو قطب الدين مودود بن السلطان عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، حكم الموصل بعد أخيه سيف الدين غازي ، واصل عملية الإصلاح و البناء كما عرف عن الأمراء و الملوك الزنكيين ، إشتهر بصفات حسنة و شخصية قوية هادئة ، عادل في حكمه هذه الصفات سمحت له بفرض الإستقرار و الإزدهار بالموصل بالإظافة إلى تلك العلاقة القوية التي جمعته بأخيه الملك العادل نور الدين محمود زنكي ، سمح له ذلك بأن يكون محببا لدى الرعية محققا للإجماع لديهم ما يأكد بأن فترة ولايته أو حكمه للموصل من بين أهم و أبرز فترات حكم الزنكيين بالمنطقة ، توفي سنة 565 هـ/1169 م .**

**– المصدر نفسه ، ج 20 ، ص 522.521 ؛ الذهبي : دول الإسلام ، ج 2، ص 69 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 5، ص 303.302 ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج 3، ص 47.46 ؛ أبي شامة المقدسي : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج 2، ص 161 ؛ ابن الأثير : التاريخ الباهر ، 94 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، مج 6، ص 358 .**

**(4) ابن الأثير: التاريخ الباهر ، ص94 ؛ أبي شامة المقدسي : الروضتين في أخبار الدولتين،ج 2، ص 161 .**

كما ساهم أمراء و قواد الملوك الزنكيين في بعث الحياة العلمية و العمل على ازدهارها بفضل جهودهم التي دعمت و ساعدت كثيرا المشروع الذي أطلقه الزنكيون بالموصل و أجزاء من بلاد الشام و دلالات ذلك كثيرة ، و لعل أشهرها على الإطلاق **دار الحديث النورية بدمشق** التي أوصى ببنائها **الملك العادل نور الدين محمود زنكي** و اعتبرت بمثابة أولى المدارس التي عنيت بدراسة فروع العلوم الشرعية [1] ، و تعتبر مساهمة **أسد الدين شِيرْكُوهْ** * أحد أبرز أمراء **الملك العادل نور الدين محمود زنكي** في تطور و ازدهار الحياة العلمية من بين أهم المبادرات التي أطلقها الأمراء الزنكيون في تلك الفترة ببناءه **للمدرسة الأسدية** ، فعملت هذه المدرسة على التعليم بالمذهبين الحنفي و الشافعي ،و هو ما أضفى جانب التنوع في التعليم بمذاهب أهل السنة في تلك المرحلة [2].

إن ما تقدم من أمثلة على حرص الملوك و الأمراء الزنكيين على بعث الحياة العلمية و العمل على إزدهارها ، من خلال ما وفروه من أوقاف كان لها الأثر البارز في حركية فكرية سنية و مثالية ساهمت بشكل كبير في الوقوف في وجه الفكر الشيعي و حملات التنصير التي رافقت الحملات العسكرية الصليبية على بلاد الشام ، و ذلك بفضل شخصية الملوك و الأمراء و توجهاتهم الفكرية التي كانت عاملا حاسما في بعث هذا المشروع و نجاحه في تلك الفترة .

---

**(1) ابن الأثير : التاريخ الباهر ،172 ؛ النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج 1، ص 74.**

**(*) هو أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني الكردي ، أخو الأمير نجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبي ، نشآ معا في تكريت ، ثم إرتحلا إلى الشام ، و بها عملا إلى جانب الملك العادل نور الدين محمود زنكي ، إلى أن صارا أحد أبرز و أهم الأمراء في عهده ، عرف عن أسد الدين الصفات الحميدة فكان مقداما شجاعا ، حتى قيل عنه : " ترعب الفرنج عند ذكره " ، عهد له نور الدين أمر السيطرة على مصر و ضمها لنفوذ الدولة الزنكية، توفي بالخوانيق سنة 564 هـ/ 1168 م و يقال أنه إختنق و كان عادة ما يصاب بنوبات إختناق من كثرة أكله للحم.**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 20 ، ص 587–589 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، مج 6، ص 351.350 .**

**3– إحياء المذهب السني و نشره و التصدي للفكر الشيعي و حملات التنصير ببلاد الشام :**

إن الملاحظ على جهود **الأسرة الزنكية** في عملها على عودة المذهب السني و تسيّده و نشره في الأقاليم التي حكموها ، بروز الاختلاف في المنهجية المعتمدة و الأسلوب المتبع في سبيل تحقيق هذا الهدف و يرجع ذلك أساسا إلى عدة أسباب لعل الأهم فيها هو الوضع العام للأقاليم التي حكموها و التنوع المذهبي الذي شهدته تلك الأقاليم الخاضعة تحت حكم الزنكيين .

هناك إجماع على أن الموصل كانت أسهل المناطق من حيث توفر الجو الملائم و المساعد على نشر المذهب السني ، فكما سبق و أشرنا إليه من قبل في حديثنا عن المدارس النظامية في العهد السلجوقي فقد اعتنى **الوزير نظام الملك الطوسي** بالموصل كغيرها من الأقاليم التي عمل على دعم المذهب السني و انتشاره بها من خلال تشييده للمدرسة النظامية ، و ازدهار نشاط المذهب الشافعي آنذاك ، ساهم بشكل كبير من أن تحافظ الموصل على طابعها السني كمركز هام في نشر العلوم الفقهية و الشرعية لمواجهة الفكر التطرفي الشيعي [1]، و هو ما سهّل على الزنكيين من دعم و استكمال المشروع العلمي الذي بدأه السلاجقة ، حيث بنى **سيف الدين غازي المدرسة الأتابكية العتيقة بالموصل** و الشيء الملاحظ عليها هو أنه أوقفها على المذهبين الشافعي و الحنفي [2]، و هنا يكمن التميز في المدارس التي أنشأها الزنكيون هو حرصها على نبذ التفرقة بين المذاهب السنية على اعتبار أنهم لاحظوا أن من بين أسباب زعزعة استقرار مذهب أهل السنة في تلك المرحلة هو الخلاف المذهبي الحاصل بينها ، فبادروا إلى العمل على وحدة المذاهب السنية باعتبارها تستمد من القرآن الكريم و السنة النبوية أساس لمذهبها ، فلا حرج أن تجتمع في صف واحد للعمل على صد الخطر الحقيقي و هو الفكر الشيعي الضال الذي ينخر في جسد الدولة الإسلامية .

أما بقية المناطق الخاضعة لحكم الزنكيين فقد تسيد بها المذهب الشيعي ، لذا وجه **نور الدين محمود زنكي** و باقي ملوك و أمراء الدولة الزنكية جهودهم إلى كل من بلاد الشام و مصر و العمل على تحقيق سيادة المذهب السني فيها حيث بنى **نور الدين محمود** الأوقاف من مدارس، مساجد، و ربط، و خوانق ، و دور للعدل معتمدا فيها على كفاءات من علماء و قضاة ، للعمل على بعث

---

**(1) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ،ج4،ص 31؛ نظام الملك : سياسة نامة(سير الملوك)، ص 22 .**

**(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 20 ، ص 192 .**

المذهب السني و خصص لها أوقافا هائلة ، بغرض حصر النفوذ الشيعي و القضاء عليه ، و الوقوف أيضا في وجه الفكر التنصيري المصاحب للحملات الصليبية على البلاد الإسلامية [1].

كما لم يراعي **نور الدين محمود** إعتمادا أو تبنيا خاصا لمذهب معين من مذاهب أهل السنة، بل تعداه إلى الإعتماد المطلق على جميع المذاهب السنية في مشروعه العلمي ، و حرصه الشديد على إشراكهم في هذا الهدف الذي أعاد الوحدة المذهبية لها و عودة هيبة أهل السنة على حساب النفوذ الشيعي آنذاك بفضل جهود **نور الدين محمود** و باقي الملوك و الأمراء الزنكيين إلى جانب طبقة العلماء الذين كانوا سند الزنكيين و أهل الشورى في بلاطهم ، و هو ما يؤكد تلك العلاقة القوية التي جمعت بين أهل العلم و الملوك الزنكيين ، و دورها في توجيه السياسة الداخلية و الخارجية للدولة الزنكية ، لضمان تماسكها و إستمراريتها في وجه الأخطار المحدقة بها[2] .

كما تعتبر فئة العلماء التي ساهمت رفقة الحكام و الأمراء الزنكيين في بعث المشروع العلمي و نجاحه ، بالإظافة إلى تطور الحياة الفكرية و ما صاحبه من إنتاج علمي تمثل في تلك المصنفات في شتى أنواع العلوم خاصة مجال العلوم الفقهية و الشرعية دليل قاطع على الجهود المبذولة في سبيل بعث المذهب السني و العمل على تسيّده ببلاد الشام آنذاك .

لقد كان من نتائج هذا التواصل الذي جمع الحكام الزنكيين بعلماء عصرهم من أن تكون الحياة العلمية أحد أبرز سمات هذا العصر ، يضاف لها حرص الزنكيين على دعم انتشار المراكز العلمية و تنوعها سمح للمذهب السني بازدهاره و سيطرته على الحياة الفكرية ، و حصر نفوذ الفكر الشيعي و انحصاره و تراجع حملات التنصير ببلاد الشام ،كل هذا بفضل جهود الزنكيين و دعمهم للأوقاف و التي هي محور حديثنا في العنصر الموالي من هذا البحث .

---

**(1) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج 2، ص 293 و ما بعدها ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، مج 6، ص 379.378 ؛ ابي الوفاء : الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، ح 3، 440.**

**(2) ابن الأثير : التاريخ الباهر ،173 .**

## المبحث الثالث : المدارس و المراكز التعليمية بالمشرق و دور العلماء في إزدهارها و أهم مميزاتها في العهد الزنكي :

تعتبر المدارس و دور التعليم بصفة عامة في العهد الزنكي أحد أهم مميزات هذا العصر و يرجع ذلك في الأساس إلى اهتمام الملوك و الأمراء الزنكيين بهذا النوع من الأوقاف وانتشارها في ربوع أقاليم الدولة كان بهدف عودة المذهب السني و تسيّده ، و إحياء الدراسات السنية في ظل تغلل الفكر الشيعي و دعوات التنصير المصاحبة للحملات الصليبية على البلاد الإسلامية و خاصة بلاد الشام كما سبق و أشرنا إليه من قبل .

إن التأكيد على دور **نور الدين محمود زنكي** في بعث الحياة العلمية و الفكرية و اجتهاده في توفير المناخ الملائم لازدهارها في ربوع الدولة الزنكية أمر لابد من التأكيد عليه على اعتبار أن هذه الشخصية الفريدة و طوال سنوات حكمها ، عملت جاهدة على تخصيص الأوقاف الهائلة لنجاح مشروعها العلمي بالمنطقة ، و لعل هذه الأوقاف التي خصصت لخدمة أهل العلم من **مدارس** ، **دور حديث** ، **خوانق** ، **مارستانات** ، **ربط** ، اعتبرت بمثابة السمة الأبرز في الجانب العمراني في تلك الفترة .

و لهذا سنحاول من خلال هذا العنصر من البحث الوقوف عند أهم المدارس و المراكز العلمية التي شيدها **نور الدين محمود زنكي** في كل من دمشق و حلب و باقي أقاليم الدولة الزنكية و أهم علمائها الذين كان لهم الفضل في نجاح مشروع **نور الدين محمود** بفضل مصنفاتهم و جهودهم الكبيرة في سبيل ترسيخ المذهب السني و الوقوف في وجه الفكر الشيعي ، بالإضافة إلى أبرز المدارس و المراكز العلمية بالموصل في عهد ملوك و أمراء الزنكيين ، على اعتبار أن هذه المدن أو الأقاليم الهامة أعتمد عليها الملوك و الأمراء الزنكيين كقاعدة أساسية لبعث المذهب السني و إحياء الدراسات السنية من جهة ، و العمل على الارتقاء بها لتكون أبرز الحواضر و المدن العلمية و المنارات الفكرية لطلاب العلم على شاكلة **بغداد** ، **الكوفة** ، **البصرة**، و باقي المدن التي اهتمت بالحياة العلمية في تلك الفترة .

## 1- أهم المدارس التعليمية في العهد الزنكي بالمشرق:

تعتبر أقاليم و مدن الدولة الزنكية من بين أبرز أماكن ازدهار و انتشار المدارس التعليمية و المراكز العلمية في هذا العهد، و لعل **دمشق** و**حلب** من بين المدن التي كانت استثناءا في بنائها و دلالة ذلك تلك المدارس و دور التعليم الكثيرة التي أنشأها **نور الدين محمود** و من جاء بعده من الملوك و الأمراء الزنكيين ، و سنكتفي فقط بذكر الأهم فيها بدءا **بالمدرسة النورية الكبرى** التي اعتبرت من بين أهم و أجل المؤسسات التعليمية ببلاد الشام و الدولة الإسلامية آنذاك [1].

### 1- 1 المدرسة النورية الكبرى أهم مميزاتها و أشهر أعلامها :

تعتبر هذه المدرسة من بين أهم المدارس الزنكية بدمشق على الإطلاق، أسسها **الملك العادل نور الدين محمود زنكي**، التي زارها **الرحالة الشهير ابن جبير** بعد إفتتاحها بسنوات قليلة و لحسن بنائها و مكانتها الرفيعة آنذاك ، دفعا **بابن جبير** إلى وصفها وصفا جميلا فقال :" **و من أحسن مدارس الدنيا منظرا مدرسة نور الدين رحمه الله و بها قبره نوّره الله ، و هي قصر من القصور الأنيقة ينصب فيها الماء في شاذروان وسط نهر عظيم ثم يمتد الماء في ساقية مستطيلة إلى أن يقع في صهريج كبير وسط الدار فتحار الأبصار في حسن ذلك المنظر** "[2] .

احتوت **المدرسة النورية** على مرافقة عديدة و متنوعة و ذات أهداف محددة أساسها خدمة طلاب العلم و توفير الجو الملائم لهم من راحة و أماكن للمطالعة و مساكن للطلاب ، و أماكن إقامة علماء المدرسة ، و قاعات للمحاضرات و غيرها من المرافق [3]، لتحاكي بذلك المدارس النظامية على عهد السلطنة السلجوقية في تفاصيل بنائها و أهم مرافقها ، و هو ما أعطاها طابع التميز و المكانة السامية عن باقي المدارس و المراكز التعليمية بأقاليم الدولة الزنكية .

---

**(1) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج 1، ص 466 ؛ يسري عبد الغني عبد الله : التعليم في عصر نور الدين زنكي ، مجلة كان التاريخية ، عدد 9، سبتمبر 2010 ، ص 54 .**

**(2) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ليدن هولندا ، 1907 ، ص 284 ؛ النعيمي : المصدر السابق ، ج 1، ص 466 ؛ سيري عبد الغني عبد الله : المرجع السابق ، ص 54 .**

**(3) المرجع نفسه ، ص 55.54. و عن أشهر مدارس التعليم في العهد الزنكي بالموصل و الشام ، أنظر الملحق 4 من المذكرة ، ص 148.**

كغيرها من المدارس التي حظيت بعناية من الملوك و الأمراء و ما عرف عن هذه الفترة من اهتمام بالمدارس التعليمية ، نجد بأن **نور الدين محمود زنكي** و من جاء بعده من ملوك حرصوا على إسناد مهمة التدريس **بالمدرسة النورية** ، إلى نخبة من علماء المذهب الحنفي و مشاهير أهل العلم و الأدب بغرض الارتقاء بمختلف العلوم و العمل على تطويرها في تلك الفترة [1] .

و تعتبر **المدرسة النورية الكبرى** معقلا لأهم و أشهر علماء العصر الزنكي في مقدمتهم نذكر: **العالم برهان الدين مسعود** * الذي عمل مدرسا بها إلى أن توفي سنة **599**هـ/ **1202**م و كذلك من أشهر الذين تولوا التدريس **بالنورية الكبرى** و الذين يحسب لهم الإلمام بالعلوم و حب أهل العلم و احترامهم **الإمام جمال الدين محمود بن أحمد الحصيري**** الذي لازم المدرسة و اجتهد في تبليغ العلوم إلى أن توفي سنة **636**هـ/ **1238**م ، بالإضافة إلى **الإمام نظام الدين الحصيري***** الذي حاضر **بالنورية و** بقي مدرسا بها إلى أن توفي سنة **698**هـ/ **1298**م [2] .

---

**(1) المرجع نفسه ، ص 55 .**

**(*) هو البرهان الحنفي أبو الموفق مسعود بن شجاع الأموي الدمشقي ، أحد أبرز أعلام المذهب الحنفي ، و أشهر علماء المدرسة النورية الكبرى بدمشق ، كان صدرا معظما آنذاك ، إرتحل في طلب العلم إلى بخارى ، و عاد ليعهد له بالتدريس بالمدرسة النورية ، و يعتبر كذلك من بين أشهر علماء الحنفية تمكنا في المذهب توفي بدمشق سنة 599 هـ/ 1202 م عن عمر ناهز 89 سنة .**

**– ابن العماد : شذرات الذهب ، مج 6، ص 558 ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج 3، ص 128.127 ؛ الصفدي : مرآة الجنان ، ج 3، ص 375 .**

**(**) هو جمال الدين بن الحصيري ، محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري ، يعتبر من أشهر أعيان المذهب الحنفي ، روى " صحيح مسلم " عن أصحاب الفراوي ، و عند عودته من سفره ، تولى التدريس بالمدرسة النورية بدمشق حوالي 25 سنة ، و لازمها إلى أن توفي بها سنة 636 هـ/ 1238 م.**

**– ابن العماد :المصدر السابق ، مج 7، ص 319 .**

**(***) هو الإمام نظام الدين أحمد الحصيري نائب الحكم ، ابن العلامة المشهور جمال الدين محمود بن أحمد البخاري الدمشقي الحنفي ، توفي عن عمر ناهز 70 سنة .**

**– المصدر نفسه ،مج7، ص770.769 ؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر،ج 3،ص 391 .**

**(2) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج 1 ، ص 476.475.**

**1-2 المدرسة العادلية الكبرى و أشهر علمائها :**

و هي المدرسة التي أنشأها **الملك العادل نور الدين محمود زنكي**سنة **568هـ/1172م**،و قد تحدث **النعيمي** عن هذه المدرسة و قال عنها أنها أوقفت على المذهب الشافعي[1]، و يعتبر القاضي الفقيه **جمال الدين المصري** * من بين أشهر علمائها الذي حقق إجماعا كبيرا بفضل سعة علمه و مكانته الرفعية ، فتوافد طلاب العلم للأخذ عنه و بقي ملازما للمدرسة إلى أن توفي سنة **623هـ/ 1226م** [2]، و من العلماء الذين جلسوا للتدريس بكرسي العادلية الكبرى نذكر القاضي **كمال الدين التفلسي**** الذي يشهد له بالعلم و الفضل الكبير و السيرة الحسنة [3]، و القاضي الفقيه **بهاء الدين أبو حامد أحمد بن تقي الدين السبكي***** أحد أشهر أعلام المذهب الشافعي آنذاك

---

**(1) المصدر نفسه ، ص 271 .**

**(*) هو أبو الوليد يونس بن بدران بن فيروز بن صاعد بن محمد بن علي الشيبي الشافعي ، ولد حوالي سنة 550 هـ/1155 م ، تقلد مناصب عديدة منها الوكالة السلطانية بالشام ، مدرس بالمدرسة الآمنية ، قاضي ثم درس بالمدرسة العادلية الكبرى ، كان له مصنف إختصر فيه كتاب الإمام الشافعي " الأم " ، توفي سنة 623 هـ/ 1226 م .**

**– ابن العماد شذرات الذهب ، مج 7، ص 197 .**

**(2) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج 1، ص 273 .**

**(**) هو القاضي كمال الدين عمر أبو حفص بن بندار ابن عمر التفلسي ، ولد بتفليس حوالي602هـ/1205 م تفقه على المذهب الشافعي و برع فيه ، إشتغل بمناصب عديدة لعل أبرزها قضاء دمشق و التدريس بكرسي العادلية الكبرى ، كان ذا هيبة و عدل كبيرين ، محسنا في معاملته مع الناس ، و كلمته مسموعة لدى التتار ، توفي سنة 672 هـ/1273 م .**

**– ابن العماد : شذرات الذهب ، المصدر السابق ، مج 7، ص 589 .**

**(3)المصدر نفسه ، مج 7، ص 589 .**

**(***) هو بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي بن يحيى بن تمام السبكي ، ولد سنة 717 هـ/ 1317 م ، برز و نبغ في حفظ القرآن و العلوم الشرعية ، و بتميزه هذا أفتى و درس في سن مبكرة ، تولى مناصب عديدة لعل أبرزها قضاء الشام و التدريس بكرسي المدرسة العادلية الكبرى ، عرف عنه الخصال و الصفات الحميدة و ذا مكانة مرموقة ، توفي سنة 773 هـ/ 1371 م .**

**– المصدر نفسه ، مج 8 ، ص 389.388 .**

الذي عرف عنه الدقة و إتقان العلوم و السيرة المحمودة ممن تولوا التعليم بالعادلية [1] ، و الذي تزاحم طلاب العلم و إلى جانبهم الأئمة للإستفادة منه و من تصانيفه المتنوعة [2].

**1-3 المدرسة الكلاسة و أشهر علمائها :**

و سميت **بالكِلاَسَة** ، لأن موضع المدرسة كان يستخدم لصناعة الكلس ، شيدها الملك **نور الدين محمود زنكي** حوالي سنة **555**هـ/ **1160**م ، و هي مجاورة أو ملتصقة بالجامع الأموي بدمشق [3] ، و يعتبر القاضي **بهاء الدين أبو الفضل بن الزكي** * أبرز أعلام المدرسة الذي عرف عنه سعة العلم و الجمع بين إلقاء الدروس و المناظرة [4] ، و من بين من درسوا **بالمدرسة الكلاسة** الشيخ **كمال الدين أبو محمد بن الحرستاني**** حيث يعتبر من كبار أئمة الشافعية في تلك الفترة [5]، و غيرهم من العلماء الذين تولوا التدريس **بالكلاسة** في عهد حكم الأسرة الزنكية .

---

**(1) المصدر نفسه ، مج 8، ص 389 .**

**(2) المصدر نفسه ، مج 8، ص 389 .**

**(3) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج 1، ص 340 .**

**(*) هو بهاء الدين أبو الفضل يوسف بن القاضي محي الدين يحيى الدمشقي ، تفقه على المذهب الشافعي ، عرف عنه الذكاء الباهر ، حتى أضحى عالما كبيرا بارعا بالمذهب ، تميز بالمقدرة الكبيرة على المناظرة و إيجاد حلول المعضلات المستعصية ، توفي سنة 685 هـ /1286 م عن عمر ناهز 45 سنة .**

**– الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج 3، ص 361 ؛ النعيمي: المصدر السابق ،ج 1، ص 167.166.**

**(4) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، المصدر السابق ،ج 3، ص 361 .**

**(**) هو عبد الجبار بن عبد الغني بن علي بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد بن عبد اللطيف الأنصاري ، سمع عن كبار الأئمة أشهرهم أبا القاسم الحافظ و أبا سعد بن ابي عصرون ، كما يعتبر الكمال بن الحرستاني من كبار و أشهر أئمة المذهب الشافعي ، درس و أفتى بالمدرستين الكلاسة و الأكزية ، توفي سنة 624 هـ/ 1226 م .**

**– النعيمي : المصدر السابق ، ج 1، ص 125.124 .**

**(5) المصدر نفسه ، ج 1، ص 341.**

## 1-4 المدرسة العَصْرُونِيَةُ و أشهر علمائها :

هي من بين أشهر المدارس التي بناها الملك **نور الدين محمود زنكي**، و يعد القاضي **شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عَصْرُونْ*** أحد أعلام المدرسة التي حملت اسمه [1] و الشيخ **نجم الدين مظفر بن محمد بن إلياس الأنصاري الدمشقي**** أحد أبرز علمائها[2] ، و حفيد القاضي **شرف الدين أبو سعد بن أبي عصرون** العالم **محي الدين أبو الخطاب عمر بن محمد بن أبي سعد بن أبي عصرون***** الذي اتصف بالذكاء الكبير، و ممن تميزوا في التدريس عند جلوسهم على

---

**(*) هو شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن ابي عصرون التميمي ، من بين أشهر أعلام المذهب الشافعي ، إختلف في سنة مولده فهي بين 492 هـ/1098 م أو 493 هـ/1099 م تفقه بالموصل و قرأ ببغداد حتى برع ، و عند عودته إلى الموصل درس بها و أفتى ، دخل دمشق رفقة الملك العادل نور الدين محمود زنكي أين بنى له المدارس بسائر ربوع بلاد الشام ، و بها إنتفع خلق كبير من طلاب العلم من سعة علمه ، توفي بدمشق سنة 585 هـ/1189 م عن عمر ناهز 93 سنة .**

**– الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 21 ، ص 125–129 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، مج 6، ص 466.465 ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 7، ص 132–135 ؛ النعيمي : المصدر السابق ج 1، ص303–306 .**

**(1) محمد بن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، دار الكتاب العربي سورية 1404 هـ/1984 م، ص 111.110.**

**(**) هو ابن الشيرجي الصدر نجم الدين مظفر بن محمد بن إلياس الأنصاري الدمشقي ، عهد إليه بكرسي المدرسة العصرونية و درس بها ، كما عمل بديوان الحسبة و نظر الجامع ، سمع عن عدد من الأئمة لعل أبرزهم الإمام الخشوعي ، توفي سنة 657 هـ/1258 م.**

**– الذهبي: العبر في خبر من غبر ،ج 3،ص 287 ؛ ابن العماد : المصدر السابق ،مج 7،ص 500 .**

**(2) النعيمي : المصدر السابق ، ج 1، ص306 .**

**(***) هو محي الدين أبو الخطاب عمر بن محمد بن أبي سعد بن أبي عصرون ، كان بارعا و ذا ذكاء مفرط حتى أنه سمع بسن 5سنوات عن ابن طبرزد ، ثم سمع عن الكندي و غيرهم ، جلس للتدريس بالعصرونية ، توفي سنة 682 هـ/1283 م .**

**– ابن العماد :المصدر السابق ، مج 7، ص 662.661 .**

كرسي **العصرونية** [1]. و غيرهم من أعلام العصر الزنكي الذين تداولوا على كرسي المدرسة خدمة لأهل العلم و طلابه .

### 1-5 المدرسة الأصفهانية و أشهر علمائها :

و هي من بين المدارس التي بنيت في العهد الزنكي ، قال عنها **النعيمي** أنه لم يعرف تحديدا مشيدها عدى أنه قام ببنائها تاجر أتى من **أصفهان** [2] ، و لعل أشهر من جلس بكرسي المدرسة و عمل على التدريس بها الإمام الخطيب **جمال الدين أبو محمد عبد الكافي*** و الذي شغل كذلك دار الإفتاء **بدمشق** و خطيبها [3] .

### 1-6 المدرسة الإقبالية و أشهر أعلامها :

و تعتبر من بين المدارس التي أنشأت في العهد الزنكي، و يعد **جمال الدولة إقبال**** مؤسسا

---

**(1) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج 3، ص 351.350 ؛ النعيمي : المصدر السابق، ج 1، ص 306.**

**(2) المصدر نفسه ،ج 1، ص118 .**

**(*) هو جمال الدين أبو محمد بن عبد الملك بن عبد الكافي الربعي الدمشقي ، ولد سنة 612 هـ/1215 م ، سمع عن ابن صباح و ابن الزبيدي و غيرهم ، عرف عنه الخصال الطيبة و المكانة الحسنة بين الناس ، ولي عدة مناصب أبرزها مفتي و خطيب دمشق ، و مدرسا بالمدرسة الأصفهانية توفي سنة 689 هـ/1290 م .**

**– الذهبي : العبر في خبر من غبر ، المصدر السابق ،ج 3، ص 369 ؛ النعيمي : المصدر السابق ، ج 1، ص118 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 7، ص 325 .**

**(3) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، المصدر السابق ،ج 3، ص 369 ؛ النعيمي : المصدر السابق، ج 1، ص118 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 7، ص 325 .**

**(**) هو جمال الدين إقبال ، واقف بيته لمدرستين للمذهبين الشافعي و الحنفي ، كان خادما للملك نور الدين محمود زنكي الشهيد ، و قبل وفاته قام بتحويل بيته إلى مدرستين عرفتا بالإقباليتين ، توفي ببيت المقدس سنة 603 هـ/ 1206 م .**

**– ابن العماد :المصدر السابق ، مج 7، ص 17 .**

لها ، و هو خادم **للملك نور الدين محمود زنكي** ، و في الأصل هما مدرستين سميتا **بالإقبالية** و اختصتا بالتدريس على المذهبين الحنفي و الشافعي **بدمشق**[1] ، جلس للتدريس بكرسيها عدد من أعلام المذهبين الشافعي و الحنفي أبرزهم **شمس الدين بن سُنِي الدولة** * ، ثم جلس بعده إبنه **صدر الدين أبو العباس أحمد بن سني الدولة** ** و الذي تميز بكفاءة عالية حتى مكنه ذلك من تقلد مناصب عديدة أبرزها بعد التدريس **بالإقبالية** ، قاضي و مفتي نيابة عن أبيه [2]. و غيرهم.

## 1-7 المدرسة الأَسْدِيـَةُ و أشهر أعلامها :

و هي المدرسة المحسوبة على **أسد الدين شيركوه** أحد أهم أمراء الملك **نور الدين محمود زنكي** حيث أوقفها بدمشق خدمة للمذهبين الشافعي و الحنفي [3]، و قد جلس للتدريس بالأسدية العديد من العلماء في تلك الفترة و لعل أشهرهم نذكر **عمر بن عبد العزيز الملقب بالعِزْ القرشي*****

---

**(1) النعيمي : المصدر السابق، ج 1، ص 119.118 .**

**(*) هو شمس الدين بن سني الدولة يحيى بن هبة الله الدمشقي الشافعي ، ولد سنة 552 هـ/1157 م تفقه على يد الإمام ابن ابي عصرون و القطب النيسابوري ، كان إماما فاضلا ، ذا هيبة ، محمود السيرة تولى قضاء الشام ، توفي سنة 635 هـ/1237 م .**

**– الذهبي : العبر في خبر من غبر ، المصدر السابق ،ج 3، ص 225 ؛ ابـن العمـاد : المصدر السابق ، مج 7، ص 310 ؛ النعيمي : المصدر السابق، ج 1، ص119 .**

**(**) هو صدر الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن هبة الله ابن سني الدولة الدمشقي الشافعي ، ولد سنة 590 هـ/ 1193 م ، سمع عن الخشوعي ، و تفقه على يد أبيه القاضي شمس الدين و فخر الدين بن عساكر حتى برع و تميز عن من عاصروه في سعة علمه و إلمامه بالمذهب ، سمح له ذلك بتقلد مناصب عديدة لعل الأبرز فيها منصب القضاء و وكالة بيت المال ، ثم مدرسا بالإقبالية و المدرسة الجاروخية و العادلية الكبرى ، توفي سنة 685 هـ/ 1259 م .**

**– الذهبي : العبر في خبر من غبر ، المصدر السابق ،ج 3، ص 289 ؛ ابن العمـاد : المصدر السابق ، مج 7، ص 504 ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 8، ص 41 .**

**(2) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج 1، ص120.119 .**

**(3) المصدر نفسه، ج 1، ص114 .**

**(***)عمر بن عبد العزيز بن حسن بن علي بن محمد بن علي القرشي ،الملقب بالعز القرشي أحد =**

و درّس بها أيضا الشيخ الزاهد **ركن الدين أبو زكرياء بن يوسف البجلي** * الذي عرف عنه السيرة المحمودة فإلى جانب التدريس بالمدرسة الأسدية ، كانت له حلقة مع طلاب العلم بالجامع الأموي بدمشق فتوافد عليه طلابه و انتفعوا منه [1] .

كما اشتهرت الموصل في العهد الزنكي بمدارس لعل الأشهر فيها على الإطلاق نذكر :

**1-المدرسة الأتابكية العتيقة** : و التي تنسب إلى مؤسسها الملك **سيف الدين غازي** شقيق الملك **العادل نور الدين محمود زنكي**[2] ، و تعتبر هذه المدرسة من بين أجملها و أكبرها مساحة ، و قد جعلها **سيف الدين غازي** وقفا على المذهبين الشافعي و الحنبلي مناصفة [3] .

2- **المدرسة العزية** : و هي المحسوبة على مؤسسها **عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود**** التي

---

**= علماء المدرسة الأسدية ، سمع عن الخشوعي ، و عمل بعدة مناصب لعل أبرزها قضاء مدينة حمص عاد بعدها إلى دمشق أين شغل منصب مدرس بالأسدية المحسوبة على مؤسسها الأمير أسد الدين شيركوه ، و بها توفي سنة 615 هـ/ 1218 م .**

**- المصدر نفسه ، ج 1، ص 115 .**

**(*) هو ركن الدين أبو زكرياء بن يوسف بن سليمان بن حماد البجلي ، شيخ ، عالم ، و زاهد أحد أبرز علماء المدرستين الطيبة و الأسدية ، فإلى جانب إلقائه الدروس بالأسدية ، جلس للوعض بحلقة بالجامع الأموي ، كما عرف عنه الورع و المواضبة في الفرائض ، توفي سنة 722 هـ/ 1322 م .**

**- ابن كثير : البداية و النهاية ،ج 18، ص 220 ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 10 ، ص 38 ؛ النعيمي : المصدر السابق ،ج 1، ص 116 ؛**

**(1) المصدر نفسه ، ج 1، ص 116 .**

**(2) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 9، ص 359 ؛ ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص 93 ؛ ميسون ذنونالعبايجي : الكامل في التاريخ لإبن الأثير مصدرا لدراسة خطط الموصل في العهد الأتابكي ، مجلة إضاءات موصلية ، العدد 76 ، 1434 هـ/2013 م ، ص 9.**

**(3) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج 9، ص 359 ؛ ابن الأثير : التاريخ الباهر ،ص 93 ؛ ميسون العبايجي : المرجع السابق ، ص 9.**

**(**) هو عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن أتابك زنكي بن آقسنقر، عرف عنه حسن السيرة ذا هيبة ، كثير الإحسان مع الرعية ، عرف عن مجلسه أنه كان مجلسا و لقاء لأهل العلم و الفضل توفي =**

قال في وصفها **ابن الأثير** في مصنفه **التاريخ الباهر: " و هو الذي ابتنى المدرسة الغربية بباب دار المملكة ، و هي مدرسة حسنة ، جعلها للفريقين الحنفية و الشافعية ، و قرر للفقهاء ما ليس بمدرسة أخرى من الفواكه و الحلواء "**[1] .

**3– المدرسة المُجَاهِدِيَةُ** : و هي المدرسة المنسوبة إلى مؤسسها **مُجَاهِدْ الدين قَايْمَازْ** * أحد أبرز أمراء الملوك الزنكيين [2] ، و الذي عرف عنه كثرة بناء الربط و المدارس و لعل الأشهر فيها **المدرسة العزية** كما عنيت هذه المدرسة بالتدريس على المذهب الشافعي [3].

و إلى جانب هذه المدارس التي عملت على التدريس بالمذهب الشافعي و الحنفي ، لم يغفل الملوك و الأمراء الزنكيين المذهبين المالكي و الحنبلي ، بل نالا نصيبهما من العناية ، فقد عملوا على إنشاء مدارس بغرض التدريس بهذين المذهبين بالأقاليم التي حكموها و ذلك بهدف تحقيق الوحدة المذهبية في التعليم بالمدارس بهدف الوقوف في صف واحد في مواجهة خطر الفكر التطرفي ، و لعل أشهر المدارس التي درّست على المذهب المالكي **المدرسة الشِرَابِيَةُ** [4] ، و **المدرسة الصِمْصَامِيَةُ** [5]

---

**= سنة 589 هـ/1193 م ، و دفن بمدرسته العزية التي بناها بالموصل .**

**– ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج 10 ،ص 228 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ،مج 6، ص 488.**

**(1) ابن الأثير : التاريخ الباهر، ص189 ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج 10 ،ص 228 ؛ ميسون العبايجي : المرجع السابق ، ص 9.**

**(*) هو أبو منصور قايماز بن عبد الله الزيني ، الملقب بمجاهد الدين الخادم ، تولى تسيير شؤون إربل في عهد زين الدين والد مظفر الدين كوكبوري ، و بعدها إنتقل إلى الموصل حيث تولى إدارة قلعتها في عهد سيف الدين غازي ، ثم في عهد عز الدين مسعود ، كان له عدة أعمال عمرانية مخلدة بإسمه لعل أشهرها بناء الجامع الكبير ، و الربط و المدرسة العزية و غيرها توفي سنة 595 هـ/1198 م .**

**– ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج 10 ؛ 263 ؛ ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص 177 ، 194.193.**

**(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج 10 ،ص 263 .**

**(3)المصدر نفسه ،ج 10 ،ص 263 ؛ابن الأثير : التاريخ الباهر، ص 177 ؛ ميسون العبايجي : المرجع السابق ، ص 10 .**

**(4) أنظر : النعيمي : المصدر السابق ، ج 2، ص 6.**

**(5) أنظر :المصدر نفسه.**

و**المدرسة الصَلَاحِيَةُ** [1] ، بالإضافة إلى مدارس الحنابلة التي إنتشرت في العهد الزنكي و ساهمت هي الأخرى في ازدهار العلوم و تنوع الدراسات الشرعية خاصة الفقهية نذكـر منها **المدرسة الجَوْزِيَـةُ و المدرسة الحنبلية الشَرِيفِيَـةُ ، المدرسة الصَاحِبِيَةُ، المدرسـة الصَدْرِيَـةُ ، و المدرسـة الضِيَائِيَـةُ المُحَمَدِيَةُ**[2] و غيرها من المدارس الحنبلية في العهد الزنكي بالمشرق .

## 2- أهم المراكز العلمية في العهد الزنكي :

يعتبر العهد الزنكي في المجال الحضاري ، عهداً متميزاً من حيث الجانب العمراني الذي اعتبر سمة بارزة عليه ، فإلى جانب المدارس التعليمية التي انتشرت في ربوع الأقاليم التي حكمها الزنكيون بعد ما تقدم من عرض لأهم المدارس التعليمية آنذاك نجد أنه ازدهرت مراكز علمية أخرى سمحت للحياة العلمية و الفكرية في العهد الزنكـي مـن أن تبلـغ أوجهـا بفضـل الحـراك الفكـري و التنافس العلمي بين طلاب العلم في شتى أنواع العلوم من خلال ظهور :

**2-1- دور الحديث** : و تعتبر من بين أهم المراكز العلمية التي اهتمت بدراسة علوم الحديث كأحد أهم الفروع الفقهية ، و ازدهرت بشكل ملفت للإنتباه و هو ما ساعد على تنوع دور طلب العلم في العهد الزنكي ، و ازدهار العلوم الشرعية وقتها ، و تعتبر دار **الحديث النورية** [3] التي شيدها الملك العادل **نور الدين محمود زنكي** بدمشق أحد أهم تلك الدور و أشهرها على الإطلاق ، حتى قال أن أبو شامة في الروضتين تحدث عن هذه الدار بل تعداه إلى تأكيده بأنها أول دار حديث أنشأت في تلك الفترة بقوله : " **و بنى بدمشق أيضا دار الحديث ، و وقف عليها و على من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقوفا كثيرة ، و هو أول من بنى دارا للحديث فيما علمنا** "[4] .

و إلى جانب **دار الحديث النورية** ، انتشرت دور حديث كثيرة كان لها أثر كبير في تطور الدراسات المتعلقة بهذا الصنف من العلوم ، ما ساعد على تنوع العلوم الشرعية و الفقهية و نذكر

---

**(1) المصدر نفسه ، ج 2، ص 08-22 .**

**(2) المصدر نفسه ، ج 2، ص23-94 .**

**(3) المصدر نفسه ، ج 1، ص74-84 .**

**(4) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج 1، ص 48.47 .**

منها : **دار الحديث الأَشْرَفِيَةُ البِرَانِيَةُ ، دار الحديث البَهَائِيَةُ ، دار الحديث الحِمْصِيَةُ ، دار الحديث العَرَوِيَةُ ، دار الحديث الفَاضِلِيَةُ ، دار الحديث القَلَانِسِيَةُ ، و دار الحديث النَاصِرِيَةُ** [1] ، و غيرها من دور الحديث التي انتشرت و عمت مدن و أقاليم الدولة الزنكية .

**2-2- دور الطب** : و إلى جانب دور الحديث و ازدهارها كمراكز علمية في العهد الزنكي شهد أيضا هذا العهد ظهور مؤسسات كان لها نصيبها من إهتمام الزنكيين و دلالات ذلك بناء **نور الدين محمود زنكي المارستانات** و لعل الأشهر فيها **مارستان دمشق**[2] و إلى جانبها ازدهرت **دور الطب** التي اختصت بتعليم هذا الصنف من العلوم الذي بلغ أوجه على العهد الأيوبي ، بفضل تشجيع الملوك و وقفهم للأموال لمثل هذا النوع من المراكز العلمية ، و لعل أشهر تلك الدور الطبية نذكر : **دار الطب الدَخْوَارِيَةُ ، دار الطب الدُنَيْسَرِيَةُ ، و دار الطب الْلَبُودِيَةُ النَجْمِيَةُ** [3].

**2-3- الخوانق و الرباطات** : لعبت **الخوانق** و **الرباطات** في العهد الزنكي دورا مميزا في ازدهار الحياة العلمية ، و هو ما ساعدها على التنوع في مراكز طلب العلم ، على اعتبار أنه هناك من مال إلى التصوف و طلب العلم لدى رجالاتها لذا حرص الملوك و الأمراء الزنكيون على إنشاء الخوانق و الرباطات ، و وقفها على مشايخ الصوفية ، و لعل أبرز الخوانق التي ازدهرت في العهد الزنكي **الخانقاه الأسدية** المنسوبة لمؤسسها **أسد الدين شيركوه** أحد أمراء الملك **نور الدين محمود زنكي**[4] بالإظافة إلى **الخانقاه الإِسْكَافِيَةُ ، الأندلسية ، الخَاتُونِيَةُ ، و الدُوَيْرِيَةُ** [5] و غيرها من الخوانق .

و من الرباطات التي ظهرت و ازدهرت في العهد الزنكي نذكر : **الرباط البَيَانِي ، الرباط المِهْرَانِي و الرباط البُخَارِي ، رباط أسد الدين شيركوه ، رباط الدَوَادَارِي و الرباط الفُقَاعِي**[6].

---

(1) **النعيمي: المصدر السابق ، ج 1، ص 36-85 .**

(2) **ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص 171.170.**

(3)**أنظر النعيمي : المصدر السابق ، ج 2، ص101-106 .**

(4) **ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص 172.171 ؛ النعيمي : المصدر السابق ، ج 2، ص110.109 .**

(5) **أنظر : المصدر نفسه ، ج 2، ص110-148 .**

(6) **أنظر : المصدر نفسه ، ج 2، ص150-173 .**

و هي أبرز المراكز العلمية إلى جانب المدارس التعليمية التي عرفها العهد الزنكي و التي سمحت من أن تكون استثناءا ، و ذات أهمية كبيرة انعكست إيجابا على المشروع العلمي و الفكري للزنكيين في المشرق و دعم ازدهار الحياة العلمية و الفكرية آنذاك .

## 3- دور علماء العهد الزنكي في إزدهار المدارس التعلمية و الحياة الفكرية

إن الملفت للإنتباه في هذا العهد ، و واقع ازدهار المدارس التعليمية و المراكز العلمية به هو ذلك الدور الكبير الذي لعبه علماء العهد الزنكي ، و ذلك من خلال ما قدموه من دعم و سهر على منح طلاب العلم ، مختلف العلوم ، و ذلك بفضل وعيهم المطلق بدور هذه المدارس في الإرتقاء بالحياة العلمية و الفكرية ، و تصديها لمختلف أنواع الفكر التطرفي الذي مس غالبية أقاليم الدولة الإسلامية .

إن ظهور نخبة من العلماء كانت بمثابة جرعة بعث المشروع العلمي للزنكيين و ذلك بفضل العلاقة القوية و الوطيدة التي جمعتهم بالملوك و الأمراء الزنكيين ، و شخصيتهم التي مالت إلى ربط التواصل مع علماء عصرهم ، و الإعتماد عليهم في جميع المشاريع الإصلاحية التي عملوا على تحقيقها بالأقاليم التي حكموها ، و يظهر هذا جليا في تأكيد المصادر الإسلامية على هذه العلاقة و مثال ذلك مجالس الملك **العادل نور الدين محمود زنكي** التي عجّت بأهل العلم ، و سهره على إسناد مسؤولية بعث الحياة العلمية و الفكرية إليهم ، و ذلك بفضل ما وفره لهم من مدارس و مختلف المراكز العلمية التي عنيت بالنهوض بالحياة العلمية [1] ، و هو ما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك بذلك الدور الكبير الذي لعبه هؤلاء العلماء في نجاح المشروع العلمي للزنكيين ، و سهرهم على تلقين مختلف العلوم ، و الذي صاحبه توافد كبير على المراكز و المؤسسات العلمية بفضل جلوس نخبة علماء العصر الزنكي في تلك الفترة .

كما تعتبر مصنفات علماء العصر الزنكي و التي عبرت عن الجهود و الثمرات الفكرية لهؤلاء العلماء ، بمثابة دافع قوي نحو الرقي بتلك المؤسسات العلمية على اعتبار أنهم عملوا على وضعها

---

**(1) الذهبي: سير الأعلام ،ج 20، ص 532-534؛ ابن العماد: شذرات الذهب ،مج 6،ص378-380 ؛ بن أبي الوفاء : الجواهر المضية ،ج 3، ص 440 ؛ ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص 170- 172 ،**
**و عن أهم علماء مدارس التعليم في العهد الزنكي أنظر الملحق 6من المذكرة ،ص153.154.**

في مكتباتها ، و كان أثرها بارزا من الإقبال الكبير لطلاب العلم عليها و العمل على مطالعتها و الإستفادة من محتوياتها ، في مختلف أنواع العلوم ، و من أمثلة تلك المصنفات التي ارتبطت تحديدا بجهود هؤلاء العلماء نذكر :

* العالم **جمال الدين المصري مدرس العادلية الكبرى** و الذي قام بتصنيف مختصر كتاب "**الأم**" للشافعي ، أين اعتبر من بين أهم مصنفات تلك الفترة [1].

* و مصنفات الشيخ **شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون**، الذي اشتهر بكثرة التصانيف لعل أبرزها " **صفوة المذهب على نهاية المطلب** ، **و الإنتصار** ، **و المرشد** ، **و الذريعة في معرفة الشريعة** ، **و الإرشاد** ، **و مصنف التنبيه في معرفة الأحكام و غيرها**" [2].

* و مصنفات الإمام **بهاء الدين أبو حامد بن تقي الدين السبكي** لعل أشهرها الموسوم " **بعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**" الذي أبان فيه بحسب ما أورده **ابن العماد في الشذرات** عن إلمام كبير ، و دراية واسعة في انواع العلوم ، و غيرها من مصنفاته التي لاقت رواجا و إقبالا كبيرا في أوساط طلاب العلم [3] .

و غيرهم من العلماء أصحاب التصانيف المميزة التي ازدهرت بها مكتبات المدارس و المراكز العلمية في العهد الزنكي .

---

**(1) ابن العماد :المصدر السابق ، مج 7، ص 197 .**

**(2) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 7، ص 134.133 .**

**(3) ابن العماد : المصدر السابق ، مج 8، ص 389 .**

## 4- مميزات المدارس التعليمية و المراكز العلمية في العهد الزنكي :

بعد عرض لأهم المدارس التعليمية و المراكز العلمية في العهد الزنكي ، و التي حملت على عاتقها مسؤولية النهوض بالمشروع العلمي للزنكيين بالمشرق عموما ، و الموصل و أقاليم من بلاد الشام على وجه الخصوص ، نستطيع القول بأنها و كغيرها من المؤسسات التي اعتنت بالجانب العلمي و الفكري في تلك الفترة من حكم الزنكيين ، كان لها مجموعة من الخصائص و المميزات التي انفردت بها و كانت بمثابة الخاصية الدالة على واقع المجال العلمي و الفكري في عهد حكم هذه الأسرة ( الزنكية ) .

و انطلاقا مما سبق عرضه عن هذه المدارس و المراكز العلمية نوجز أهم مميزاتها في:

* الإنتشار الواسع للمدارس و المراكز العلمية الزنكية ، و شموليتها في ربوع الدولة ، بحيث حرص الملوك و الأمراء الزنكيون على دعم هذه المؤسسات العلمية في كامل الأقاليم التي حكموها ، و ذلك ربما يهدف إلى حصر و خنق بقايا الفرق الشيعية التي كانت سائدة آنذاك ، بالإضافة إلى الوقوف في وجه خطر حركات التنصير التي صاحبت الحملات الصليبية على بلاد الشام ، و التي سقطت أجزاء عديدة في قبضة الصليبيين ، و بظهور الأسرة الزنكية تراجع نفوذهم بالمنطقة بفضل جهود الملوك التي لا توصف في سبيل الحفاظ على تعاليم الشريعة الإسلامية و التي من بينها الأوقاف التي عملت على نشرها و العودة لأصولها ، و لعل دلالات ذلك حرصهم على البناء و التشييد لمثل تلك المدارس و المراكز العلمية .

* التنوع في المناهج و المذاهب المعتمدة في التدريس ، بحيث و لأول مرة في تاريخ التعليم بالدولة الإسلامية و في العهد الزنكي تحديدا لم يكن هناك مرجع معين أو خاص ، معتمد في التعليم بمدارس هذا العهد و مراكزه العلمية ، كالإعتماد على مذهب من مذاهب أهل السنة و التعصب إليه ، بل تعداه إلى العمل على اعتماد جميع المذاهب السنية شافعية كانت أو حنفية ، مالكية اتبعت أو حنبلية و بدون تعصب ، و هو ما سمح للمذاهب السنية من استعادة مكانتها و وحدتها التي كانت قناعة لابد من إدراكها من طرف ملوك و أمراء العهد الزنكي و حتى فقهاء و أعيان المذاهب السنية مجتمعة ، و هي العمل على وحدة الأمة و لمّ شمل صفوفها و التصدي لأعدائها الذين نخروا جسدها و هنا نقصد الخطر الشيعي و حملات التنصير على البلاد الإسلامية و ربما تفطن الزنكيين لهذه الحقيقة دفع بهم إلى اعتماد مبدأ الوحدة و مصلحة الأمة الإسلامية في

الحفاظ على وحدتها و استقرارها و مذهبها العام ، هو من بين أسباب نجاح مشروعهم العلمي في المشرق ، ما أدى إلى ازدهار الحياة العلمية و تطور مجالاتها الفكرية في تلك الفترة .

* إن من بين سمات و مميزات المدارس التعليمية و المراكز العلمية في العهد الزنكي ، و التي تحسب لملوكها و أمرائها الذين عملوا على دعم المجال العلمي و الفكري ، هو ظهور نخبة من علماء و أئمة و فقهاء في مختلف المذاهب السنية ، كان لهم الفضل في رعاية المشروع العلمي للزنكيين بالمشرق من خلال إشرافهم على تكوين فئة من طلاب العلم التي كان لها دور كبير في دعم مؤسسات الدولة بتلك الكفاءات ، و عودة الكثير منهم إلى المدارس التي تلقوا فيها جميع أنواع العلوم كمعيدين لمواصلة دعم نشاط المدارس و المراكز العلمية و إستمراريتها .

* إزدهار مجالات العلوم بحيث شهد عهد الزنكيين هو الآخر حراكا علميا و فكريا متميزا و لعل مجال الدراسات و العلوم الفقهية و الشرعية كان السمة الأبرز ، و ذلك من خلال بروز فئة من العلماء و الفقهاء ، كان لهم بالغ الأثر في تقدم و ازدهار هذه العلوم ربما يرجع ذلك لفضل مصنفاتهم الفقهية التي كان لها دور كبير في التصدي للأفكار التطرفية ، و اعتمادها مادة خاما لطلاب العلم للبحث فيها و الإستفادة منها .

لعل ما تقدم من حديث حول أهم مميزات التعليم في مدارس العهد الزنكي و مراكزه العلمية لدليل على مدى عناية الملوك و الأمراء الزنكيين بهذا المجال الحيوي و الحسّاس ، الذي يعدّ من بين العوامل المساعدة على نجاح المشروع العلمي للدولة الزنكية من جهة ، و عودة إزدهار العلوم الشرعية التي مهّدت الطريق لإزدهار مذهب أهل السنة و استقرار الدولة بالمشرق من جهة أخرى .

# الفصل الرابع

## علاقة مدارس السلاجقة بمدارس الزنكيين و إسهاماتهما الحضارية بالمشرق

* المبحث الأول : علاقة المدارس السلجوقية بالمدارس الزنكية

* المبحث الثاني : الإسهامات الحضارية لمدارس السلاجقة بالمشرق

* المبحث الثالث : الإسهامات الحضارية لمدارس الزنكيين بالمشرق

## المبحث الأول : علاقة المدارس السلجوقية بالمدارس الزنكية

قبل الإشارة إلى طبيعة العلاقة التي جمعت مدارس العصر السلجوقي بمدارس العهد الزنكي لابد لنا من الإشارة إلى حقيقة تاريخية غاية في الأهمية و التي مفادها تلك الصلات الوثيقة التي جمعت سلاطين السلاجقة بالملوك و الأمراء الزنكيين ، التي كانت مبنية على الاحترام المتبادل بين الطرفين و الارتباط و الولاء التام للأمراء الزنكيين للسلطنة السلجوقية و ذلك منذ عهد **آقسنقر قسيم الدولة** ، الذي مهد الطريق لازدهارها و تطورها و انعكاساتها على مستقبل مشروع الدولة الزنكية ، و دلالة ذلك ، ما كان يحظى به **آقسنقر** من مكانة و احترام كبيرين لدى السلطان **ملكشاه السلجوقي**[1] ، و الذي يعتبر من بين أقرب المقربين إليه و من بين مستشاريه الذين استعان بهم في إدارة شؤون السلطنة ، و ما اللقب الذي ناله إلا دليل على رفعة مكانته أين كانت الألقاب لا تمنح إلا لمستحقيها في تلك الفترة من فترات حكم السلاجقة فسماه **ملكشاه بقسيم الدولة** [2].

إن روابط هذا التواصل بين سلاطين السلاجقة و الملوك و الأمراء الزنكيين استمر إلى ما بعد فترة **قسيم الدولة آقسنقر**، و امتد إلى من جاء بعده من ملوك و أمراء الزنكيين كالملك **عماد الدين زنكي و إبنه نور الدين محمود**، و لعل هذا التواصل و بالإضافة إلى الاحترام و الولاء بين **السلاجقة و الزنكيين** نستطيع القول أنه يعود بالأساس إلى نسب الأسرة الزنكية و الذي يرجع إلى كونها إحدى أهم القبائل التركية العريقة ، إلى جانب مكانتها و أهميتها بين القبائل السلجوقية [3].

لقد كان لهذه العلاقة المتميزة أثرها في نجاح الزنكيين و تحقيق تطلعاتهم في إقامة دولة قوية كان لها انعكاس واضح على واقع الموصل و بلاد الشام سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا و علميا و ذلك بفضل تضافر مجموعة من العوامل في مقدمتها ، كما سبق و أشرنا إليه شخصية الأمراء و الملوك الزنكيين ، و احتكاكهم بتلك النهضة الإصلاحية التي أطلقها السلاجقة ، الأمر الذي

---

**(1) محمد سهيل طقوش : تاريخ الزنكيين في الموصل و بلاد الشام ، ص 43 .**

**(2) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص 4 .**

**(3) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص 43 .**

جعلهم يتأثرون بتقاليد الإدارة و النظم التي سارت عليها السلطنة السلجوقية في التسيير و التنظير لشؤون الدولة ، و العمل على إقامة إصلاحات شابهت إلى حد بعيد تلك التي عرفها العصر السلجوقي و على عهد سلاطينه العظام [1].

و قد نال المجال العلمي نصيبا كبيرا من اهتمام السلاجقة و من بعدهم الزنكيين ، و إذا كان المشروع العلمي و البناء الحضاري الداعم للنهضة العلمية و الفكرية في العصر السلجوقي يعود أساسا إلى جهود **الوزير القدير نظام الملك الطوسي** عهد وزارته لسلاطين الدولة السلجوقية العظام في بعثه لهذا المشروع العلمي و العمل على تحقيق أهدافه الأساسية و هي ازدهار المذهب السني و القضاء على الفكر الباطني الشيعي و آثاره السلبية على المذهب العام للخلافة الإسلامية ، بدليل نجاح المدارس النظامية التي أطلقها **نظام الملك** في ربوع الدولة الإسلامية عموما و السلطنة السلجوقية على وجه الخصوص ، و إثبات البعد الإستراتيجي الكبير للنهضة العلمية و الفكرية في العصر السلجوقي و الأثر الواضح الذي خلفه ازدهار الحياة العلمية و الحركية الفكرية لمشروع السلاجقة العلمي على عودة الأمن و الإستقرار للدولة [2].

إن هذا النجاح الذي حققه السلاجقة جاء بفضل تلك الصلات القوية و علاقة الإحترام المتبادل التي جمعت **الوزير نظام الملك** بالأوساط الدينية و أثرها الجلي على ازدهار المجال العلمي [3]، بالإضافة إلى سياسة الشمولية التي اعتمدها**نظام الملك** في تعميم انتشار المدارس عبر كامل أقاليم السلطنة السلجوقية بهدف إعادة الإعتبار للمذهب السني و تسيده و إحياء الدراسات السنية بالدولة الإسلامية [4] .

و بالمقابل سار الملوك و الأمراء الزنكيين على نفس نهج من سبقوهم من السلاجقة و خاصة الوزير نظام الملك في إصلاحاتهم المتعلقة بالجانب العلمي و الفكري و العمل على ازدهاره ، و ذلك بفضل شخصيتهم و التي تميزت بذلك التكوين الديني و شغفهم العلمي ، عكس

---

**(1) المرجع نفسه ، ص 48.47 .**

**(2) نظام الملك : سياسة نامة (سير الملوك) ، ص 21.20 .**

**(3) المصدر نفسه ، ص 21 .**

**(4) المصدر نفسه ، ص 22 .**

تصوراتهم في المجال العلمي و الفكري ، الذي كان أساسه حب العلم و العمل على خدمة أهله و التقرب من العلماء و الإعتماد عليهم في جميع مشاريعهم الإصلاحية خاصة المجال العلمي الذي أولوه مكانة متميزة و اهتمام خاص ، و هو ما انعكس إيجابا بإعادة بعث المشروع العلمي و العمل على دعمه من خلال البناء و التشييد للمدارس و المراكز العلمية المتنوعة في جميع الأقاليم التي حكموها [1]، للوقوف في وجه الإنتشار الخطير للتشيع و التنصير ببلاد الشام ، ليؤكد الزنكيون على حرصهم الشديد على ضرورة عودة سيادة المذهب السني بالمنطقة من خلال نظرتهم و أفكارهم حول المجال العلمي و كيفيات تجسيد نجاحهم في هذا الجانب المهم من مشروعهم الإصلاحي [2].

كما أن ذلك التشابه الكبير في البناء العمراني المتعلق بتفاصيل مكونات المدارس النظامية في العصر السلجوقي و المدارس على العهد الزنكي من حيث أماكن التعليم و إقامة الطلاب و قاعات المحاضرات و غيرها من المرافق [3] ، دليل قوي على نقل الزنكيين للتفاصيل التي اعتنى بها السلاجقة في بناء مؤسساتهم التعليمية ، بما في ذلك من تقليدهم بإعتمادهم على نخبة قوية من العلماء الذين عاصرهم ملوك و أمراء الزنكيين في إحياء المشروع العلمي الذي أسس له السلاجقة و العمل على إحياء العلوم الشرعية لبعث الذهب السني و تسيده في المنطقة [4].

و هو دليل واضح على انتهاج إستراتيجية واحدة و شبيهة إلى حد بعيد بتلك التجربة التي تبناها الوزير نظام الملك في نظرته للمجال العلمي و التصورات التي وضعها في سبيل نجاحه في هذا الجانب من الإصلاحات التي أطلقها آنذاك .

و عليه يمكننا أن نخلص إلى أن تأثير العلاقات السياسية بين السلاجقة و الزنكيين و طبيعتها انعكست بالإيجاب و بشكل كبير و واضح على مشاريع الإصلاح التي اعتمدها الملوك

---

**(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 5، ص 185 ؛ محي الدين بن محمد بن أبي الوفاء: الجواهر المضية ، ج 3 ، ص 440 ، ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص 77.76.**

**(2) سيري عبد الغني عبد الله : التعليم في عصر نور الدين زنكي ، ص 53 .**

**(3) المرجع نفسه ، ص 55.54.**

**(4)المرجع نفسه ، ص 55.**

و الأمراء الزنكيين خاصة المجال العلمي [1] ، على اعتبار أن المدارس على عهد الأسرة الزنكية و خاصة فترة **نور الدين محمود** ، تعتبر بمثابة النفس الجديد و المرحلة الثانية من المشروع العلمي الذي أطلقه **الوزير نظام الملك** الذي يرمي إلى إحياء الدراسات السنية و عودة الإستقرار و السيادة للمذهب العام للخلافة ، بعد تراجع النشاط العلمي و الفكري عقب وفاة **نظام الملك** و **السلطان ملكشاه** بدخول أبناء البيت السلجوقي في صراعات على عرش السلطنة ، ما انعكس سلبا على الحياة العلمية و الفكرية ، و هو أيضا يعبر عن الحلقة الثانية من مسلسل الصراع التقليدي بين مذاهب أهل السنة من جهة و التغلغل الخطير للأفكار التطرفية الشيعية من جهة أخرى بالإضافة إلى الفكر التنصيري الذي صاحب الحملات الصليبية على أقاليم الدولة الإسلامية ببلاد الشام .

و بالتالي فالعلاقة بين المدرستين السلجوقية و الزنكية هي علاقة تكملة و تلازم و إرتباط قوي و لما لا نقول بأن مدارس الزنكيين نسخ أو نقل لمشروع السلاجقة بالموصل و بلاد الشام في شقه العلمي ، ليعبر بذلك **نور الدين محمود زنكي** عن ذلك الإنتماء الطبيعي و العرقي لقبيلة السلاجقة ، الذي يعتبر هو الآخر عنصر هام من الأسرة الزنكية المنحدرة من الأسرة الأم السلجوقية في أبعاد قيام ملكها بالموصل و بلاد الشام، الذي أساسه الولاء للخلافة العباسية باعتبارها الممثل الشرعي للدولة الإسلامية ، ما يجعل من العمل على إحياء المذهب السني و عودة مكانته أساس هو الآخر و مبدأ لقيام دولتهم و الوقوف في جميع الأخطار التي تهدد سيادة المذهب العام للخلافة ، مستندا ( **نور الدين محمود**) في ذلك إلى رؤى و مبادئ قيام المدارس الزنكية من أفكار و نجاحات سلفه من السلاجقة ( **الوزير نظام الملك**) في العمل على النهوض و ما الثورة و النهضة العلمية التي أسس لها **نور الدين محمود بحلب** و **دمشق** و تنوع المؤسسات التعليمية التي سهرت على رقي الحياة العلمية و الفكرية دليل على امتداد طبيعي قوي بين مدارس **نظام الملك** و مدارس **نور الدين محمود** .

---

**(1) المرجع نفسه ، ص 53** .

## المبحث الثاني : الإسهامات الحضارية لمدارس السلاجقة بالمشرق

إن المشروع العلمي الذي أطلقه السلاجقة بالمشرق و الذي يعد الوزير نظام الملك الطوسي أحد أهم أعلام السلطنة السلجوقية الذين ساهموا في نجاحه و ازدهاره ، بفضل ما قدمه من مجهودات جليلة ساهمت إلى حد بعيد في عودة مكانة المذهب العام للخلافة ، و إحياء الدراسات المتعلقة بهذا الجانب من العلوم الشرعية .

و لعل المدارس التي شيدها **نظام الملك** خدمة لأهل العلم و الحياة العلمية و الفكرية و التي حملت اسمه ، كان لها أثر حضاري قوي بالدولة الإسلامية عموما و المشرق على وجه الخصوص فإلى جانب ازدهار الجانب العلمي و الفكري و تنوع مجالات العلوم و رقي مكانتها فقد قدمت خدمة جليلة للعنصر البشري آنذاك على اعتبار أنها ساهمت ببروز نخبة من المتخرجين منها ( **المدارس النظامية**) في شتى مجالات العلوم تقلدوا مناصب بالدولة على العصر السلجوقي للعمل على خدمة مختلف مجالات الحياة العامة كقضاة ، و علماء بالمدارس نفسها التي درسوا بها ، و غيرها من المناصب [1] .

و من الإسهامات التي تحسب للمدارس النظامية في هذا الجانب أن مشروع نظام الملك العلمي سمح لتلك المدارس التي شيدها من أن تكون قبلة متميزة لخيرة علماء الذين عرفهم عصر السلاجقة ، ما ساعد فيما بعد من أن تكون المدارس النظامية منارات و حواضر علمية ذات قيمة عالية ، بفضل هؤلاء العلماء الذين جلسوا للتدريس بها ، ما مكن طلاب العلم من الأخذ عنهم و العمل على الإقتداء بهم و هو ما ساعدهم على التميز في التحصيل العلمي [2]، و من الأعلام الذين يشهد لهم التاريخ على دورهم الريادي و إسهاماتهم الراسخة كعنصر بشري كان له دوره الحضاري على الصعيد العلمي في عصر السلطنة السلجوقية نذكر : **إمام الحرمين أبي المعالي الجويني و الشيخ ابي عبد الله الدامغاني ، و العالم أبي إسحاق الشيرازي ، و الفقيه العالم أبي حامد الغزالي و الإمام القشيري** و غيرهم من أعلام النظاميات الذين بلغت شهرتهم مراتب جليلة حتى سافر إليهم طلاب العلم من كل صوب و حوب .

---

**(1) نظام الملك :المصدر السابق ، ص 22.21 .**

**(2) المصدر نفسه ، ص 23.22.21.**

كما أنه من بين أهم الإسهامات الحضارية للمدارس النظامية في العصر السلجوقي بالمشرق و **للوزير نظام الملك** و دوره في ازدهار الحياة العلمية و الثقافية هو الوقوف في وجه الفكر التطرفي الشيعي و عودة سيادة المذهب العام للخلافة و نقصد هنا المذهب السني ، و إذا كان رهان الجانب العلمي في عهد **نظام الملك** و المدارس التي شيدها هو العودة إلى إحياء الدراسات السنية فإنه و بفضل بعد نظره في مشروعه العلمي ساهم إلى حد كبير في تحقيق تلك الأهداف على اعتبار أنه خصص لها أوقافا هامة بالإضافة إلى نجاحه في كسب ورقة أهل العلم و نخبة الأوساط الدينية (**السنية**) سمحت بعودة تسيد المذاهب السنية و انكماش الأفكار الشيعية التي راجت و كادت تقضي على الخلافة السنية [1].

و من بين الإسهامات الحضارية التي تحسب للمدارس النظامية في العصر السلجوقي و تحديدا بالمشرق ، هو تنوع البناء العمراني و تخصصه سمحت بأن ترسم منظرا متميزا في البناء و التشييد بأغلب المدن بالمشرق ، فإلى جانب المدارس و القصور و الشوارع و الأسواق ، المساجد و غيرها من المظاهر العمرانية التي كانت سائدة في تلك الفترة ، ظهرت **الخانقاهات** التي حرص **نظام الملك** على أن تكون من بين مؤسسات التعليم التي عنيت بالمتصوفة و طلابهم ، لإيجاد نوع من المساواة بين الأوساط الدينية و الدفع بها نحو هدف واحد و هو العمل على خدمة أهل العلم و الوقوف في وجه جميع الأخطار التي تهدد المذهب العام للخلافة آنذاك [2].

و إلى جانب **المدارس** و **الخانقاهات** التي كانت من بين أهم الإسهامات الحضارية في الجانب العمراني ، نجد ظهور **المكتبات** و ازدهارها على العهد السلجوقي ، حيث عملت على دعم طلاب العلم بمختلف المصنفات في شتى أنواع العلوم ، حتى أضحت من بين أهم العوامل المساعدة على حركية و نشاط المجال العلمي و الفكري في هذا العصر و من تلك الأمثلة عن مكانة المكتبات و دورها الحضاري في العصر السلجوقي ما ذكره **ياقوت الحموي** عن **مكتبة نظامية مدينة مرو** و التي قال عنها أنه قلما يرى المرء مثلها في بنائها و مكانتها العلمية بفضل ما تضمنته من كتب [3] ، التي

---

**(1) المصدر نفسه ، ص 21.**

**(2) المصدر نفسه ، ص 22.21 .**

**(3) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج 5 ، ص 114 .**

انعكست بالإيجاب على حركة التأليف و دورها في إزهار المكتبات ، و اعتبرت من بين أهم الإسهامات الحضارية للمدارس النظامية على العصر السلجوقي ، فإلى جانب الجلوس لإلقاء الدروس و الوعظ بالنظاميات ، عمل علمائها على تأليف الكثير من المصنفات في مختلف أنواع العلوم كحجة قوية دالة على إنتاج علمي متميز كان له دوره في حفظ إرث حضاري كبير سمح لطلاب العلم بالأخذ منها و نشرها عبر مختلف الفترات التاريخية كمصنفات الشيخ **إمام الحرمين أبي المعالي الجويني**[1] ، **مؤلفات العالم أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد الصباغ** [2] **و مصنفات شيخ الإسلام ابي إسحاق الشيرازي** [3] ، **و مؤلفات حجة الإسلام أبي حامد الغزالي**[4] **و مصنفات أبو سعد المتولي**[5] **و مؤلفات الإمام أبي المظفر بن السمعاني**[6] و مصنفات العديد من علماء العصر السلجوقي التي أثرت و دعمت مكتبات المدارس النظامية .

و من مظاهر الإسهامات الحضارية التي صاحبت ظهور و إزهار الحياة العلمية بالمدارس النظامية التي أوجدها وزير السلاجقة الشهير نظام الملك ، هو ذلك التميز و الرقي الذي اكتسبته بل نالته بعض المدن بالمشرق في العصر السلجوقي و ذلك بفضل احتضانها **للمدارس النظامية** و مشروع السلاجقة العلمي حتى أضحت من بين أشهر و أهم الحواضر العلمية إلى جانب مدينة بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية مدن إقليم خراسان كمدينة **مرو**[7] و مدينة **نَيْسَابُورْ**[8] **و هُـرَاةْ**[9]

---

**(1) الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج 18 ،ص475 ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج 5، ص 172.171**

**(2) الذهبي : سير الأعلام ، المصدر السابق ،ج 18 ، ص 464 ؛ السبكي : المصدر السابق ، ج 5، ص 123.122 .**

**(3)الذهبي:سيرالأعلام ،المصدر السابق،ج18،ص 461 ؛ السبكي: المصدر السابق ،ج 4، ص 215 .**

**(4)الذهبي: سير الأعلام ، المصدر السابق ،ج 19،ص 323.322 ؛ السبكي:المصدر السابق،ج5، ص 225.224.**

**(5)المصدر نفسه ، ج 5، ص 107 .**

**(6)المصدر نفسه ، ج 5، ص 342 .**

**(7) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج 5 ، ص 112–116 .**

**(8)المصدر نفسه ، مج 5 ، 331 ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 361 .**

**(9)ياقوت الحموي :المصدر السابق ، مج 5 ، 397.396 .**

إلى جانب مدينة **آمل طبرستان**[1].

و هو ما يعكس البعد الحضاري الكبير للمشروع العلمي للسلاجقة و دور المدارس النظامية في دفع عجلة ازدهار و تطور المدن السالفة الذكر في هذا الجانب.

كما تعتبر المدارس الخاصة التي سمح **الوزير نظام الملك** بظهورها إلى جانب المدارس النظامية في العصر السلجوقي [2] ، احد أهم التأثيرات الحضارية التي عرفها المشرق في هذا العصر على إعتبارها فتحت الباب أمام التدريس بمختلف مذاهب أهل السنة و دورها في ازدهارها بالإضافة إلى كونها ساهمت في تنوع الأوقاف ذات الأغراض العلمية و الدينية على حد سواء و تركها لبصمة واضحة على الواقع العمراني و تنوعه في المنطقة بفضل العلاقة القوية و الإحترام الكبير الذي وزراء و سلاطين السلاجقة بعلماء عصرهم و أمثلة تلك المدارس كثيرة لعل أشهرها **مدرسة مشهد أبي حنيفة المنسوبة للعالم أبو سعد محمد بن كمنصور الخوارزمي**[3]، و **مدرسة المخرمي لصاحبها القاضي أبو سعد المبارك بن علي بن الحسن المخرمي**[4] ، و **مدرسة قراح ظفر لصاحبها أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي**[5] ، و **المدرسة التاجية المحسوبة على واقفها أبو الغنائم المرزبان خسرو**[6] ، و غيرها من المدارس التي أوقفها نخبة من علماء العصر السلجوقي خدمة لأهل العلم سمحت بشكل كبير في تنوع البناء الحضاري و العمراني الداعم لنشاط الحركة العلمية و الفكرية في العصر السلجوقي .

---

**(1) المصدر نفسه ، مج 3 ، ص 113 .**

**(2) نظام الملك :المصدر السابق ، ص 22 .**

**(3) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 8، ص 380 ؛ ابن كثير : البداية و النهاية ، ج 16 ، ص 12؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، ج 16 ، ص 101.100 .**

**(4)الذهبي : سير الأعلام ، المصدر السابق ،ج19 ، ص428 ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ،ج 2،ص 402 .**

**(5)السبكي : المصدر السابق ، ج 6، ص 72 .**

**(6)ابن كثير : المصدر السابق ، ج 16 ،ص 133 ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق، ج 16 ، ص 313 .**

## المبحث الثالث : الإسهامات الحضارية لمدارس الزنكيين بالمشرق

إن ظهور الأسرة الزنكية عقب فترة تراجع دور السلطنة السلجوقية بالمشرق و خاصة بالموصل و بلاد الشام و ذلك الدور الكبير الذي لعبه ملوكها و أمرائها في العمل على صد جميع الأخطار التي هددت الدولة الإسلامية و توحيد صف المسلمين لأجل ذلك ، يعد إنجازا سياسيا و عقائديا ضخما ساهم إلى حد كبير في عودة الإستقرار و الأمن لأقاليم الدولة الإسلامية و انعكس إيجابا على تطور و ازدهار مجالات الحياة العامة و دلالات ذلك الرقي العلمي و الفكري للحياة العلمية على عهد **نور الدين محمود زنكي**.

لقد كان لتأثير العلاقات القوية و التواصل الطبيعي اللذين جمعا الملوك و الأمراء الزنكيين بالسلاطين السلاجقة و نجاح تجربة الإصلاح و النهضة على الصعيد الداخلي المقتبسة عن **الوزير نظام الملك** في الدولة الزنكية أثر إيجابي كبير في تطور الحياة العلمية و الفكرية بالأقاليم التي حكموها [1] ، بإعتبارها غيرت الواقع الحضاري للمنطقة بدلالة ذلك التشابه الكبير في السياسة المعتمدة من طرف **نور الدين محمود** في المجال العلمي حيث أنشأ و أكثر من بناء المدارس التعليمية و مختلف المؤسسات الداعمة لمشروعه العلمي لتحقيق الأهداف التي أوجدت لأجلها [2] .

إن الدور الكبير الذي لعبته المدارس التعليمية على العهد الزنكي في دفعها لعجلة التطور و الإزدهار العلمي و الفكري دليل قوي على أبعاد المشروع العلمي الذي أطلقه ملوكها و على رأسهم **نور الدين محمود زنكي** ، حيث تركت بصمات عديدة دلت عليها ، و لعل أكبر إسهام حضاري لمدارس التعليم التي أوجدها **نور الدين محمود** هو إحيائها للدراسات السنية و خدمة المذهب العام للخلافة الإسلامية باعتبارها امتداد طبيعي و ارتباط فطري بالمدارس النظامية التي أوجدها **الوزير القدير نظام الملك** على العهد السلجوقي في وقت سجل فيه هذا المجال (المجال العلمي) فترة أو مرحلة من التراجع و الأفول [3].

---

**(1) يسري عبد الغني عبد الله :المرجع السابق ، ص 53 .**

**(2)الذهبي: سير الأعلام ، المصدر السابق ،ج20، ص531–539؛ ابن العماد: المصدر السابق،مج06،ص378–382 ؛ ابن الأثير: التاريخ الباهر،ص ،170– 171.**

**(3) يسري عبد الغني عبد الله :المرجع السابق ، ص 53 .**

و من الإسهامات الحضارية للمدارس الزنكية أنها أوجدت مناخا ملائما لعودة تسيد جميع المذاهب السنية في المشروع العلمي الذي أطلقوه على اعتبار قناعة **نور الدين زنكي** بدعمها مجتمعة بالنظر إلى خطورة الواقع السياسي الذي عاشته المنطقة و العمل على توفير لها جميع العوامل المساعدة على رقيها و ازدهارها من خلال تخلي رجالات الفكر و العلماء و عامة الناس من قيود الإنتماء المذهبي الضيق بين مذاهب أهل السنة و نبذ التفرقة ، لذا أوجد **نور الدين**هذا الجو الملائم من خلال تنوع المدارس و خدمتها لمذاهب السنة دون التفريق بينها ، لصدها لجميع الأخطار المحدقة بالدولة الإسلامية سواء تعلق الأمر بمواجهة الفكر الشيعي أو أفكار التنصير المصاحبة للحملات الصليبية على أقاليم الدولة [1] .

عكس نظرة **نظام الملك** الذي أوجد نظاما خاصا بالتدريس على المذهب الشافعي في المدارس النظامية ما جعله سيدا على بقية المذاهب ، و بقي التدريس ببقية المذاهب السنية حكرا فقط على بعض المدارس التي أوجدها أئمة خدمة للمذاهب السنية الأخرى [2].

و بالتالي فإزدهار المذاهب السنية و إنتعاشها في عهد مدارس **نور الدين محمود** و الأمراء الزنكيين من السمات البارزة و الإسهامات الحضارية القوية في هذا العهد .

و من الإسهامات الحضارية لمدارس التعليم في العهد الزنكي و التي اشتركت بها مع إسهامات المدارس النظامية هو ظهور نخبة من أعلام المذاهب السنية في عصر المدارس الزنكية كان لهم بالغ الأثر في إزدهار و تطور الحياة العلمية و الفكرية [3]، و لعل من أسباب بروز هذه الفئة المؤثرة في واقع الحياة العامة بالمشرق على العهد الزنكي هو تتلمذ البعض فيهم على يد أعلام المدارس النظامية إذا ما نظرنا إلى إرتباط فترة ظهور الزنكيين بأواخر عهد السلطنة السلجوقية، الذي إنعكس بالإيجاب في تكوين شخصيتهم العلمية ، و خدمة الحياة العلمية و أهل العلم في عهد

---

**(1) نورين برمة عبد الكريم : الحياة العلمية في العهد الزنكي ، بحث تكميلي لنيل درجة البكلاريوس ، جامعة الخرطوم ، ص 12 .**

**(2) نظام الملك :المصدر السابق ، ص 22 .**

**(3) الذهبي: سير الأعلام ،ج 20، ص 532– 534 ؛ ابن العماد: شذرات الذهب ،مج 6 ،ص378– 380 ؛ بن أبي الوفاء : الجواهر المضية ،ج 3، ص 440 ؛ ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص 170– 172.**

حكم الأسرة الزنكية و هو ما يأكد الإرتباط القوي و الوثيق بين أعلام المدرستين النظامية السلجوقية و المدارس الزنكية .

كما يمكن الإشارة إلى الدور الحضاري الذي لعبته المدارس التعليمية في العهد الزنكي حيث قدم علمائها منتوجا و إرثا عليا ساهم إلى حد كبير بإثراء المكتبات العامة و الخاصة و دورها الكبير في دعم طلاب العلم بمصنفات في شتى أنواع العلوم في مسارهم الدراسي **كمصنفات العالم جمال الدين المصري مدرس العادلية الكبرى**[1] ، و **مؤلفات الشيخ عبد الله بن محمد بن أبي عصرون**[2] ، و **مصنفات الإمام بهاء الدين أبو حامد بن تقي الدين السبكي**[3] و غيرها من المصنفات التي أثرت الحياة العلمية و الفكرية في العهد الزنكي .

و من الإسهامات الحضارية في الجانب العمراني و دور المدارس الزنكية في هذا الشأن هو إزدهار المدن و الحواضر في هذا العصر ، على إعتبار أن أغلب المدارس الزنكية نستطيع القول بأنها تواجدت بكل من **الموصل و دمشق و حلب** ، ما سمح لهذه المدن من أن تلعب دورا رياديا كبيرا في تطور الحياة العلمية و الفكرية ، كونها أصبحت تعبر عن أبرز و أهم المراكز العلمية التي أصبحت قبلة لطلاب العلم بالشام و منارات نافست إلى حد كبير المدن و لحواضر العلمية الكلاسيكية بالدولة الإسلامية كمدينة **بغداد** ، **البصرة** ، **نيسابور** ، **هراة** و غيرها من المدن التي أنشأ بها **نظام الملك المدارس النظامية** [4]، حيث عبر **ابن حوقل** عن جمال و بهاء مدينة **دمشق** و ضواحيها و**حلب**و ما جاورها ، من خلال ذكر تفاصيل مناظرها و ما احتوته من تنوع معماري و هي دلالة على مدى رقي المظاهر الحضارية التي عرفتها المدينتين [5] .

---

**(1) ابن العماد :المصدر السابق ، مج 7، ص 197 .**

**(2)السبكي : المصدر السابق ، ج 7، ص 134.133 .**

**(3)ابن العماد :المصدر السابق ، مج 8، ص 389 .**

**(4) يسري عبد الغني عبد الله :المرجع السابق ، ص 53 .**

**(5) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 161.160 ، 163–165 .**

أضف إلى ذلك تنوع الأوقاف ذات الأغراض التعليمية الداعمة لمشروع الزنكيين العلمي في المنطقة ، حيث اعتبرت من بين أهم الإسهامات الحضارية في الجانب العلمي و ذلك من خلال الدور الكبير الذي لعبه **نور الدين محمود زنكي** و الأمراء الزنكيين في بناء **الرباطات و الخانات و المارستانات و الخوانق و دور العدل** ، بهدف إيجاد مناخ ملائم يدعم نشاط و ازدهار الحركة العلمية و الفكرية ، و الذي ساهم في ازدهار حركة التعمير و البناء التي انعكست إيجابا على واقع المظهر العام للمدن و الحواضر في العهد الزنكي [1].

و عليه فإن أثر الإسهامات الحضارية للمدارس التعليمية في العهد الزنكي جلي بفضل جهود ملوكها ، و أمرائها في العمل على دعم المجال العلمي و انتشار دور التعليم بالأقاليم التي حكموها لتلتحق بركب السلاجقة في إسهاماتها الحضارية بالمشرق في تلك الفترة .

---

**(1) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص 172– 170** .

# الخـــاتـمـــــة

## ﴿ الخاتمـــــة ﴾

إن البحث في الميدان العلمي و الفكري خاصة في الدراسات التاريخية التي تتناول الكشف عن ماضي الشعوب و الأمم الغابرة ، و خاصة تلك الحقب التي خلت من تاريخ الدولة الإسلامية و إسهامات العنصر البشري في صنع حضارتها العتيدة و العتيقة الضاربة بجذورها في التاريخ ، لمن الأشياء الهامة سمحت لي بالغوص و تقصي جزء من حقيقة ماضي الدولة الإسلامية على العهدين السلجوقي و الزنكي في مجال الحياة العلمية و الفكرية تحديدا البناء العمراني الداعم لازدهار هذا المجال و تطوره تلك المدارس التعليمية و المراكز العلمية التي كان لها أثر كبير و واضح في ازدهار مختلف أنواع العلوم في العهدين و تحقيق نهضة علمية و فكرية متميزة كانت بمثابة العلامة الدالة على الإسهامات التي قدمها السلاجقة و الزنكيون في تلك الفترة .

إن ما تقدم من عرض لتفاصيل و حيثات هذا البحث حول المدارس التعليمية في العهدين السلجوقي و الزنكي بالمشرق و ما قدموه من خدمات جليلة للدولة الإسلامية ، قد سمح لي بالوقوف عند مجموعة من الإستنتاجات أهمها :

* أن حقيقة قيام الإمارات الإسلامية المستقلة في المشرق كالدولة السلجوقية يرجع في الأساس إلى تلك الظروف السياسية الصعبة التي رافقت الخلافة العباسية من تراجع لمكانتها و تغلغل نفوذ بني بويه الشيعي الذي كـاد أن يقضي على الخلافة الإسلامية السنية ، ما دفع بالسلاجقة إلى التدخل و القضاء عليهم ، و إعلان بداية مرحلة جديدة من تاريخ الخلافة الإسلامية قوامها تبعية السلاجقة للعباسيين باعتبارهم الخلفاء الشرعيين للدولة الإسلامية اسميا و تسيدها في إدارة شؤون الدولة داخليا و خارجيا ، ما سمح بعودة الإستقرار و الأمن و بعث النهضة الإصلاحية التي أطلقها السلاجقة لإصلاح أحوال المجتمع .

* لقد ساهم السلاجقة في اتساع حـدود الدولة الإسلامية بفضل الأقاليم التي أضافوها إلى حكـم و نفوذ الخلافة بفضل جهود سلاطينها العظام في مقدمتهم طغرلبك و ألب أرسلان و أبنه ملكشاه و هو ما عكس البعد الإستراتيجي في عمليات التوسع التي اعتمدها السلاجقة آنذاك .

* تمذهب السلاجقة على السنة سمح لهم ذلك باعتماد سياسة إصلاحية دعمت بشكل كبير عودة سيادة المذهب السني الذي يعبر عن التوجه العقائدي للخلافة و الدولة الإسلامية و هو ما استغله وزراء السلاجقة بدعم من سلاطينهم في بعث و إحياء الدراسات السنية انطلاقا من تجربة الوزير القدير نظام الملك الطوسي التي شهدت فيه السلطنة أوج عطائها و أرقى مكانة عرفتها من خلال

جملة الإصلاحات التي اعتمدها و في مقدمتها جانب الإدارة و الحياة العلمية و الفكرية التي نالت نصيبا هاما من مشروعه الإصلاحي بدلالة ظهور المدارس التعليمية النظامية التي كانت أبرز حدث علمي ساهم في ازدهار العلوم الشرعية و إحياء الدراسات السنية على الإطلاق بفضل شخصية الوزير نظام الملك الإستثنائية و نخبة أعلام عصره الذين كانوا بمثابة أساس لقيام نهضته الفكرية .

* تنوع البناء الحضاري و ازدهار المدن التاريخية بالمشرق على العهد السلجوقي بفضل دعم السلاجقة لإنتشار دور التعليم ( المدارس النظامية ) التي جعلت منها منارات علمية بامتياز و الغرض منها خدمة طلاب العلم و الحرص على تسيد المذهب السني بأغلب أقاليم التي حكموها .

* إنحصار النفوذ الشيعي الباطني و تراجعه بالمشرق و ذلك بفضل البعد الإستراتيجي لمشروع السلاجقة العلمي فإلى جانب القوة العسكرية في مواجهة خطر التشيع على البلاد الإسلامية عمل السلاجقة على إيجاد آليات أخرى في مواجهتهم للفكر الشيعي ، فحرصوا و اعتنوا بنشر المدارس النظامية في ربوع الدولة الإسلامية و إجلاس بها خيرة علماء العصر بهدف إقامة الحجة و كسب المعركة الفكرية و التي خصص لها نظام الملك اهتماما كبيرا من خلال كثرة الأوقاف و كسب ورقة رجالات العلم و الأوساط الدينية و عملهم في مواجهة الأفكار الضالة التي كان الشيعة ينشرونها في البلاد السلامية .

* ظهور نخبة من أعلام و أئمة المذاهب السنية التي كان لها أثر كبير في مواصلة نشاط الحركة الفكرية و العلمية في العصر السلجوقي بفضل نشاط المدارس النظامية و ازدهارها .

* إزدهار المكتبات و ذلك بفضل كثرة الإنتاج العلمي لعلماء العصر السلجوقي و التي أثرت مكونات المكتبات بالدولة الإسلامية لتكون مادة خاما يرجع إليها طلاب العلم و الأخذ عنها في شتى أنواع و مجالات العلوم .

* دور العلماء و مكانتهم الرفيعة في المشروع العلمي للسلاجقة ، فبفضل صلاتهم و مكانتهم التي حققوها عند الوزراء و السلاطين السلاجقة ، فقد ساهموا إلى حد كبير في الحفاظ على أهداف هذا المشروع العلمي بل تعداه إلى إقامة مدارس خاصة ، لعبت دورا هاما إلى جانب النظاميات في استمرارية نشاط الحركة العلمية و الفكرية .

* تعصب السلاجقة للمذهب الشافعي و الذي كان أساس قيام مشروعهم العلمي و هو ما فتح المجال أمام دخولهم في صراعات مذهبية مع بقية المذاهب السنية .

* كما نستطيع القول بأن نفوذ السلاجقة شكّل في كثير من الأوقات تهديدا على الخلافة العبّاسية و لولا تدخل العلماء لخرجت الأوضاع عن السيطرة و عليه يمكن اعتبار أن الدولة السّلجوقية

مارست نفس الضغوط على الخلافة مثل التي مورست في عهد بني بويه لكن الإختلاف القائم هنا هو الإختلاف في الطبيعة المذهبية و العقدية بين الطرفين .

أما فيما يتعلّق بالنتائج التي توصلت إليها حول المدارس الزنكية و إسهاماتها الحضارية بالمشرق فجاءت على النحو الآتي :

* الإرتباط السياسي و العرقي للزّنكيين بنضرائهم من السّلاجقة ، على اعتبار صلات التواصل و الولاء التي جمعت الطّرفين ، فإلى جانب نسب الزنكيين الذي يعود إلى إحدى أهم القبائل و أعظمها مكانة عند القبيلة الأم للسّلاجقة ، فقد سمح لهم من أن تكون لديهم كلمة و مكانة مهمة عند السلاجقة ساعدهم ذلك على بعث مشروعهم السياسي بالمشرق ، بعد دخول أبناء البيت السلجوقي في صراعات دامية حول كرسي السلطنة ، الأمر الذي أنتهى بها إلى الإنقسام و التّشتّت و فتح المجال أمام بروز قوّة الأتابكة الزنكيين بالموصل و بلاد الشام .

* الدور السياسي الكبير الذي لعبه الزّنكيّون في الوقوف في وجه الأخطار المحدقة بأقاليم الدّولة الإسلامية ببلاد الشّام ، من خلال الجهاد ضدّ التواجد الصليبي و الخطر الشيعي هناك .

* الإسهامات الحضارية الجليلة التي قدمها الزّنكيّون بالموصل و بلاد الشام من خلال مشاريعهم الإصلاحية التي كانت تهدف إلى إحلال و إقامة العدل و السنّة بالأقاليم التي حكموها و هو ما يؤكّد على استكمالهم للنّهضة التي أطلقها السلاجقة في أقاليم الدولة الإسلامية .

* تأثّر الزنكيون بالنّظم و تقاليد الإدارة السلجوقية ، و هو بمثابة تأكيد على الإرتباط الوثيق و الإنتماء الفطري و الطبيعي لأسرة السلاجقة .

* تأثّر الزنكيون بالإصلاحات العلمية التي أطلقها السلاجقة و خاصة المدارس النظامية ، حيث حاكى الزنكيون ببلاد الشام و الموصل تقليد بناء المدارس التعليمية ، لتكون بذلك الحلقة الثانية من المشروع العلمي الذي بدأه الوزير نظام الملك الطوسي ، ليعمل نور الدين محمود زنكي و من جاء بعده من الملوك و الأمراء الزنكيون على استكمال ما بدأه نظام الملك في الجانب العلمي .

* إزدهار مدن بلاد الشام مثل دمشق و حلب بفضل حركية الحياة العلمية و ازدهارها الفكري لتكون بمثابة أبرز الحواضر و المنارات العلمية التي حلّت مكان المدن التقليدية أو الكلاسيكية و التي انتعشت في عهد السلاجقة على شاكلة مدن العراق كبغداد و البصرة و بعض من مدن إقليم خراسان كنيسابور ، هراة و بلخ و غيرها من المدن العتيدة بالدولة الإسلامية .

* ظهور نخبة من أعلام المدارس الزّنكية كان لها أثر كبير في ازدهار مختلف أنواع العلوم ، مما أدّى فيما بعد إلى دورهم الكبير في إثراء مكتبات مدن الشّام بمؤلفاتهم و مصنفاتهم القيّمة في

شتى أنواع العلوم ، و التي عكست تنوّع و ثراء الإنتاج العلمي المصاحب لنشاط المدارس التّعليميّة في العهد الزّنكي .

* و لعلّ أبرز النتائج التي تحسب للمدارس التّعليميّة في العهد الزّنكي و إسهاماتها الحضارية بالمشرق هو عودة ازدهار المذاهب السّنّية و وحدتها في مواجهة الأخطار التي كانت تحدق بها ، على اعتبار أنّ نور الدين محمود زنكي و قناعة بضرورة البعد عن التعصب المذهبي ، و العمل على وحدة صف الأمة الإسلامية في مواجهة تلك الاخطار ، من خلال تشييده للمدارس التعليمية التي أعتنت بالتدريس بجميع المذاهب دون تمييز ، ساهم بشكل كبير في وحدة المذاهب السّنّية و عملها المشترك في خدمة الدّولة الإسلامية و الحفاظ على مذهبها العام أنذاك .

و في الأخير نتستطيع القول بأن المدارس التّعليميّة في العهدين السّلجوقي و الزّنكي قدّمتا خدمات جليلة ساهمت بشكل واضح في انتشال الخلافة الإسلامية من عديد المعضلات كعودة الإستقرار السياسي و تسيد المذهب العام للخلافة الإسلامية ( المذهب السني ) بفضل دعهما للنّشاط العلمي و الفكري بالمشرق و القضاء عليها ، كما يجب علينا الإقتداء بها و العمل على البحث أكثر حول خصوصياتها و أخذ العبر منها .

# قـائـمـة الـمـلاحـق

# الملاحق

## الملحق الأول

« خارطة سياسية توضح حدود الدولة السلجوقية »

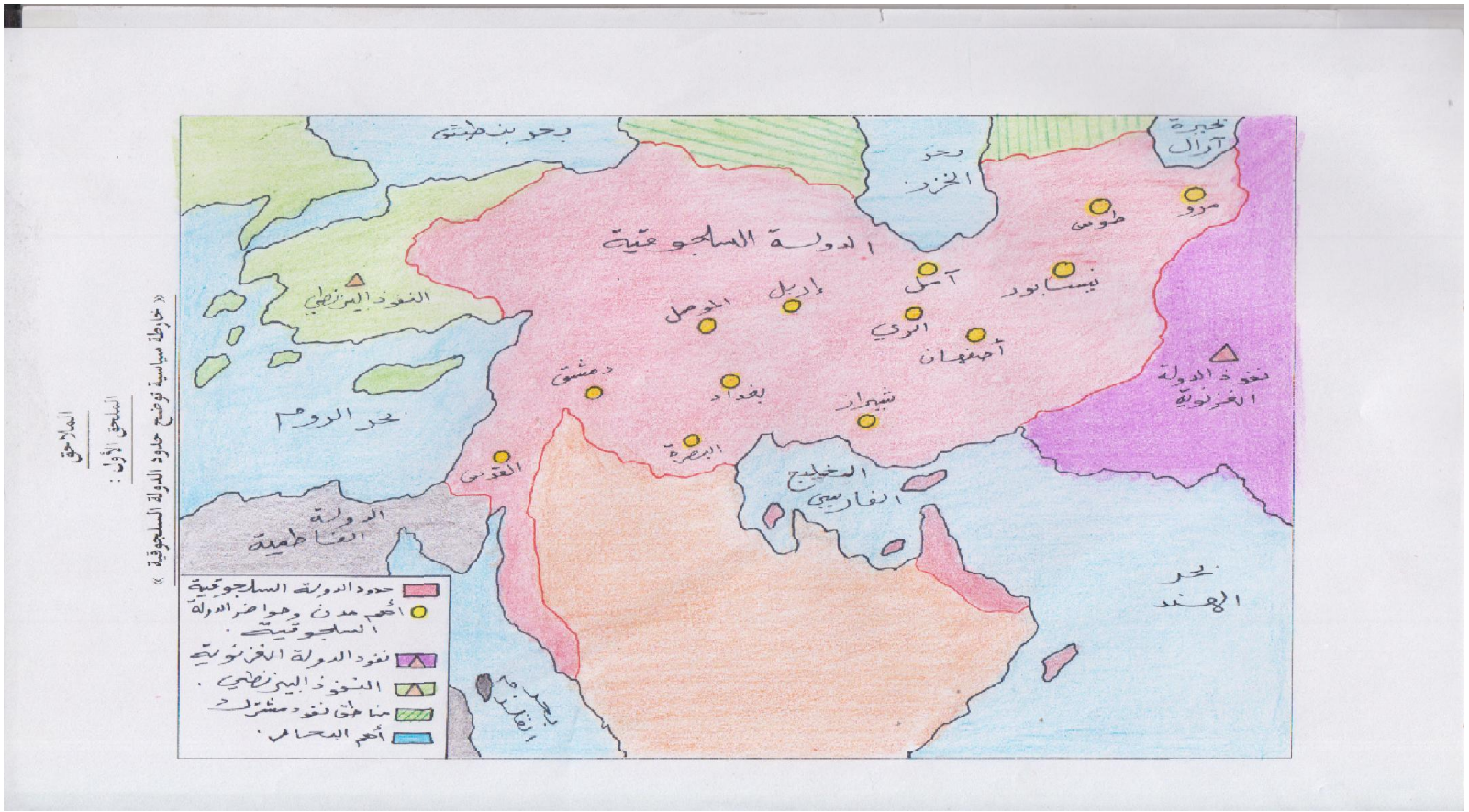

## الملحق الثاني

**« خارطة توضح انتشار مدارس العصر السلجوقي ( المدارس النظامية ) في المشرق »**

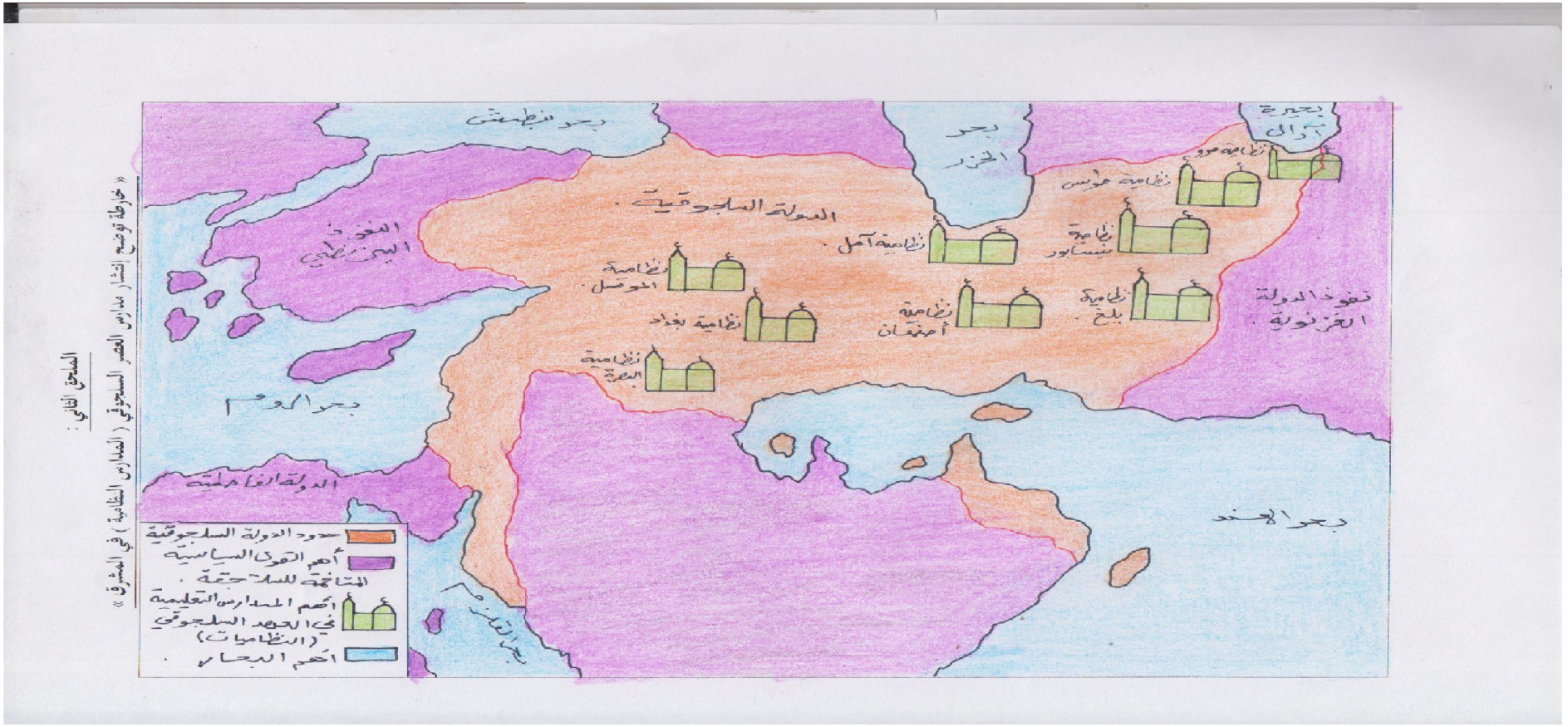

# الملحق الثالث

## « خارطة سياسية توضح حدود الدولة الزنكية »

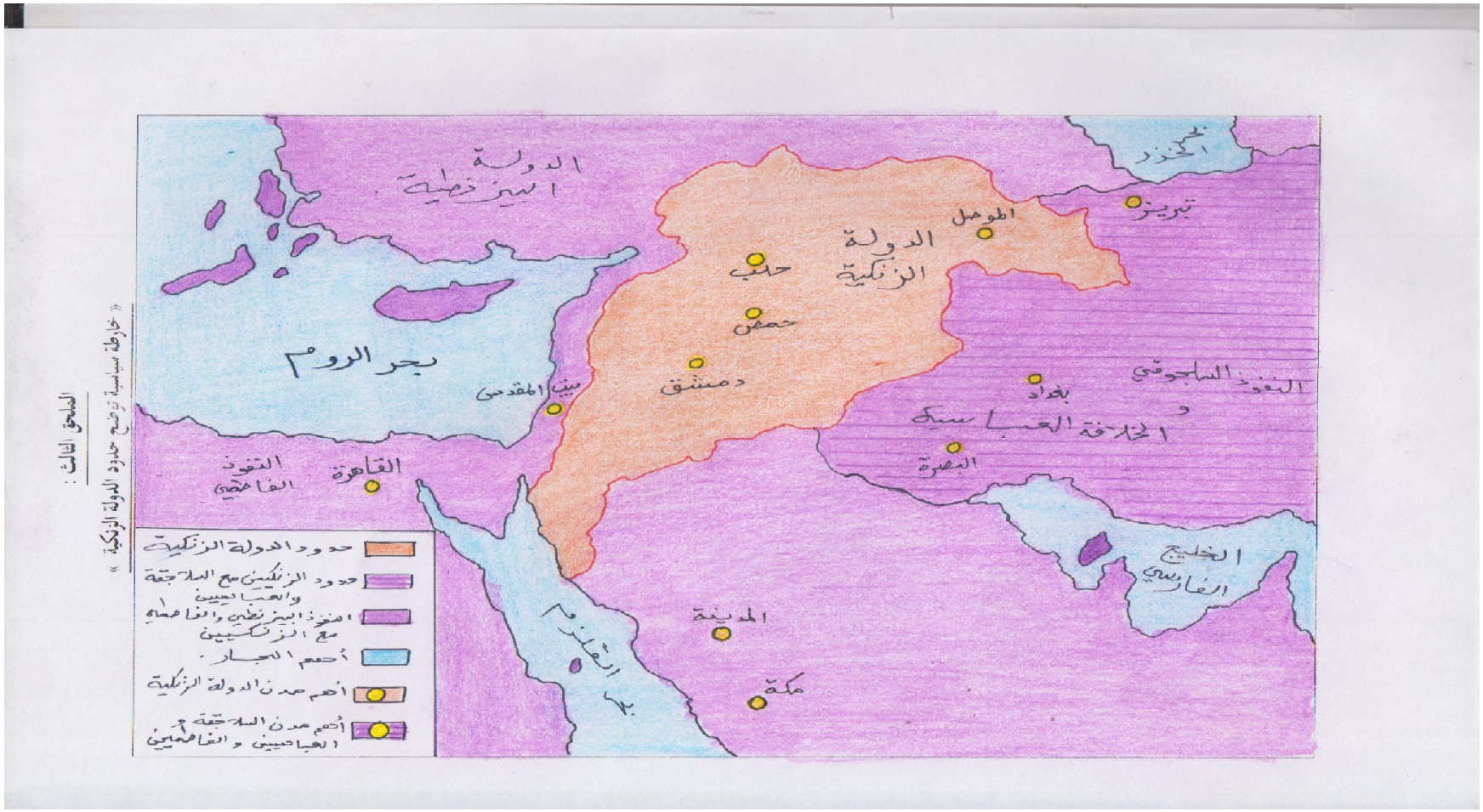

## الملحق الرابع

**« خارطة توضح انتشار مدارس العصر الزنكي في المشرق »**

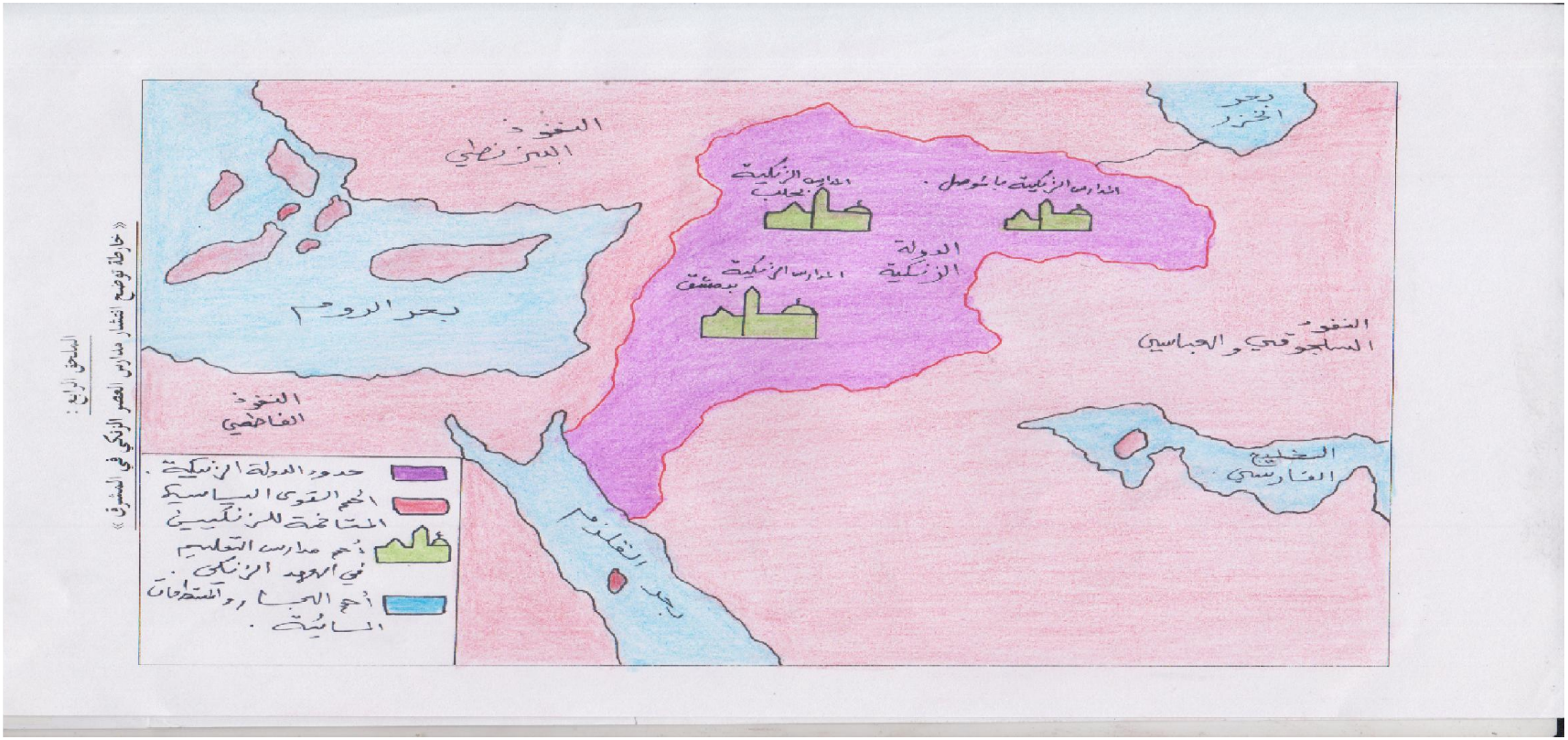

**الملحق الخامس :**

**أهم علماء المدارس النظامية في العصر السلجوقي**

| الرقم | العالم | مولده و وفاته | أشهر المناصب و الأعمال |
|---|---|---|---|
| 1 | أبو سعيد أحمد بن محمد الخجندي | توفي سنة 431هـ/1039م | التدريس بالمدرسة النظامية بأصبهان . |
| 2 | أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري فقيه الشافعية ، المعروف بالماوردي . | توفي سنة450هـ/1058م | أسند إليه قضاء مدينة بغداد و بها لقب بقاضي القضاة . |
| 3 | أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي | توفي سنة464هـ/1071م | شغل منصب القائم على ديوان السلطان ملكشاه السلجوقي و بنى مدرسة مشهد أبي حنيفة ببغدادسنة459هـ/ 1066م. |
| 4 | عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر بن أبو نصر الصباغ | ولد سنة 400 هـ/1010م توفي سنة474هـ/1084 م | التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد و مصنفات :كتاب الكامل الفتاوى ، الشامل ، عبدة العالم و الطريق السالم و كتاب كفاية السائل . |
| 5 | أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف ، الشيرازي الفيروز أباذي ، الملقب بجمال الدين | ولد سنة 393 هـ/1002 م توفي سنة476هـ/1083 م | التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد و مصنفات :المهذب في المذهب، التنبيه في الفقه ، اللمع و شرحها في أصول الفقه ، و كتاب التبصرة و كتاب التلخيص في الجدل . |
| 6 | أبو سعد عبد الرحمان بن مأمون بن علي النيسابوري المتولي | توفي سنة 478هـ/1085م | التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد و مصنفات :كتابالتتمةالمتمم لكتاب الإبانة لشيخه أبي القاسم الفوراني ،و له أيضا مؤلف في الأصول و الفرائض و كتاب كبير في الخلاف |

* أسماء علماء المدارس النظامية في العصر السلجوقي مرتبة حسب سنة الوفاة من الأسبق إلى الذي يليه .

* ترجمات أعلام المدارس النظامية مأخوذة عن كتب التراجم و الطبقات المعتمد عليها في إعداد المذكرة .

| | | | |
|---|---|---|---|
| 7 | عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيويه الجويني، النيسابوري | توفي سنة 478هـ/1085م | مرآة الزمان و نهاية المطلب في رواية المذهب ، و كتاب الإرشاد |
| 8 | أبو عبد الله محمد بن على بن الحسين بن عبد الملك بن حمويه الدامغاني | ولد سنة418هـ/1027 م<br>توفي سنة478هـ/1085م | ولي منصب قاضي قضاة مدينة بغداد . |
| 9 | أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن فورك | توفي سنة478هـ/1085م | فقيها و مناظرا بالمدرسة النظامية ببغداد . |
| 10 | علي بن المظفر بن حمزة بن يزيد بن حمزة بن محمد العلوي الحسيني ، أبو القاسم بن أبي يعلى الدبوسي | توفي سنة 482هـ/1089م | التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد . |
| 11 | محمد بن ثابت بن الحسن الشافعي الواعظ أبو بكر الخجندي | توفي سنة483هـ/1090م | التدريس بالمدرسة النظامية بأصبهان . |
| 12 | محمد بن علي بن حامد الإمام أبو بكر الشاشي | ولد سنة397هـ/1005م<br>توفي سنة 485هـ/1092م | التدريس بالمدرسة النظامية بهراة . |
| 13 | عبد الله بن طاهر بن محمد بن شهفور، الإمام أبو القاسم التميمي | توفي سنة 488هـ/1095م | التدريس بالمدرسة النظامية ببلخ . |
| 14 | منصور بن محمد بن بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد، أبو المظفر السمعاني | ولد سنة 426 هـ/1034 م<br>توفي سنة 489هـ/1095م | التفسير ،الإنتصار و البرهان و القواطع |
| 15 | عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن أبا سعيد بن أبي القاسم القشيري | ولد سنة 428 هـ/1036 م<br>توفي سنة 494هـ/1100م | التدريس بالمدرسة النظامية في نيسابور. |
| 16 | أبو عبد الله الحسين بن علي الطبري . | ولد سنة 418 هـ/1027 م<br>توفي سنة 498هـ/1104م | له مصنف بعنوان "العدة" ألفه في خمسة أجزاء ضخمة . |
| 17 | عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد ، الإمام الجليل | ولد سنة 415 هـ/1023م<br>توفي سنة 502هـ/1108م | التدريس بالمدرسة النظامية بآمل طبرستان و له مصنفات أشهرها حقيقة |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | أبي المحاسن الروياني | | القولين ،مناصيص الشافعي ، و الكافي |
| 18 | أبو الفضل محمدبن قنان بن حامد بن الطيب الأنباري | ولد سنة 445هـ/1053 م<br>توفي سنة503هـ/1109م | ولي القضاء على مدينة البصرة ثم معيدا بالمدرسة النظامية . |
| 19 | أبو الحسن محمد بن علي الطبري الهراسي | ولد سنة 405 هـ/1014م<br>توفي سنة 504هـ/1110م | التدريس بالمدرسة النظامية في نيسابور. |
| 20 | محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، أبي حامد الغزالي | ولد سنة 450هـ/1058م<br>توفي سنة 505هـ/1111م | التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد و مصنفات :المعتقد إلجام العوام ، معتقد الأوائل، جواهر القرآن، الغاية القصوى ،الرد على الباطنية ، و كتاب إحياء علوم الدين . |
| 21 | أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي الشافعي | توفي سنة507هـ/1113 م | التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد و بناءه لمدرسته و المسماة بقراح ظفر |
| 22 | أبو سعد المبارك بن علي بن الحسين المخرمي | توفي سنة513هـ/1119م | بنى مدرسة سميت بمدرسة المخرمي بمدينة بغداد . |
| 23 | أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي الأبرادي | توفي سنة531 هـ/1136م | بناءه لمدرسته التي سميت بمدرسة الأبردي بمدينة بغداد . |
| 24 | أبو سعد محمد بن يحيى بن أبي منصور النيسابوري | ولد سنة 470 هـ/1077م<br>توفي سنة 548هـ/1153م | التدريس بالمدرسة النظامية بهراة . |
| 25 | أبو بكر محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندي | توفي سنة552هـ/1157م | التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد . |
| 26 | كمال الدين أبو الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الرازي | توفي سنة556هـ/1160م | بنى مدرسة عرفت باسم المدرسة الكمالية . |
| 27 | أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني | ولد سنة499 هـ/1105 م<br>توفي سنة560هـ/1164م | شغل منصب وزيرا للمقتفي لأمر الله ،سنة 544 هـ/1149م و بنى مدرسته التي أوقفها للحنابلة . |
| 28 | أبو نجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي | ولد سنة490 هـ/1096 م<br>توفي سنة563هـ/1167م | دريس بالمدرسة النظامية ببغداد و بنى مدرسته إلى جانب دجلة. |
| 29 | أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي الشافعي | توفي سنة563هـ/1167م | التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد . |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 30 | كمال الدين ابن الفضل محي الدين محمد بن الشهرزوري | توفي سنة 586هـ/1190م | قاضي قضاة مدينة الموصل ثم التدريس بالمدرسة النظامية بالموصل |
| 31 | أبو العباس أحمد بن نصر بن الحسين الأنباري المعروف بالشمس الدنبلي | توفي سنة 598هـ/1201م | قاضي مدينة بغداد ثم التدريس بالمدرسة النظامية بالموصل |

## الملحق السادس

## أهم علماء المدارس النظامية في العصر الزنكي

| الرقم | العالم | مولده و وفاته | أشهر المناصب و الأعمال |
|---|---|---|---|
| 1 | شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون | ولد سنة 492هـ/1098 م<br>توفي سنة585هـ/1189م | درس و أفتى بالمدرسة العصرونية بدمشق . |
| 2 | العالم برهان الدين مسعود بن شجاع الأموي الدمشقي | توفي سنة599هـ/1202م | التدريس بالمدرسة النورية الكبرى بدمشق . |
| 3 | عمر بن عبد العزيز بن حسن بن علي بن محمد بن علي القرشي ،الملقب بالعز القرشي | توفي سنة615هـ/1218م | عمل بعدة مناصب لعل أبرزها قضاء مدينة حمص و التدريس بالأسدية . |
| 4 | أبو الوليد يونس بن بدران بن فيروز بن صاعد بن محمد بن علي الشيبي الشافعي | توفي سنة623هـ/1226م | تولى التدريس بالمدرسة العادلية الكبرى بدمشق. |
| 5 | عبد الجبار عبد الواحد بن عبد اللطيف الأنصاري الملقب بكمال الدين الحرستاني . | توفي سنة624هـ/1226م | درس و أفتى بالمدرستين الكلاسة و الأكزية بدمشق . |
| 6 | شمس الدين بن سني الدولة يحيى بن هبة الله الدمشقي الشافعي | ولد سنة552هـ/1157 م<br>توفي سنة635هـ/1237م | تولى قضاء الشام و التدريس بالمدرسة الإقبالية بدمشق . |
| 7 | الإمام جمال الدين محمود بن أحمد الحصيري | توفي بها 636هـ/1238م | تولى التدريس بالمدرسة النورية الكبرى بدمشق. |
| 8 | نجم الدين مظفر بن محمد بن إلياس الأنصاري الدمشقي | توفي سنة657هـ/1258م | درس بالمدرسة العصرونية بدمشق . |
| 9 | كمال الدين عمر أبو حفص بن بندار ابن عمر التفلسي | ولد سنة 602هـ/1205 م<br>توفي سنة672هـ/1273م | إشتغل بمناصب عديدة أبرزها قضاء دمشق و التدريس بالعادلية الكبرى. |

* أسماء علماء مدارس العصر الزنكي مرتبة حسب سنة الوفاة من الأسبق إلى الذي يليه .

* ترجمات أعلام المدارس الزنكية مأخوذة عن كتب التراجم و الطبقات المعتمد عليها في إعداد المذكرة .

| | | | |
|---|---|---|---|
| 10 | محي الدين أبو الخطاب عمر بن محمد بن أبي سعد بن أبي عصرون | توفي سنة682هـ/1283م | درس بالمدرسة العصرونية بدمشق. |
| 11 | صدر الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن هبة الله ابن سني الدولة الدمشقي الشافعي | ولد سنة 590هـ/1193 م<br>توفي سنة685هـ/1259م | تقلد مناصب عديدة أهمها منصب القضاء و وكالة بيت المال ، ثم مدرسا بالإقبالية و المدرسة الجاروخية و العادلية الكبرى . |
| 12 | بهاء الدين أبو الفضل يوسف بن القاضي محي الدين يحيى الدمشقي | توفي سنة685هـ/1286م | التدريس بالمدرسة الكلاسة بدمشق . |
| 13 | جمال الدين أبو محمد عبد الكافي | ولد سنة612هـ/1215 م<br>توفي سنة689هـ/1290م | ولي عدة مناصب أبرزها مفتي و خطيب دمشق ، و مدرسا بالمدرسة الأصفهانية . |
| 14 | نظام الدين بن جمال الدين محمود بن أحمد الحصيري | توفي سنة698هـ/1298م | التدريس بالمدرسة النورية الكبرى بدمشق . |
| 15 | بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي بن يحيى بن تمام السبكي | ولد سنة717هـ/1317 م<br>توفي سنة773هـ/1371م | تولى مناصب عديدة أبرزها قضاء الشام و التدريس بالمدرسة العادلية الكبرى بدمشق . |
| 16 | ركن الدين أبو زكرياء بن يوسف بن سليمان بن حماد البجلي | توفي سنة722هـ/1322م | درس بالمدرسة الطيبة و الأسدية و واعظ بالجامع الأموي |

# فهارس الأعلام و الأماكن

# فـهـرس الأعــلام و الأمـــاكــن

## أولا : فــهــرس الأعـــلام


-أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني : ص 92.
- إبراهيم ينال : ص 80 .
- أبو سعيد أحمد الخجندي : ص 74 .
- أحمد بن طولون : ص 21 ، 22 .
- أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس الجرجاني : ص 62 .
- أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن فورك: ص 91 .
- أحمد بن منصور الضبعي : ص 91.
- أحمد بن نصر بن الحسين الأنباري : ص 76.
- صدر الدّين أبو العبّاس أحمد بن سنّي الدّولة : ص120 .
- الإمام نظام الدّين الحصيري : ص 115 .
- السلطان ألب أرسلان : ص 30 ، 46 ، 47 ، 51 ، 56 ، 67 ، 83 ، 95 ، 102 .
- ركن الدّين أبو زكريا بن يوسف البجلي : ص 121 .
- أبو سعد البوشنجي : ص 70.
- البساسيري : ص 41 ، 42 ، 54 ، 80.
- الجاحظ : ص 10 .
- أبي المعالي الجويني : ص 65 ، 68 ، 69 ، 83 ، 84 ، 88 ، 90 ، 93 ، 94 ، 133، 135.
- أبو عبد الله الدامغاني : ص 80 ، 81 ، 83 ، 84 ، 93 ، 133.
-أبو القاسم بن أبي يعلى الدبوسي : ص65،66.
- الحاكم بأمر الله : ص 20.
- الطبري : ص 15 .
- أبو عبد الله الطبري : ص 66 ، 68 ،90.
- المأمون : ص 03.
- أبو سعد المبارك بن علي بن الحسين المخرمي : ص 85 ، 90 ، 136.
- المنصور : ص 08 ، 11 .
- أبو الغنائم المرزبان بن خسرو : ص86 ، 136.
- أبو سعد المتولي : ص 89 ، 135.
- أبا سعد المتولي النيسابوري : ص 63، 64، 65 .
- بهاء الدّين أبو حامد بن تقي الدّين السّبكي : ص 116 ، 126 ، 139.
- كمال الملك السميرمي : ص 82 ،83.
- أبي المظفر بن السمعاني التميمي : ص 69 ، 70 ، 90 ، 135.
- أبو الحسن بن سعيد العبدري : ص 63.
- العزيز : ص 14 ، 15 .
- الفتح بن خاقان : ص 10.
- إبن الصباغ : ص 64 ، 135.
- القائم بأمر الله : ص40 ،42،41، 80، 81.
- أبو سعيد بن أبي القاسم القشيري : ص 69 ، 133.
- أبي المحاسن الروياني : ص 73 ، 74 .
- أبو إسحاق الشيرازي : ص 61 ،62 ،63 ، 64 ، 77، 89،90 ، 93، 94، 133 ،135.
- الشريف الرضي : ص 19.
- أبي القاسم التميمي : ص 72.

- كمال الدّين التّفلسي : ص 116 .
- أبو بكر الخجندي : ص 74،83 ،84 ،92 .
- الخليل بن أحمد : ص 15 .
- أبي حامد الغزالي الطوسي : ص 66 ، 67 ، 68 ، 89 ، 92 ، 93 ، 133 ،135.
- إسماعيل بن إسحاق القاضي : ص 10، 11 .
- أسعد بن زرارة : ص 16 .
- جمال الدّولة إقبال : ص 119 .
- أبو الفتح آقسنقر قسيم الدّولة : ص96 ، 97 ، 98 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ، 104 ، 105 ،129.
- بدر بن حسنويه : ص 24 .
- بهاء الدّين أبو الفضل بن الزّكي : 117 .
- جاولي سقاو : ص 100 ، 103 .
- جمال الدّين المصري : ص 116، 126،139.
- كمال الدين أبو الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الرازي : ص 87.
- طلحة بن عبيد الله التميمي : ص 77.
- طغرلبك : ص 36 ، 38 ، 40 ، 41 ، 42 ، 80 ، 81 ، 95 .
- أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي : ص 92 .
- أبو المظفر يحي بن محمد بن هبيرة الشيباني: ص 87.
- كمال الدّين أبو محمّد بن الحرستاني : ص117.
- قوام الدّولة كربوقا : ص 99 ، 100 .
- مجاهد الدّين قايماز : ص 122 .
- قطب الدّين مودود : ص 109 ، 121 .
- أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي الشافعي : ص 85 ، 86 ، 136.
- أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي الأبرادي : ص 86 .
- محي الدين محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري : ص 75 .
- محمد بن زكرياء الرازي : ص 22.
- محمد بن يحي النيسابوري : ص 71 .
- محمد بن كرام الساجستاني : ص 27 ، 28.
- أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي : ص 84 ،136.
- أبو بكر الشاشي محمد بن علي : ص 71.
- أبو الحسن محمد بن علي الطبري الهراسي : ص 68 ، 92.
- أبو الفضل محمد بن قنان بن حامد بن الطيب الأنباري : ص 78 .
- جمال الدّين محمود بن أحمد الحصيري : ص115 .
- السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي: ص 82 ، 99 .
- محمود سبكتكين الغزنوي : ص 43.
- السلطان ملكشاه السلجوقي : ص 47، 51 ، 52 ،53 ،54 ،56 ، 129 ، 132 ،95 ، 96 ، 97 ، 99 ، 102 ، 103 ، 104 .
- السلطان مسعود : ص 37 ، 38 ، 39.
- برهان الدّين مسعود : ص 115 .
- مصعب بن عمير : ص 16 .
- نجم الدّين مظفّر بن محمّد بن إلياس الأنصاري الدّمشقي : ص 118 .
- نور الدّين محمود : ص 102 ، 106 ، 107 ، 108 ، 110 ، 111 ، 112، 113، 114 ، 115 ، 116 ، 117 ، 118 ، 120 ،121 ، 123 ، 124 ، 125 ، 129 ، 132 ،137=

= 138، 139.
- نظـام الملك الطـوسي : ص 29 ، 30 ، 43 ، 44 ، 45 ، 46 ، 47 ، 48 ، 49 ، 50 ، 51 ، 52 ، 53 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 ، 58 ، 59 ، 60 ، 63 ، 64 ، 65 ، 66 ، 67 ،68 ، 69 ، 70 ، 71 ، 72 ، 73 ، 74 ، 75 ،77 ، 83، 95 ،97 ،102، 103، 104 ، 111 ،130، 131، 132 ،133 ، 134 ، 135 ، 136 ، 137 ، 138 ، 139.
- أبو نصر سابور بن أرشدير : ص 18.
- سيف الدّين غازي : ص 102 ، 108 ، 109 ، 111 ، 121 .
- سلجوق : ص 34.
- السلطان سنجر: ص 82 ، 83.
- سعد بن معاذ : ص 17 .
- أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد الصباغ : ص 88 .
- جمال الدّين أبو محمّد عبد الكافي : ص 119 .
- شرف الدّين أبو سعد عبد الله بن محمّد بن هبة الله بن أبي عصرون : ص 126 ، 139.
- أبو نجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي : ص 87.
- أبي الحسن علي بن أحمد الماوردي : ص 81.
- علي بن يحى المنجم : ص 12 ، 13 .
- علي بن محمد بن حبيب البصري : ص 90.
- عماد الدّين زنكي : ص 99 ، 100 ، 101 ، 103 ، 105 ، 129.
- عمر بن الخطاب : ص 07 ، 49 .
- محي الدّين أبو الخطّاب عمر بن محمّد بن أبي سعد بن أبي عصرون : ص 118 .
- عمر بن عبد العزيز (العزّ القرشي ) : ص120.
- عضد الدولة البويهي : ص 23.
- أبو عبد الله شافع بن عبد الرشيد الجيلي: ص 92 .
- أسد الدّين شيركوه : ص 110 ، 120 ، 124 .
- شمس الدّين بن ستّي الدّولة : ص 120 .
- تقاق : ص 34 .
- تاج الدّولة تتش : ص 98 .

## ثانيا : فهرس الأماكن


- الأندلس : ص 11 .
- البصرة : ص 09 ، 14 ، 26 ، 56 ، 77، 103 ، 113 ، 139.
- الجامع الأموي : ص 121 .
- الكوفة : ص 113 .
- الكرخ : ص 25 .
- المارستان : ص 21 ، 22 .
- المارستان العضدي : ص 23 .
- المدينة : ص 03 ، 16 .
- المدرسة الأسديّة : ص110 ، 120 ، 121 .
- المدرسة الأصفهانيّة : ص 119 .
- المدرسة الإقباليّة : ص 119 ، 120 .
- المدرسة الأتابكية : ص 111 ، 121 .
- المدرسة الجوزيّة : ص123 .
- المدرسة الحنبليّة الشّريفة : ص 123 .
- المدرسة الكلاسة : ص 117 .
- المدرسة المجاهديّة : ص 121 .
- المدرسة النّوريّة الكبرى : ص 114 ، 115 .
- المدرسة النّظاميّة : ص 111 .
- المدرسة العادليّة الكبرى : ص 116 ، 117 ، 126 ، 139.
- المدرسة العزّيّة : ص 121 ، 122 .
- المدرسة العصرونيّة : ص 118 ، 119 .
- المدرسة الصّاحبيّة : ص 123 .
- المدرسة الصّدريّة : ص 123 .
- المدرسة الصّلاحيّة : ص 123 .
- المدرسة الصّمصاميّة : ص 122 .
- المدرسة الشّرابية : ص 122 .
- المدرسة التاجية : ص 136.
- المدرسة الضّيائيّة المحمديّة : ص 123 .
- الموصل : ص 56 ، 75 ، 76 ، 98 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ، 104 ، 106 ، 108 ، 109 ، 110 ، 111 ، 113 ، 121، 127 ، 129، 132 ، 137 ، 139.
- العراق : ص45 ، 58 .
- الصين : ص 31.
- الرّباط البياني : ص 124 .
- الرّباط البخاري : ص 124 .
- الرّباط المراني : ص 124 .
- الرّباط الفقاعي : ص 124 .
- الرّها : ص 100 .
- الري : ص 45 ، 124.
- الشام : ص 95 ، 98 ، 100 ، 101 ، 102 ، 104 ، 110 ، 111 ، 112 ، 113 ، 114 ، 127 ، 129 ، 131 ، 132، 137.
- الخان : ص 24 ، 25 ، 26 .
- الخانقاه الأندلسيّة : ص 124 .
- الخانقاه الأسديّة : ص 124 .
- الخانقاه الإسكافيّة : ص 124 .
- الخانقاه الدّويريّة : ص 124 .
- الخانقاه الخاتونيّة : ص 124 .
- الخوانق : ص 26 .
- أمل : ص 56 ، 73 ، 136.
- آسيا الصغرى : ص 96 .
- أصبهان : ص 56 .
- أصفهان : ص 45 ، 5 ، 65 ، 6 ، 119 .

- بحر الخزر : ص 31 .
- بيهق : ص 43 .
- بلخ : ص 46 ، 56 ، 72 .
- بغداد : ص 04 ، 08، 18، 22 ، 23 ،29 ،32 ، 45 ، 52 ، 53، 54، 56 ، 58 59 60 ، 61 ، 63، 65 ، 66، 67 ، 68 ، 75، 77 80، 81 ، 85، 86 ، 87، 91 ، 92 ، 93 113 ، 135 ، 139.
- جند : ص 34 .
- داهستان : ص 37 .
- داندانقان : ص 39 ، 40 .
- دار أبي زرارة : ص 17.
- دار الأرقم : ص 17 .
- دار الحديث الأشرفيّة البرانية : ص 124 .
- دار الحديث البهائية : ص 124 .
- دار الحديث الحمصيّة : 124 .
- دار الحديث النّاصريّة : ص 124 .
- دار الحديث النّورية : ص 123،110 .
- دار الحديث العرويّة : ص 124 .
- دار الحديث الفاضليّة : ص124 .
- دار الحديث القلانسيّة : ص 124 .
- دار الطّبّ اللّبّوديّة النّجميّة : ص 124 .
- دار بني ظفر ، ص 16.
- دجلة : ص 60 .
- دمشق : ص 98 ، 107 ، 110 ، 113، 14 117 ،119 ،20 ، 121، 123 ، 132 ، 139.
- هراة: ص27، 56، 71، 72، 135، 139.
- حلب : ص 97 ،98 ، 101 ، 103 ، 105 ، 113 ، 114 ، 132، 139.
- طبرستان : ص 73 ، 136 .
- طوس : ص 43 ، 44 .
- مارستان الري : ص 22 .
- مارستان دمشق : ص 124 .
- مدرسة المخرمي : ص 136.
- مدرسة مشهد أبي حنيفة : ص 136.
- مدرسة قراح ظفر : ص 85 ، 86 ، 136.
-مكة : ص 03 ،17 .
- مصر : ص 12 ، 14 ، 20 ، 22 ، 111.
- مرو : ص 13 ، 38 ، 56 ، 69 ، 70 134 ، 135.
- نهاوند : ص 52 .
- نهر جيحون : ص 31 ، 32 ، 33 .
- نيسابور : ص 37 ، 38 ، 45 ، 56 ،68 69 ، 70 ، 71 ، 135 ، 139.
- نسا : ص 37 .
- سامراء : ص 19 .
- سجستان : ص 27 .
- سرخس : ص 38 .
- فارس : ص 96 .
- فراوة : ص 37 .
- قباء : ص 06 .
- قلعة جعبر : ص 101 .
- رامهرمز : ص 13 ، 14 .
- رباط الدّواداري : ص 124 .
- شحنكية بغداد : ص 99 .
- خراسان : ص 35 ، 36 ، 38 ، 45 ، 46 55 ، 58 ، 71 ، 72، 135.
- غزنة : ص 39 ، 44 ، 46 ، 71.

# قائمة المصادر و المراجع

# قـائـمـة الـمـصـادر و الـمـراجـع

## أولا / المصادر العربية و المترجمة :


1-القــرآن الكــريــم.

2- أحمد بن علي بن حجرا لعسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري ،تحقيق عبد العزيز بن عبدالله بن باز،دار السلام الرياض ،دار الفيحاء دمشق ،ط3،1421هـ/2000م ،ج1.

3- إبن الأثير (أبي الحسن علي بن محمد الجزري) :

- الكامل في التاريخ ،تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت،ط1، 1407هـ/1987م ، الأجزاء :1 ، 2 ، 5 ، 7 ، 8 ، 9 ، 10 .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق و تعليق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ،تقديم محمد عبد المنعم البري و آخرون ، دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ ،الأجزاء :1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، .
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة 1382هـ/1963 م

4- البيهقي ( أبوالفضل ) : تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار الطباعة الحديثة مصر،بدون تاريخ .

5- إبن الجوزي (أبي الفرج عبد الرحمآن بن علي بن محمد ) :

- المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت،ط1 ، 1412هـ/1992م،المجلدات : 2 ، 4 ، 12 ، 14 ، 15 ، 16 ، 17 ، 18 .
- ابن الجوزي : صفة الصفوة ، دار ابن الجوزي القاهرة مصر ، ط1 ، 1434 هـ/2013 م ،ج 1 .

6- بن أبي الوفاء : الجواهر المضية في طبقات الحنفية ،تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر للطباعة بدون تاريخ ،ج 3 .

7- الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الرسل و الملوك ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف، مصر،بدون تاريخ، ط2 ، الأجزاء : 2 ،7، 8 .

8- إبن الطقطقا (محمد بن علي بن طباطبا) : الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية، دار صادر بيروت، بدون تاريخ .

9- الطرطوشي ( أبو بكر محمد بن محمد الوليد الفهري ) : سراج الملوك، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ط2 ، 1413 هـ .

10- المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد):

- الروضتين في أخبار الدولتين ، تعليق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية لبنان، ط1 1422هـ/2002م ، الأجزاء : 1 ، 2.
- احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ليدن ، ط 2 .

11– المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي) : المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، مكتبة الإسكندرية ، بدون تاريخ ، الأجزاء : 1 ، 2 .

12– السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان) : تاريخ الخلفاء ، دار ابن حزم ، بيروت، 1422هـ/2003م .

13– ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار، دار الكتاب العربي ، ط1 1418هـ/1997م ، الجزء 2 .

14– إبن العماد (شهاب الدين عبد الحي بن أحمد العكري) :شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق و تعليق عبد القادر الأرناووط و محمود الأرناؤوط ، دار إبن كثير ، دمشق و بيروت، ط1، 1406هـ/1986م المجلدات : 1، 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8 ،

15– ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد) : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق و تقديم قاسم السامرائي دار الآفاق العربية ، القاهرة ،ط1 ، 1419 هـ/1999 م .

16– الصفدي : الوافي بالوفيات ، الأجزاء : 3 ، 7 ، 13 ، 18 ، 29 .

17– القزويني : آثار البلاد و أخبار البلاد ، دار صادر بيروت ، بدون تاريخ .

18– الترمذي ( محمد بن عيسى بن سورة الترميذي ) : سنن الترميذي ، تعليق محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف الرياض ،ط1 ، 1417هـ/1994م .

19– الذهبـي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان):

- سير أعـلام النبـلاء ، تحقيق شعيب الأرنـاؤوط و محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة بيروت ط1، 1402هـ/1982م، الأجزاء : 1 ، 7 ، 10 ،11، 12 ، 13 ، 14 ، 15 ، 17 ، 18 ، 20 ، 21 .
- العبر في خبر من غبر ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن سيوني زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ ،الأجزاء : 2 ، 3 ، .
- دول الإسلام ، تحقيق حسن إسماعيل مروة ، دار صادر بيروت ، بدون تاريخ ، الأجزاء : 1 ، 2 .
- تاريخ الإسلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط1 1409هـ/1989م ، الأجزاء : 2 ، 20 .

20– ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، تعليق محمد عبد المنعم العريان ، دار إحياء العلوم بيروت ، ط1 1407هـ/1987م ، الجزء 1 .

21 – ابن جبير :

- رحلة ابن جبير ، ليدن هولندا ، 1907 .

- رحلة ابن جبير ، دار صادر بيروت ، بدون تاريخ .

22- جمال الدين أبي الحسن علي : أخبار العلماء بأخيار الحكماء ، تصحيح محمد أمين الخانجي الكتبي مطبعة السعادة مصر ،ط1 ، 1326 هـ/1906 م .

23- أبي داود (سليمان بن الأشعث السجستاني) :سنن أبي داود ، حكم و تعليق محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف الرياض ،ط1 ،1417هـ/1994م .

24- ابن حوقل (أبي القاسم أبن حوقل النصيبي) : صورة الأرض ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1992م .

25- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله) :معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، مجلدات : 1 ، 2 ،3 ، 4 ، 5 .

26- إبن كثير (أبي الفداء إسماعيل بن كثير) :البداية و النهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر مصر ، ط1 ،1417هـ/1997م ، الأجزاء 4 ، 10 ، 14 ، 15 ، 16 ، 18.

27- إبن ماجة (أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني) : سنن إبن ماجة ، تعليق محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف الرياض ،ط1، 1417هـ/1994م .

28- ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي كبير و آخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ و طبعة ،مج 2 .

29- محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق إختصار الفتح البنداري ، دار الآفاق الجديدة بيروت ،ط3 ، 1400 هـ /1980 م .

30- محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر أحمد الشهرستاني : الملل و النحل ، تحقيق أمير علي مهنا و علي حسن فاعود ، دار المعرفة بيروت لبنان ،ط 3 ، 1414هـ/1993م ،ج 1 .

31- ناصر بن علي الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، تصحيح محمد إقبال ، دار لاهور، 1933.

32- نعمان ساطلي : الروضة الغناء في تاريخ دمشق الفيحاء ، دار الرائد العربي بيروت ، ط 1 ، 1299 هـ/1879 م .

33- أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ، الأجزاء : 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8 ، 10 .

34- نظام الملك الطوسي : سياسة نامة ( سير الملوك ) ،ترجمة يوسف بكار، مطبعة السفير الأردن .

35- سلم بن عيد الهلالي : بهجة الناظرين في شرح رياض الصالحين ، دار إبن الجوزي المملكة العربية السعودية ، ط8 ، 1425 هـ/2004م ، مج 2 .

36- ابن سعد اليافعي : مرآة الجنان و عبرة اليقضان ، تحقيق خليل المنصور،دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ ، الأجزاء : 3 ، 4 .

37– عبد القادر بن محمد النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، فهرسة ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط 1، 1410هـ/1990م، الأجزاء : 1 ، 2 .
38– عماد الدين الأصفهاني :سنى البرق الشامي ، تحقيق فتيحة النبراوي ، مكتبة الخانجى مصر ، 1979.
39– عماد الدين إسماعيل أبي الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ط 1 ، المطبعة الحسينية المصرية ،بدون تاريخ ،الجزء 2.
40– أبن فضلان : رسالة إبن فضلان ، تحقيق سامي الدهان ، 1379هـ/ 1959م.
41– ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، تعليق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ ، الأجزاء : 3 ، 5 ، 7 ، .
42– ابن خلدون : العبر ( تاريخ ابن خلدون ) ، تدقيق خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر بيروت 1421هـ/2001م ، الأجزاء : 2 ، 5 .
43– ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، بدون تـاريخ ، المجلدات : 1 ، 2 ، 3 ، 5 .

## ثانيا /قائمة المراجع العربية و المعربة :

1–إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي و الحضاري،الشركة العلمية للكتاب بيروت،ط1 ،1989.
2– زبيدة عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .
3– أحمد عبد الباقي : معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري ، مكتبة الإسكندرية بيروت لبنان ،ط1 1991 .
4–إحسان ذنون الثامري : الحياة العلمية زمن السامانيين ، دار الطليعة بيروت لبنان ، ط1 ،2001 .
5– آدم ميتز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريد ، دار الكتاب العربي بيروت ،ط5 ، بدون تاريخ ،الأجزاء : 1 ، 2 .
6– حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي ،مكتبة النهضة المصرية القاهرة و دار الجيل بيروت،ط14،1416هـ/1996م، الأجزاء : 1 ،2 .
7– طرفة عبد العزيز العبيكان : الحياة العلمية و الإجتماعية في مكة ،مكتة الملك فهد الوطنية الرياض 1416هـ/1986م .
8–كي لسترنج : بلدان الخلافة الإسلامية .
9– محمد حسن العبادي : خراسان في العصر الغزنوي ، دار الكندي الأردن ، 1997 .
10– محمد سهيل طقوش :
- تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، دار النفائس بيروت ،ط 2 ، 1430هـ/2009 م .
- تاريخ الزنكيين في الموصل و بلادالشام .

11– عبد الهادي محمد رضا محبوبة : نظام الملك ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ،ط1 ،1419 هـ/1999م .

12– فاسيلي بارتولد :

- تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف بمصر،ط4، 1966 .
- تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ،الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر 1996 .

## ثالثا / قائمة المراجع باللغة الأجنبية :

1– Ahmed Raza Khan and others : Patronage Of Learning, The Journa Political Sciense, G.C.University,Of Lahore .

2– Antony Black : The History of Islamic Political Thought, Second Edition , Edinburgh University Presse , 2011.

3– Salah Zaimech:Baghdad,Fondation for science tecnology and civilisation , PUD.ID 4089 ,jeune 2005 ,Manchester United Kingdom .

## رابعا / قائمة المجلات :

1–حسين أمين : المدارس الإسلامية في العصر العباسي و أثرها في تطور التعليم ،مجلة المؤرخ العربي ،ع 6 بغداد العراق ، بدون تاريخ .

2– يسري عبد الغني عبد الله : التعليم في عصر نـور الدين زنكي ، مجلة كـان التاريـخية ، ع 9 ، سبتمبر 2010 .

3– ميسون ذنون العبايجي : الكامل في التاريخ لإبن الأثير مصدرا لدراسة خطط الموصل في العهد الأتابكي ، مجلة إضاءات موصلية ، ع 76 ، 1434 هـ/2013 م .

4– سعـاد مـاهر : أثـر الماوردي في الفن السلجوقي ، مجلة المؤرخ العربي ، ع 10 ، بغداد العراق ، بدون تاريخ.

## خامسا / قائمة المذكرات :

1–أيمن شاهين سلام : المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ، مذكرة نيل درجة الدكتوراه الفلسفة شعبة التاريخ الإسلامي ، جامعة طنطا بمصر ، 1420هـ/1999م .

2–نورين برمة عبد الكريم : الحياة العلمية في العهد الزنكي ، بحث تكميلي لنيل درجة البكلاريوس ، جامعة الخرطوم .

# ملخص اللغة الإنجليزية

## *ABSTRACT*

## EDUCATIONAL SCHOOLS IN THE EASTINTHE ERA OF THE SELJUK AND ZANGID

## (459 AH–594AH/1066AD–1197AD. CIVILIZATIONAL STUDY )

The importance of this research is to high light the reality of political life in the east after the decline of the Abbasid Caliphate in ful filling their roles , and that after the grip of Buyid who ordered every thing to the point of having al most succeeded in making the Shi' it ( Shia ) Abbasid Caliphate .

The arrival of the Seljuk brought importance reforms in view of their Sunni creed particular related to scientific and ideological life, including regulatory schools and its significant contributions in the East, due to the interference of the efforts of Ministers and kings Seljuk had their strong links with the scholars of their time to pass the science project in the East.

With the introduction: We have shown the importance of theme emphasizing the contribution of Seljuk and Zingid education schools, further mention of the bibliography.

In the first chapter: We treated the establishment of training institutions in the word of Islam and its most important aspects, exploring the various crossing points by reaching the Islamic schools.

In the second chapter: we have traced the rise of Seljuk during the Islamic Caliphate and success factors of their science project.

In the third chapter : we talked about Zingid schools citing the factors that streng the ned political success while detailing how they could revive their scientific project in ancient Levant.

In the fourth chapter: where we took the question of the relation ship between schools of the Seljuk and Zingid, and their contribution.

Among the results we have reached the role played by the Seljuk and Zinged in the revival of scientific and spiritual movement in the East, in addition to the prevalence of Sunni power, the most common of the Caliphate, we are adding the development of cities because of the Seljuk era and Zingid schools.

# فهرس الموضوعات

# ﴿ فهرس الموضوعات ﴾


إهـــداء

شكـر و تقـديـر

المقـدمــة :.....1 – 6 .

الفصل الأول :نشأة دور العلم بالدولة الإسلامية و أهم مظاهر تطورها..... 7– 36 .

المبحث الأول : أهمية العلم و مكانة العلماء بالدولة الإسلامية.....7 –11 .

المبحث الثاني : نشأة دور العلم بالدولة الإسلامية و أهم مظاهر تطورها .....12 – 36 .

الفصل الثاني : مدارس التعليم في المشرق عهد السلاجقة و مميزاتها .....37 – 100 .

المبحث الأول : أصل السلاجقة الأتراك و نجاحهم كقوة سياسية بالمشرق ..... 37–48.

المبحث الثاني : مظاهر إهتمام السلاجقة بالحياة العلمية " الوزير نظام

الملك نموذجا " .....49–62.

المبحث الثالث : المدارس الإسلامية و انتشارها بالمشرق عهد السلاجقة .....63–84 .

المبحث الرابع : علاقة العلماء بسلاطين و وزراء العهد السلجوقي و دورهم في دعم

انتشار المدارس التعليمية و نشاط الحركة الفكرية و ازدهارها بالمشرق .....85–100 .

الفصل الثالث :مدارس التعليم في المشرق عهد الزنكيين و مميزاتها.....101–134 .

المبحث الأول : السلطنة السلجوقية و دورها في ظهور الزنكيين

و طبيعة العلاقة بينهما .....101–110 .

المبحث الثاني : العوامل المساعدة على نجاح المشروع العلمي للزنكيين .....111–118 .

المبحث الثالث : المدارس و المراكز التعليمية بالمشرق و دور العلماء في

إزدهارها و أهم مميزاتها في العهد الزنكي .....119–134 .

الفصل الرابع :علاقة مدارس السلاجقة بمدارس الزنكيين و إسهاماتهما

الحضارية بالمشرق.....135–146 .

المبحث الأول : علاقة المدارس السلجوقية بالمدارس الزنكية .....135–138 .

المبحث الثاني : الإسهامات الحضارية لمدارس السلاجقة بالمشرق .....139–142 .

المبحث الثالث : الإسهامات الحضارية لمدارس الزنكيين بالمشرق .....143–146 .

**الخـاتمــة:** .....**147–150** .
**قـائمـــــة الملاحـق** ..... **151–160.**
**فهـــارس الأعــلام و الأمـاكـن** .....**161–165.**
**قائمـــــة المصـادر و الـمراجـع** .....**166–170.**
**ملخــص المذكرة باللّغـة الإنجليزيـة** ..... **171** .
**فهرس الموضوعات** ..... **172–173** .